

تأليف

حسين عبد الله باسلامة

عضو مجلس الشورى بمكة

حقق هذا الكتاب وعلق عليه

الشيخ زكريا بن عبد الله بيلا

عضو مجلس إدارة الحرم المكي

الجزء الرابع

دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة

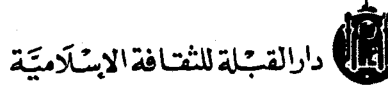
مؤسسة علوم القرآن
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

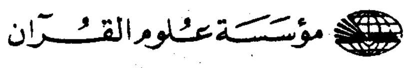

حياة
سيد العرب صلى الله عليه وسلم
وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



المملكة العربية السعودية - جدة - ص ب : ١٠٩٣٢ - الرمز : ٢١٤٤٣ - ت : ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس : ٦٦٥٩٤٧٦



دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص ب : ٤٦٢٠ - ت : ٢٢٤٩٠٠ - بيروت - ص ب : ١١٣/٥٢٨١

كلمة مختصرة

الحمد لله ولا نعبد أحداً سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد.

فقد تصدَّى العلماء الأفاضل قديماً وحديثاً لأمجاد علم التاريخ والسِيَرِ وأشادوا بمنافعهما ومَدَى احتياج الناس إلى معرفتهما، ليعلموا كيف عاش سلفهم، وما تحلوا به من الشمائل الجليلة، فسادوا العالم وتقدمت أمتهم على سائر الأمم، وأزالوا كل عقبة كانت تعترض طريقهم بقوة إيمانهم وبعزيمتهم الصادقة، فعزَّ الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً شرقاً وغرباً.

وبُطُون الكتب قد أحصت كل ما هنالك وحفظته كذ كْرى لمن يتذكر وعظة لمن يتعظ وخطة حميدة لتدابير الأمور وممارستها بأي شكل من أشكالها بصورة أعم وأشمل. وإن من بين تلك الكتب القيِّمة (كتابَ حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية) فإنه جَمَعَ وأحصىٰ، وحاز قبولاً حَسناً عند المطالعين العارفين، لمؤلفه العلامة الجليل الشيخ حسين باسلامة المكي، رحمه الله تعالى، أحد المواطنين الذين لهم خدمات علمية طيبة قدَّموها للناس، بَذَلوا فيها جهودهم وسَعَوْا لنشرها لتعم فائدتها، وبذلك استحقوا الشكر العظيم ولهم من الرب الكريم الجزاءُ الحسن.
ولقد شهد لهذا المؤلف كبار العلماء وحرَّروا له تقاريظهم على كتابه ووفوه حقه، والفضل يعرفه ذووه. وهذا الكتاب قسَّمه مؤلفه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: يختص بحياة النبي ﷺ من ولادته إلى وفاته وهو في أربعة أجزاء.

القسم الثاني: يختص بتاريخ الخلفاء الأربعة وجعله في أربعة أجزاء.

القسم الثالث: من أربعة أجزاء، ثلاثة منها تختص بخلفاء بني أمية وجزء بخلافة عبد الله بن الزبير.

القسم الرابع: في أربعة أجزاء في خلفاء بني العباس.

قال فضيلة العلامة عالم جدة وأحد أعيانها الشيخ محمد حسين نصيف في ترجمة المؤلف: «إنه أتم تأليف هذه الأقسام الأربعة وهو مجدّ في تأليف القسم الخامس الذي يشتمل على ملوك الطوائف، قال: وتبلغ هذه السلسلة عشرين جزءاً، وفي عهد مؤلفه ظهرت منه أربعة أجزاء مطبوعة، أقْبَل عليها أهل العلم وطلابه، وأصحاب المكاتب، والآن قيّض الله تعالى لطبعه للمرة الثانية الأخ في الله تعالى الشيخ (عمر عبد الجبار)، هذا الرجل الشهم المعروف بنشاطه وحركته الدائبة في نشر العلوم تأليفاً وطبعاً، فقد كانت له عدة مؤلّفات مدرسية باللغة العربية مقرَّرة ببعض مدارس (إندونيسيا) يوم أنْ كانا مقيماً فيها مدة طويلة من الزمن وحَصَل لها رواجٌ عظيمٌ هناك لحبهم للعلم وتجمعهم حول رجالاته للإستفادة والإفادة، كما كانت له المؤلفات المقررة بمدارس المملكة العربية السعودية حازت رضى المسئولين من رجال العلم والأدب.

وبعد هذا، أفتراه يقف وتفتر حركته؟ (لا) بل إنه سعى إلى طريق آخر في سبيل العلم فعمد إلى تأسيس مدارس الزهراء عام ١٣٧٨ هـ لتعليم البنات، وهي تضم روضة الأطفال، والإبتدائي، والإعدادي، والثانوي. وأصبح مشرفاً عليها وراعياً يرعاها بهمة عالية، وهذه المؤسسات العلمية لم

تحرم من عطف وزارة المعارف العامة في عهد وزير المعارف الحالي الشيخ حسن بن العلامة الشيخ عبد الله آل الشيخ رحمه الله تعالى، ولا من لفتة الرئاسة العامة لتعليم البنات في عهد رئيسها الشيخ ناصر بن حمد الراشد، وهذا رغم ما كان يقدمه أولياء الطالبات من معونات شهرية لتواصل سيرها إلى الأمام.

ومما هو جذير بالذكر وأذكره وكلي خجلٌ أن الشيخ عمر عبد الجبار لمّا عَزَمَ على إعادة طبع الجزء الثالث والرابع من حياة سيد العرب بعد قيامه بطبع الأول والثاني قدَّمهما للعبد الحقير لمراجعتهما ووضع ما لا بد منه كتعليق عليهما، فكبر ذلك في نفسي وبادرته بأعذاري وألمحت إليه بالمثل المعروف وهو (اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَم) بغية أن يعدل عن فكرته ولم يزده ذلك إلا إصراراً فيما يريده.

وأخيراً أجبت وحققت رغبته لا لأني فارس حلبة هذا الميدان، ولا من المبرزين في هذا الشأن، فإن بضاعتي مزجاة، وقِصَر باعي في العلوم بلغ منها منتهاه، والله فوق كل ذي علم عليم، بل لنفاسة الموضوع، والموضوع يختص بحياة سيد العرب، لا بل بحياة سيد البشر من عجم وعرب.

وعلى كل حال ليس لي في هذا تحقيقٌ أبَنْتُه، أو تدقيقٌ اتخذته فأثبتُه، إنْ هو إلا التقاط من هنا وهناك وإيضاح واستيضاح لم يفت المتقديمن ولا غاب عن المحصلين. فرجائي من إخواني المسلمين دعوة صالحة بالتوفيق إلى أقوم طريق وإصلاح ما لا يوافق الصحيح المتفق عليه بيد الضعاف لنكون على الخير أعواناً بلا خلاف. أسأله تعالى جل شأنه أن يثيبنا ويغفر لي ولوالدي والمؤمنين والمؤمنات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

مكة المكرمة

الراجي عفو ربه
زكريا عبد الله بيلا

* * *



نبذة
في التعريف بصاحب التعليق
مقتضبة من كتابه
(الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان)

هو زكريا بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن بيلا، ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٢٩ هـ، نشأ بها وترعرع بين يدي والديه، فقد كانت والدته (سارة بنت يوسف كردي) تبره وتحن عليه وتشجعه على مواصلة طلب العلوم من صغره إلى كبره إلى وفاتها بمكة المكرمة سنة ١٣٦٣ هـ عن نحو ستين عاماً، فلها عظيم الفضل، وبعملها الجليل تستحق الشكر، فرحمة الله عليها. قال تعالى: ﴿ووصيّنا الإنسان بوالديه حَمَلَتْه أمه وَهْنَاً على وَهْنٍ وفِصَالُه في عامين أن أشكُرْ لي ولوالديْك إليَّ المصير﴾.

أما والده العالم الفاضل الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن بيلا، فهو العين الساهرة على تربيته وتعليمه وآدابه. توفي بمكة المكرمة ودفن بمقبرة المعلا سنة ١٣٥٦ هـ عن عمر يناهز الثالثة والستين، قضى معظمها بين التعليم والتعلّم على أيدي علماء مكة المكرمة كفضيلة العلامة الشيخ محمد حسب الله المكي، وفضيلة العلامة السيد عباس بن عبد العزيز المالكي المكي وهو والد العلامة السيد علوي المكي المدرس بالمسجد الحرام.

«اللهم ارحم والدي ووالدتي وأسكنهما فسيح جنانك مع المقربين الأبرار وارحمنا إذا عدنا إليهما».

ولعناية والده بابنه، علمه القرآن المجيد وصار يحضر كمستمع لدروس والده لطلابه الكبار. ثم أدخله المدرسة الهاشمية الإبتدائية بسوق المعلا في بناية المدرسة السعودية التي أزيلت للتوسعة، ولم يمكث بها طويلاً. ثم أدخله في عام ١٣٤٤ هـ المدرسة المشهورة المعروفة بالصَّوليّة، بحارة الباب بمكة ليتلقى فيها العلوم الدينية والعربية عن مدرسيها العلماء الكرام كفضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط المكي، وفضيلة الشيخ عبد الله نيازي النمنكاني المتوفى بمكة سنة ١٣٦٣ هـ، وفضيلة الشيخ عمر حمدان المحرس المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣٦٨ هـ، وفضيلة السيد محسن المساوي المتوفى بمكة سنة ١٣٥٤ هـ، وفضيلة الشيخ مختار بن عثمان مخدوم المتوفى سنة ١٣٦٧هـ، وفضيلة السيد هاشم بن عبد الله شطا المتوفى بمكة سنة ١٣٨٠ هـ. ولم يفته التحصيل أيضاً بالمسجد الحرام على أيدي كبار علمائه الكرام كفضيلة العلامة الشيخ عمر باجنيد المكي المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ، وفضيلة السيد أبي بكر البار المتوفى بمكة سنة ١٣٨٤ هـ، وفضيلة الشيخ بافيل الحضرمي المتوفى بمكة سنة ١٣٥١ هـ، وفضيلة الشيخ محمد علي بن حسين المالكي المكي المتوفى بالطائف سنة ١٣٦٧ هـ، وفضيلة الشيخ سالم شفى المتوفى بمكة سنة ١٣٦٨ هـ.

ومن فضل الله وتوفيقه أن جهود والديه لم تَذْهَبْ أدْراج الرياح، فقد رأيَاه وهما على قيد الحياة قد حَمَلَ وسَامَ الشرف والمجد وقلّدته إياه مدرسته (الصوليّة) عام ١٣٥٣ هـ بعد أن جاز الاختبارات لعدة سنوات واختارته لأن يكون أحدَ مدرسيها بثانويها وعاليها. كما حظى في عام ١٣٥٤ هـ بشهادة التدريس بالمسجد الحرام من صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة والمدرسين ببلد الله الأمين المتوفى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٨ هـ فقام بمهمة التدريس في الحرم الشريف في الحديث، والفقه الإسلامي وأصوله، وقواعد الفقه وقواعد اللغة العربية.

وكان إلى جانب التدريس يقوم بالتأليف فألّف عدة كتب. منها (الجواهر الحسان)، (والمنهل العذب المستطاب شرح منظومة قواعد الإعراب)، و(إعلام ذوي الإحتشام باختصار إفادة الأنام بجواز القيام لأهل الفضل والاحترام)، و(نظم الأزهار الوردية في علم الفرائض)، و(المختصر في حكم الإحرام من جدة)، و(آخر ساعة في حكم لبس المحرم للساعة)، وأسنى التقريرات شرح نظم الورقات في أصول الفقهيات، والتعليق الشريف على كتاب المسح على الجوربين، ومحرمات الإحرام ورد قبول عذر الجاهل وهو بين العلماء الكرام. هذا وكتب له ترجمة إضافية الشيخ عبد الجبار في تراجمه المنشورة بجريدة البلاد بعنوان (تراجم وسير) في ٢٧/١٠/١٣٧٩ هـ.

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم
التشريع الاجتماعي في الإسلام
أول حجة للمسلمين
حج سنة ثمان من الهجرة

كانت حجة سنة ثمان من الهجرة هي الحجة الأولى للمسلمين جهروا فيها بشعارهم الديني، وذلك قبل أن يُفرض الحج عليهم، حيث أنه فُرض سنة تسع من الهجرة على رواية، وذلك لأن النبي ﷺ بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه في سنة تسع أن يحج بالناس في ذلك الموسم. وفي رواية أخرى أن الحج فُرض في سنة عشر من الهجرة وذلك لأن النبي ﷺ حج في تلك السنة بنفسه وعَلَّم الناس مناسكهم. وكلتا الروايتين صحيحة ووجيهة. والدليل على فريضة الحج من كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فُرض عليكم الحج فحجوا» وقال البغوي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ إن المأمور بهذا[1] التأذين

(١) المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ: ما عليه أكثر المؤلفين، وهو أظهر أن المأمور بالتأذين هو إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال عليك الآذان وعليّ البلاغ. فصعد إبراهيم عليه السلام الصفا؛ وفي رواية أخرى أبا قبيس وفي رواية على المقام، قال إبراهيم كيف أقول؟ قال جبريل عليه السلام: قل لبيك الهم لبيك، فهو أول من لبى، وكونه سيدنا محمداً ﷺ كما =

محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع، وذكر حديث أبي هريرة المتقدم. ومنه يعلم أن الحج فُرض في سنة عشر[1] في حجة الوداع حيث أن الخطبة التي ذكرها أبو هريرة في هذه الرواية كانت في حجة الوداع، وتفصيل ذلك مدون في كتب المناسك.

قال ابن اسحاق: وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد ـ أمير مكة ـ وهي سنة ثمان. انتهى.

إذا تأمل المسلم في مبنى قواعد الإسلام الخمس التي رواها الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان».

يظهر له جلياً أن مبنى أساس الإسلام الاجتماعي والإنساني والعمراني هو على هذه القواعد الخمس، وذلك لأن القاعدة الأولى، التي هي (شهادة

= ذكره المؤلف رحمه الله تعالى عن البغوي هو قول الحسن واختيار أكثر المعتزلة ويأباه كون السورة مكية.

(١) الحج فرض سنة عشر: وهذا غير متفق عليه وإن اتفقوا على وقوع حجة الوداع سنة عشر. وفي الهدى يقول وليس ببيد من ادعى تقدم فرض الحج سنة ست أو سبع أو ثمان دليل واحد، وغاية ما احتجوا به قوله تعالى **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾** وهي نزلت بالحديبية سنة ست، وهذا ليس فيه ابتداء فرض الحج إنما فيه الأمر بإتمامه إذا شرع فيه؛ وآية فرض الحج هي قوله تعالى: **﴿ولله على الناس حج البيت﴾**، وهي نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع. يقول العبد الراجي عفو ربه، ذكر الحافظ في فتح الباري ما يؤيد ابتداء الفرض بالإتمام وهو قراءة علقمة ومسروق وإبراهيم النخعي بلفظ (وأقيموا)، أخرجه الطبري بأسانيد صحيحة عنهم والله أعلم.

أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) هي القاعدة الأساسية التي تربط القلوب بوحدانية الله تعالى لأنه الخالق والموجد والمحدث لهذا العالم الكبير العظيم، ولكونه خلقه وقدَّره على أبدع نظام فقد تحيرت فيه العقول والألباب. وكان من ضمن ما شمله هذا النظام الإسلامي البديع إرسال الرسل صلوات الله عليهم واسطة بين الخالق جلا وعلا وبين عباده، لتبليغهم أوامره[1] ونواهيه وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم في الدين والدنيا والآخرة. وكان خاتم الرسل هو سيدنا محمد ﷺ قد أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ليعلم الناس ما أمر به، فمتى علم ذلك الإنسان وتمكنت هذه القاعدة الأولى من قلبه تلقى بقلب طاهر عموم ما جاء به النبي ﷺ من التشريع الذي هو نظام العالم والأمم العادل، وعليه مدار سعادة البشر. وكل ما تقدم هو عبارة عن كلمة وجيزة مقتضبة من القاعدة الأولى لأن محمل الإسهاب[2] فيها هي كتب التوحيد.

وأما القاعدة (الثانية) التي هي (إقامة الصلاة) فهي القاعدة الإسلامية الاجتماعية اليومية. وذلك أن الدين الإسلامي أوجد لمعتنقيه أندية يومية يجتمع فيها أهل كل محلة في اليوم والليلة خمس مرات وتلك الأندية هي المساجد المحلية حيث يؤدون فريضتهم بها، وحضهم على التبكير إليها لأمرين عظيمين، **الأول**: لأجل أن يذكروا الله كثيراً ويشكروه على ما أنعم

---

(١) لتبليغهم أوامره: أما القوانين البشرية فهي غير خالية من النقص فيما اتخذ فيها من أحكام، لذلك لا تدوم، ولا كذلك الأحكام السماوية فإنها صالحة لكل زمان ومكان وموافقة لسكان الأرض جيلاً بعد جيل، وما أعظم قوله تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾. وقوله جل جلاله: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾. فمحور السعادة هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والتعاسة كل التعاسة بخلافه.

(٢) الإسهاب. هو كثرة الكلام ،وعمق البحث.

عليهم وتفضّل. وذلك على هدايتهم للإيمان بالله وتآخيهم في دين الله الذي ارتضاه لهم، وجعلهم بذلك يجتمعون[1] ويتواصلون آناء الليل وأطراف النهار. والثاني: لأجل أن يتذاكروا حال اجتماعاتهم المتعددة في المساجد اليومية بعد أن يؤدوا واجبهم الديني في مصالحهم الإجتماعية، ويتكرر ذلك خمس مرات في اليوم والليلة، وتكون مذاكراتهم مشوبة بخوف الله تعالى من الغدر والغرر. ولم يقتصر اجتماعهم على المساجد المحلية اليومية فقط بل أوجب الدين الإسلامي عليهم ضمن هذه القاعدة اجتماعاً عاماً في كل بلد من بلدان الإسلام أسبوعياً[2] وذلك هو اجتماعهم يوم الجمعة في مسجد البلدة الكبير، فيقوم فيهم خطيب موكل من إمام المسلمين يذكِّرهم عظمة الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلمهم ما أحله الله لهم في أمر دينهم ودنياهم كي يتبعوه، وما حرمه الله عليهم لأجل أن يجتنبوه، ويرشدهم إلى ما فيه صلاح الدنيا من مواد الاجتماع مثل السياسة الإدارية، والعمرانية، والاقتصادية. ويتكرر ذلك في كل أسبوع. وبتكرر اجتماع الجمع تتكرر الخطبة بما تحتاجه الأمة من نصائح، وإرشادات[3]، وغير ذلك من مواد الاجتماع العمراني.

---

(١) يجتمعون: لهذا فضلت صلاة الجماعة على صلاة المنفرد من معنى الإنفراد الذي هو نقيض الإجتماع والإتحاد؛ فصلاة المسلمين مرصوصين في صف واحد على مكان واحد لقبلة واحدة ترمز إلى الإرتباط والتآلف والمساواة، حيث يقف المسلم الفقير وكتفه بكتف الغني صاحب المال والجاه، بل وبجانبه الأمير والوزير بدون فارق ولا تمييز، جميعهم يدعون رب العالمين: اللهم وفقنا لمرضاتك وأدم علينا نعمة الإسلام والإيمان.

(٢) أسبوعياً: أي كل أسبوع مرة واحدة، حتى لا تتأتى المشقة على جماعة المسلمين. كما أنه لو تأخر اجتماعهم عن الأسبوع لفاتت الحكمة البالغة المترتبة على صلاة الجمعة.

(٣) من نصائح وإرشادات: فيشرح خطيب الجمعة ما أصاب الأمة من الداء العضال ثم يصف لها العلاج الذي تتخلص منه لتحيا حياة طيبة في دنياها وآخرتها.

وأما القاعدة (الثالثة) وهي (الزكاة) فإنها المواساة المالية بين طبقات الأمة الإسلامية وهي أيضاً عبارة عن قدر بسيط وهو ربع العشر، وبعبارة أوضح اثنان ونصف من كل مائة ٢½٪ وهذا المبلغ إذا خرج من المال لا يخل بثروة المثري وتحصل للفقير منه فائدة تذكر لأن المبلغ الوجيز له قيمته[1] عند المعوز، والزكاة بهذه النسبة هي على النقود[2] والمواشي. وأما الأراضي فما يُسقى منها من الأنهار، والعيون، والمطر، فزكاتها عُشر إيرادها. وما يسقى بواسطة الآلات مثل الغرب، والدلو، و(الطلمبات) فزكاتها نصف عُشر إيرادها، وليس على الأموال المحبوسة في العقار شي وكل ذلك مفصل في كتب الفقه، والخراج. وكانت هذه القاعدة من أهم ما بني عليه نظام الاجتماع لكونها هادمة لأساس مذهب الاشتراكيين[3]، حيث أن الزكاة تدر

---

(١) له قيمته عند المعوز: كما أن أداءها تطهير من أنجاس الذنوب وتزكية الأخلاق، لتحلي مؤديها بالجود والسماح بما تضن به النفس. وهو المال، ولقد صدق الله الكريم في قوله إذ قال: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهـم وتزكيهم بها﴾.

(٢) على النقود: الذهب والفضة، والمواشي: البقر، والغنم، والإبل؛ وأما الأوراق المالية الجارى التعامل بها بين الناس والرائجة كرواج النقد، فالزكاة واجبة فيها، لأن المزكّىٰ في الحقيقة ما تضمنته من المال، ومما يؤيد القول بوجوب الزكاة فيها ما كتب على نفس الأوراق ما هذا نصه:

تتعهد مؤسسة النقد العربي السعودي بأن تدفع عند الطلب لحامل هذا السند مبلغ مائة ريال.

توقيع وزير المالية　　　　توقيع المحافظ

أصدر بموجب المرسوم الملكي رقم ٦ بتاريخ ١/ ٧/ ١٣٧٩ في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود.

والمصنف لم يصرح بالتجارة لأنها تقوَّم بالنقود فأدرجت تحتها.

(٣) مـذهب الإشتراكيين: ليس لـلإشتراكيـة قيمة بـالنسبة للتعـاليم الإسلاميـة التي تعبدنا الله بها، وبالنسبة لما قد كتبه الله تعالى لخلقه من الرزق من يوم أن ظهروا إلى هذه الحياة الدنيا. وكفانا بحثاً حول الإشتراكية ما دبجتـه يراع كبار الكتاب في دحض شبهها وما ينشأ عنها من مفاسد. ويجمل بنا أن نذكر بأن الله تعالى قـد فاوت بين خلقه مع قدرته على اتحادهم، فهذا غني، وهذا فقير، وهذا عاقل، =

على الفقراء خيراً وتسكن ألمَ فقرهم، وقد أصبحت هذه القاعدة ويا للأسف

= وهذا مسلوب العقل، وهذا و. . . وهكذا القوى الظاهرة والباطنة، فأتل أيها الأخ المسلم الكريم الآيات الآتية تدرك حقيقة ما أشرنا إليه. قال تعالى: **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾**. وقال تعالى: **﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾**. وقال تعالى: **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾**.

وفي الحديث الشريف قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم».

فرسول الله ﷺ جعل مال المسلمين مالهم فلا يحق لأحد أن يسلبه منهم أو يقسمه على غير أربابه كعصمة دم المسلم، فلا تمتد إليه اليد الأثيمة إلا وتجد جزاءها الرادع ليسود الأمن والأمان. ولا تنس أيضاً أيها الأخ الكريم أن الشارع الحكيم حثنا على إسداء المعروف، والحرص على فعل الخير، والتعاطف بكل ما أمكن.

قال تعالى: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممّا تحبون﴾**. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه نراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾**. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه نراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾**. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾**. وقال تعالى: **﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾**. وقال ﷺ: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً».

جرير: والعلماء يرون، أن الشح إنما هو أكل أموال الناس بغير حق. وإليك نموذجاً من كرم السابقين حفل به تاريخ الإسلام وأصبح عطراً يفوح عبيره بين الناس وحق لنا أن نفاخر به وندعو لتمثيله بين الطبقات ، فإنه مثال الإسلام الصحيح في نفوس المؤمنين:

١ ـ كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم أسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارته، وبعد إسلامه ربح الكثير من تجارته، فلما هاجر إلى المدينة مع رسول الله ﷺ، أنفق ماله المدخر ولم يبق له سوى خمسة آلاف درهم في افتداء =

على جرف هار، كادت تضمحل لأن كلًا من الشفقة والرحمة، والعطف، قد سلب من قلوب بعض الأغنياء[1].

= الضعفاء من الموالي المسلمين وفي بر الفقراء والمحتاجين.

٢ ـ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، ولما لم يجد ﷺ شيئاً عند نسائه، قال النبي ﷺ: «ألا رجل يضيف هذه الليلة رحمه الله؟»، فلبى طلبه ﷺ رجل من الأنصار وذهب إلى داره فوجد طعام صبيته فجاد به ونام هو وامرأته وصبيته بدون طعام. فانظر إلى كل هذا وأين هو من الإشتراكية، إنه روح الإسلام تعمل في هذا الإتجاه النظيف. وفقنا الله لمرضاته، وأعاننا على فعل الخير، والتمسك بأهداب الحق، ونبذ الباطل.

(١) بعض الأغنياء: أقول ليس بالجميل ما يقع للفقيرات فإنهن يتجمعن بكثرة لدى الحوانيت لبعض التجار وفي

أبواب بيوت بعض الموسرين، ليالي شهر رمضان المبارك، خصوصاً العشر الأواخر منه، ينتظرن حقهن من الزكاة، تمر بهن الساعة والساعات وهن في أشد الحاجة إلى الراحة وقضاء حاجياتهن، ويرجعن بدون جدوى. وهكذا يترددن الليلة تتلوها الأخرى، وبعد جهد يحصلن على شيء، ويا ليته شيء يذكر في جانب تعبهن، إن هو إلا قطعة قماش أو بعض من الفلوس. وما يحز في النفوس ألماً منظرهن الذي تتفطر له القلوب، المرأة المسنة، الشابة المحتاجة المسكينة، اورملة المنقطعة بين يديها أطفالها الباكون ولولا الحاجة الماسة والفاقة لما صبرن على كل هذا. فرحمة أيها الأغنياء الذين أعطاكم الله الأموال الطائلة، تتمتعون وتنعمون، بالفقراء المحتاجين والفقيرات المحتاجات، واسوا الجميع من مال الله الذي آتاكم يزدكم من فضله وكرمه، ويبارك لكم فيما هو تحت أيديكم، وارحموهم يرحمكم الرحمن، وفي الحديث: «إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». نظموا إخراج زكواتكم وسهلوا أداءها ووصولها إلى يد المستحقين والمستحقات، بكل طريقة ترون أنتم فيها راحة الجميع، أقضوا على كل فوضى تنجحوا في أعمالكم. والنجاح خير وأفضل، وتوجيهاتي لأولئك النسوة اللاتي يتجمعن لطلب الزكاة أن يتصفن بعفة النفس وعدم التردد على الدكاكين المرة تلو المرة بإلحاح مستمر ويتركن التسكع في الأسواق إلى أنصاف الليالي ويطلبن الله الغني من فضله وهو الرزاق ذو القوة المتين. وهنا لا يفوتني أن أقول: لقد تفضل ملك المملكة العربية السعودية جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز فأصدر أمره باتخاذ الضمان الإجتماعي العام لكل عاجز ومحتاج ثبت احتياجه تأميناً =

وهذا الحال قد أحرج موقف الفقراء وألجأهم إلى اللصوصية، والتشرد، والفوضى، والانتحار أيضاً، وكم قد سمعنا في كثير من الحوادث حصول ذلك من لوعات الفقر والاحتياج، فلا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم ألهم الأغنياء رشدهم وعطِّف قلوبهم على إخوانهم الفقراء من المسلمين، حيث تجد الواحد منهم يدفع ربع ماله أو ثلثه خراجاً للمستعمرين من الأجانب، سواء كان ذلك طوعاً أو كرهاً، ويضن بالشيء التافه على أخيه المسلم، وهو جزء بسيط عبارة عن جزء واحد من أربعين جزءاً من ماله مقابل ما يدفعه للمستعمر الذي هو عشرة أضعاف ذلك، هذا ما يجعل المؤمن يتأسف من هذا الحال ويذرف الدمع دماً.

وأما القاعدة الرابعة: فهي (الصوم). والصوم ورياضة النفس وتمرينها على الجوع وألمه، كي يتسنى للصائم الغني أن يحس بألم الجوع، ويتذكر حال الفقير الذي يقضي دهره صائماً، ولم يكن صومه هذا عن عبادة، بل عدم وجود شيء يأكله، فمتى صام الغني وأحسَّ بألم الجوع، أخذته الشفقة والرحمة على الفقير.

وإنك تجد كثيراً من الناس تكثر نفقاتهم في شهر رمضان، مع أنه ويا للأسف أخذ الصوم يتقلص من نفوس كثير من المسلمين الذين أغرتهم المدنية الأوروبية، ولم يفيقوا حتى الآن من غفلتهم، رغماً عما تراهم فيه من البذخ، والتبذير، وفقدان الصحة[1]، والمال، فتراهم في بحور الغيّ

= للمجتمع من غوائل الحاجة وليتمتع الشعب في بحبوحة العيش، وفعلاً تحقق الأمر الملكي، فخصصت الرواتب شهرياً للأسر الفقيرة وبعض الأفراد عوناً ومساعدة، وشمل ذلك المملكة العربية السعودية من أقصاها إلى أقصاها، فجزاه الله على عمله خيراًووفقه للمزيد من العمل الصالح، وفضل الله واسع. أسأل الله الكريم المنان أن يوفق القائمين على رأس هذا العمل لإيصال هذا الخير إلى أهله بيسر ويبحثوا بدقة عن كل مستحق لهذا الإحسان ليوصلوه إليه.

(١) وفقدان الصحة: حيث أن الصوم إمساك عن الطعام والشراب وفيه صحة البدن، ما =

سابحين، وهم عن نصح الناصحين غافلون، ﴿فإنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

وأما القاعدة الخامسة: فهي (الحج) وهو الذي نحن بصدده. فالحج هو المؤتمر العام الذي يجتمع فيه عموم أجناس العالم الإسلامي من مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها، فقد فرض الله تعالى على العالم الإسلامي أجمع من عربي، وأعجمي، وأبيض، وأصفر، وأحمر، وأسود، وشريف، ووضيع، أن يلبوا دعوة إبراهيم الخليل ﷺ. حيث قد أمره الله تعالى يوم بنى الكعبة المشرفة بقوله تعالى: ﴿وأذّن في النّاسِ بالحج يأتوكَ رِجَالاً وَعَلى كُلِّ ضَامِرٍ يأتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ في أيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم﴾.

فمن المنافع التي ذكرها الله تعالى لهم التعارف مع بعضهم بعضاً، وهذا التعارف عليه مدار الاجتماع، حيث يتعارف الشرقي الذي هو بأقصى الصين بالغربي الذي يقطن أقصى إفريقية، حتى أمريكا، والشمالي منهم سكان ما وراء النهر، وبلاد الروس، ومن في بلونيا، مع الجنوبي الذي يسكن منتهى إفريقية، حتى رأس الرجاء الصالح، وكذلك الهندي والجاويّ، والأفغاني، والإيراني، والمصري، والصومالي، وغير ذلك من الأمم الإسلامية التي تقطن آسيا، وإفريقية وأوروبة، وأمريكا.

ومبدأ التعارف يقع أولاً في (عرفة). وعرفة هو الميدان المحدود بحدود أربعة: شرقاً جبال عرفة، وغرباً[1] وادي عرنة، وشمالاً الجبل العالي

= لم يجعل بطنه مخزن أطعمة ملونة، يملؤها عند الإفطار فتفوته الفائدة.

(١) وغرباً وادي عرنة: من المعلوم أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، ومن أجل ذلك اهتم المؤلف رحمه الله تعالى بذكر حدود عرفة حتى لا يفوت الحاج الوقوف بها فيما لو وقف في أرض غيرها، أما ما ذكره من الحد غرباً جهة المزدلفة فقد وقع فيه اختلاف بين العلماء حتى ذهب بعضهم إلى أن مسجد إبراهيم كله من عرفة والبعض الآخر بعضه مما يلي عرفة منها وما =

= يقف فيه الإمام ليس منها وهو قول إمام الحرمين وغيره وجزم به الإمام الرافعي مع العلم بأنه، أي المسجد، واقع ببطن عرنة بالنون وهذا الإختلاف ربما كان مدعاة لبعض الحجاج لأن يقف في المسجد أو خارجه أو في أخرياته مما يلي موقف الإمام، ويكتفي به فيرجع إلى بلاده بدون حج وهو قد تكبد المشاق العديدة وأنفق النفقات الباهظة في سبيل أداء الركن الإسلامي على وجه صحيح. ومع الأسف الشديد لم ينل بغيته ولم يسقط فرضه ولا زال ملزماً به كل ذلك لتقديمه القول الضعيف ومجانبته للقول الصحيح. والصواب ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه «الأم» وهو قول الجمهور من أن المسجد ووادي عرنة ليسا من عرفة، ويؤيده قوله ﷺ «عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة».

وفي كتاب «مفيد الأنام ونور الظلام» للعلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر رئيس هيئة التمييز بمكة المكرمة حالا، قال: ولا عبرة بقول من قال: آخر المسجد من عرفات لأنه يكذبه الحس الظاهر بالمشاهدة لعلمي عرفة، وهما فاصلان بين عرفة ووادي عرنة من جهة الغرب عن عرفة، فما كان شرقاً عن العلمين فهو من عرفة وما كان غرباً عنهما فمن عرنة. وقال شيخ سيدي الوالد رحمهما الله تعالى العلامة الشيخ محمد حسب الله المكي في حاشيته على مناسك الشربيني: وحد عرفة ينتهي إلى العلمين المنصوبين بحذاء مسجد إبراهيم، ومثله في حاشية الإمام القليوبي على شرح المحلي للمنهاج للإمام النووي. وقال العلامة الشيخ حسين المالكي مفتي المالكية بمكة المكرمة في منسكه وهو والد شيخنا العلامة الشيخ محمد علي المالكي المكي: وأما الوقوف ببطن عرنة فلا يجزىء وهو واد بين العلمين اللذين هما حد عرفة والعلمين اللذين هما حد الحرم.

وقال المؤلف رحمه الله في كتابه «تاريخ عمارة المسجد الحرام»: وقد ورد في شرح الإيضاح لإبن حجر المكي أن المظفر وضع ثلاثة أعلام حداً لعرفة وذلك بعد تحقيق الموضع الذي هو الحد الصحيح لعرفة من قبل جمع من العلماء، وقد هدم أحد الأعلام الثلاثة الذي يلي (مسجد نمرة) ولم يبق منهم إلا علمان فقط في العصر الحاضر. ولم يذكر ابن حجر الهيتمي المكي ولا غيره السنة التي هدم فيها ذلك العلم الثالث ولا سبب هدمه، ثم قال: ولا أدري لم لم يجد ولاة الأمر في تلك العصور ذلك العلم الذي هدم والذي يظهر لي أن في الأمر غموضاً نشأ عن تعصب بعض أهل المذاهب التي من رأيها أن حدود عرفة هو منتصف مسجد نمرة =

وجنوباً جبل (وصيق)، ومنتهى الحد (بساتين بني عامر) المنسوبة إلى

= حيث كان العلم أمام مسجد نمرة مما يلي عرفة بعد وادي عرنة.
أقول، وأنا الراجي من الرب العفو والغفران، قد رأيت في «شفاء الغرام» لتقي الدين الفاسي المكي المتوفي عام ٨٣٢ هـ أحد قضاة مكة المكرمة، تاريخ وضع هذه الأعلام، وهو شعبان من شهور سنة خمس وستمائة، وهو القائل: وحد عرفة من هذه الجهة الآن بين، وهو العلمان بعد العلمين اللذين هما حد الحرم إلى جهة عرفة، ومضى على قوله هذا ما يزيد على خمسمائة وخمسين عاماً، وبالضرورة يد الإصلاح لا زالت تعمل فيهما لبقاء عينهما إلى اليوم. والعلامة محمد علي بن محمد علان المكي المتوفي عام ١٠٥٧ هـ بمكة المكرمة، قال: لا وجود لهذه البساتين الآن ويمحلها العلمان المحاذيان لمسجد إبراهيم، ولابن علان المذكور شرح منسك النووي الكبير سماه «فتح الفتاح في شرح الإيضاح»: وهذه البساتين هي التي ذكرها المؤلف وهي بساتين بني عامر، وقد مضى على قوله هذا أيضاً ما يزيد على ثلاثمائة سنة. أما العلم الثالث الذي لم نره اليوم فلعل سقوطه من طول الزمن أو توالي هطول الأمطار والسيول الجارفة خربته وهدمته. أما لماذا لم يجدد هذا المهدوم فلأجل الإستغناء عنه لوجود العلمين علامة على بيان الحد والمحدود وإن قلنا إن ذلك ناشىء عن التعصب فليس معناه بقاؤه على طول السنين والأعوام، فالقول الضعيف مهما ظهر وله أتباعه فمآله إلى الضعف والتلاشي، لأن قوة القول القوي تقضي على الضعيف.
ولئلا يتساهل الحجاج باعتبار القول الضعيف، قدمت لمديرية أوقاف مكة المكرمة، المكتوب الآتي:
بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة صاحب السعادة الشيخ عبد الله أزهر مدير أوقاف مكة المكرمة حفظه الله تعالى؛
السلام عليكم ورحمة الله
وبعد يسرني أن ألفت نظر سعادتكم إلى أن مسجد إبراهيم الذي يقال له مسجد نمرة، يرى بعض علماء المسلمين أنه كله من عرفة. وبعضهم يقول إن موقف الإمام ليس من عرفة والنصف الآخر منها، وكل من القولين ضعيف من ناحية دليله، والمعتمد أن المسجد كله ليس من عرفة كما قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، والدليل عليه قوله ﷺ: «عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة»؛ وهذا المسجد واقع في بطن عرنة بالنون، وبناء على اهتمامكم بشؤون المساجد فقد =

عبـد الله بن عامـر بن كريـز الأموي، وهـو أول من أجرى العيـون وزرع

= أحببت أن أقدم لكم هذا الإقتراح لإتخاذ مـا يلزم حيالـه لصحة وقـوف حجاج بيت الله الحرام.

الإقتراح:

(١) إتخاذ بناء مرتفع (٢×٢)، بعلو المسجد بجهاته الأربع.

(٢) الكتابة بخط بارز على هذا البناء بهذه العبارة أو نحوها: (لا يصح الوقوف بهذا المسجد لأنه ليس من عرفة)، وكذلك جوانبه.

(٣) ترجمة هذه العبارة بلغات ليتسنى للحجاج فهم مضمونها.

(٤) إضاءة هذه الكتابة ليلا قبل يوم الوقوف لتلفت نظر الحجاج.

وختاما تقبلوا فائق احتراماتي، وفقكم الله وسدد خطاكم ودمتم.

٢٩ صفر ١٣٨٨ هـ

المخلص

زكريا بيلا

وشكرا جزيلا لمدير أوقاف العاصمة الشيخ عبد الله أزهر على تجاوبه فقد تلقيت منه الجواب الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم ن

حضرة المكرم الشيخ زكريا بيلا، عضو إدارة الحرم المكي الشريف الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد، يسرني أن أفيدكم بوصول خطابكم بشأن مسجد إبراهيم الذي يقال له مسجد نمرة حيث أنه خارج كله عن أرض عرفة التي تعتبر موقفا على المعتمد، وبناء على وجاهة اقتراحكم لأنه يلفت انتباه الحجاج إلى أن أرض المسجد لا تصلح محلا للوقوف، وإن قال به بعض العلماء، فسنعـرضه للدرس تحقيقا للمصلحة الشاملة لقاصدي الحج من إخواننا المسلمين القادمين من شتى أنحاء الدنيا، الأمر الذي نسعى إليه ويحـرص عليه المسئولون دائمـا بجهود موفقة إن شاء الله. وشكرا لكم والله الموفق.

٥/ ٣/ ٨٨ هـ.

مدير أوقاف العاصمة

عبد الله أزهر

أقول أنا العبد الراجي من الرب الرحمن العفو والغفران، قد قرأت بجريدة (الندوة) الصادرة بمكة المكرمة بعدد (٣٠٠) وتاريخ ٢٠ رمضان عام ١٣٨٨ هـ، خبرا يهم المسلمين المؤدين ركعهـم الإسـلامي الخـامس والـوافـدين من شتى الأقـطار =

البساتين (بعرفة). وكانت هذه البساتين بين مسجد (نمرة) وجبل (وصيق). وعرفة تبعد عن مكة تسعة أميال[1]، ومساحتها نحو أربعة أميال مربعة،

= الإسلامية لهذا الغرض نفسه، وقد غمرني الفرح والسرور بنشرها لهذا الخبر الهام، لأنه يتعلق بركن الدين الإسلامي ولأنه يدل على إيمان عميق يحمله صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم الراعي لمقدسات الإسلام والمحافظ عليها بكل إمكانياته، وهذا نص ما نشرته (الندوة):

اللجنة التي أمر الفيصل بتشكيلها لوضع علامات على حدود عرفات والمكونة من طلبة العلم وسكان عرفات ومندوب من وزارة الحج والأوقاف، ويذكر بأن الهدف من ذلك هو وضع علامات ظاهرة للعيان على حدود عرفات ليتسنى لكافة الحجاج رؤيتها والوقوف داخل عرفات على هدى وإرشاد في الحج. هذا وقد عينت رئاسة القضاة الشيخ عبد الله بن جاسر رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية لتمثيلها في الهيئة المذكورة.

وإني أسأل الله تعالى أن يوفق هذه اللجنة ويسدد خطاها فيما تقوم به من عملها القيم الذي يسير على منواله الجم الغفير من قاصدي بيت الله الحرام لتتضح تلك الحدود والعلامات التي ذكرها العلماء الكرام في كتبهم، كما إني أسأل الله الكريم أن يوفقها لتحديد (نمرة) بما يظهر للعيان حيث نزل رسول الله ﷺ وأصحابه البررة الكرام حين قدومه ﷺ من منى بعد صلاة الصبح وطلوع الشمس ثم ارتحاله منها بعد الزوال حتى أتى بطن الوادي من أرض عرنة فخطب الناس ثم صلى وذهب إلى الموقف. ونمرة وعرنة بين عرفة والحرم على طرف عرفة الغربي وعرفة أقرب إلى عرنة من نمرة متصلة بها بحيث لو سقط جوار المسجد الغربي سقط فيها هكذا ذكروه. وذكرت جريدة (عكاظ) الصادرة في ١١ شوال عام ١٣٨٨ هـ أسماء أعضاء هذه اللجنة، وهم: فضيلة الشيخ عبد الله بن جاسر المذكور وفضيلة الشيخ سلمان بن عبيد رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة وفضيلة السيد علوي مالكي المدرس بالحرم المكي وفضيلة الشيخ عبد الله بن فوزان عضو محكمة تمييز القضايا الشرعية وسعادة المستشار الإداري لإمارة منطقة مكة الأستاذ علي أبو العلا وسعادة قائمقام العاصمة الشريف شاكر بن هزاع ومدير إدارة الحج الشيخ محسن بابصيل. وهذه اللجنة قد انتهت من أعمالها المرفوعة إلى رئيس القضاة والمفتي الأكبر العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ لرفعها إلى مقام جلالة الملك فيصل المعظم.

(١) تسعة أميال: عن (٢١) كيلو مترا.

ويتوسطها جبل[1] الرحمة، أو جبل عرفة، وهو الجبل الذي وقف رسول الله ﷺ تحته وجعله على يمينه وهو مستقبل القبلة.

ثم من تشريع الحج أن يتجرد المسلم من زيه الوطني أو القومي الذي كان يتزيا به في بلده، ويلبس الإزار والرداء الأبيض[2] كي يكون عموم المسلمين في هذا المجتمع بزَيّ واحد، وبشكل واحد، وشعار الجميع في هذا المجتمع. وبهذا المؤتمر ﴿لبّيك اللهمَّ لَبّيكَ﴾ وبنزولهم عرفة يتعارفون ويتزاورون، ويتحادثون مع بعضهم بعضاً فيذهب الشامي إلى اليماني، والشرقي إلى الغربي، ويتذاكرون فيما فيه صلاحهم الدنيوي والأخروي، ويؤدي كل فرد لأخيه المسلم ما لديه من النصح والإرشاد، ويبدي كل رجل لأخيه المسلم ما هو فيه من رخاء وشدة، وراحة ومشقة، وجور وعدل، حتى يكون كل فرد منهم على بصيرة عن حالة الإسلام والمسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، فيقدّم القوي للضعيف نجدته، ويبذل الغني للفقير صلته، ثم يقوم الأمير الذي على ذلك الموسم فيهم خطيباً فيعظهم وينصحهم ويرشدهم ويوقظهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

أما صلاح دينهم فهو تركهم[3] الشرك بالله، واتباع الكتاب[4] والسنة، وما عليه السلف الصالح من الهدى والصلاح. ومتى عملوا بذلك نالوا ما

---

(١) جبل الرحمة: واسمه الال على وزن هلال. وأنا نشاهد الحجاج يتهافتون على طلوع هذا الجبل وربما توهم بعض الجهلة أ الوقوف لا يصح إلا بصعوده. والواقع ليس ذلك من المناسك في شيء وإتباع السنة خير من غيرها ولم يثبت أن رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه رضي الله عنهم صعد عليه، نعم موقفه ﷺ هناك معروف، وفي أي جزء من أرض عرفة يجزي الوقوف فيه.

(٢) الأبيض: لعله الأبيضين. ولبسه أفضل لقوله ﷺ: «ألبسوا من ثيابكم البياض».

(٣) تركهم الشرك بالله: قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. وقال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾.

(٤) واتباع الكتاب والسنة: يدل عليه حديث معاذ بن جبل حيث قال له ﷺ حين بعثه =

أدّخره الله تعالى لهم من السعادة الأبدية في الآخرة، وأما صلاح الدنيا فهو إعمار البلاد بكل ما يحتاجون إليه، وصونه من كل تعد، وعمل كل طريقة فيما يربط أهل كل بلد ببلاد إخوانهم المسلمين. ويؤمن طرق المواصلة فيما بينهم، كي يتسنى لكل فرد منهم أن يصل أخاه المسلم بنجدته المادية والمعنوية، وأن يكونوا على الدوام في تآلف وتحابب، بحيث يصبحون كتلة واحدة إذا اشتكى عضو منهم تداعى له سائر العالم الإسلامي بالنجدة.

هذا ما يكون نتيجة التعارف (بعرفة) ثم إذا غربت الشمس نفروا من عرفة إلى (المزدلفة)[1] وبين عرفة والمزدلفة ما يقرب من خمس أميال. والمزدلفة شبه واد ومساحتها نحو نصف مساحة عرفة فإذا وصلوا إلى المزدلفة باتوا بها، وفيها يقع تعارف آخر، وذلك إذا نزل بها الحاج يجد بجواره أناساً من إخوانه المسلمين غير الذين كانوا بجواره يوم عرفة، فيختلط بهم ويتعارف معهم ويجري بينهم نحو ما جرى بعرفة من التعارف والتواصل، والتواصي بالحق والصبر.

هذا ما يكون بالمزدلفة من التعارف، ثم يفيضون من المزدلفة إلى (منى) ومتى وصلوا (منى) أتوا (جمرة العقبة) وهو شاخص[2] مبني على

= إلى اليمين: «بم تحكم؟»، قال: بكتاب الله تعالى. قال ﷺ: فإن لم تجد؟، قال: فبسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟»، قال أجتهد رأيي. فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله». وقوله ﷺ في حجة الوداع: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله».

(١) المزدلفة: لها ثلاثة أسماء (مزدلفة) و(جمع) و(المشعر الحرام).

(٢) وهو شاخص: لا دخل للشاخص في جمرة العقبة والجمرتين حتى يقول المؤلف رحمه الله أنهما الشاخص، لأنه الجمرة إسم لمجتمع الحصا سميت بذلك لاجتماع الناس بها. يقال: تجمر بنو فلان، إذا اجتمعوا. وقيل أن العرب تسمي الحصا الصغار جماراً فسميت بذلك تسمية الشيء بلازمه. وقيل لأن إبراهيم لما =

الموضع الذي رجم فيه سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ الشيطان، وصار بعد ذلك من مشاعر الحج حيث فيه مصلحة للحجاج وهي التعارف أيضاً مع كل من يأتي إلى جمرة العقبة فيرمون الجمرة بسبع حصيات، ثم يتحللون التحلل الأول وينحرون هديهم ويطعمون منه الفقراء، ويحلقون رؤوسهم أو يقصرون.

هذا ما كان من العمل في (منى) بعد النزول من عرفة، ثم ينزلون

= عرض له إبليس فحصبه جمر بين يديه أي أسرع فسميت بذلك. والعقبة: الطريق في الجبل وإليه تنسب الجمرة بحكم الجوار علماً بالغلبة، ولو كانت الجمرة الشاخص المبنى القائم الآن لما قرر العلماء أن الرمي المعتبر هو بحصول كل حصاة في المرمى الذي هو الأرض المحيطة بالميل المبني. فلو طرح الحصاة في رأس البناء لم يعتد بها لأنها لم تحصل في المرمى. ذكر في حاشية البجيرمي على الإقناع أن العلم هو البناء لو أزيل فإنه يكفي الرمي إلى محله بلا شك، لأن العلم لم يكن موجوداً في زمن النبي ﷺ وقد رمى هو وأصحابه إلى الجمرة ولم ينقل أنهم تحروا موضعاً منها دون آخر وترك النقل مع تقدير تحريهم في غاية البعد، وأعلم أن جمرة العقبة حد لمنى من جهة مكة وليست من منى ولذلك لا يعتد مبيت من بات أسفل منها أو عندها مما يلي مكة. وفي رسالتي المسماة بالمختصر في حكم الأحرام من جدة: وجمرة العقبة ليست من منى زيادة بحث وإيضاح، وبناء على حدوث هذا الشاخص على ما قاله البجيرمي وعدم صحة الرمي إليه فيما إذا قصده بالرمي، أو بقيت عليه حصاة، وبناء على ما يسببه هذا الشاخص من اعتقاد فاسد لا يتفق مع سماحة الدين الإسلامي وهو اعتقاد بعض الناس حبس الشيطان داخله، ولذلك تجده حين الرمي يسخط عليه ويتفل على الشاخص. وبعضهم يلتقط حجراً كبيراً ويرمي، ومنهم من يأخذ نعلاً ويرميه هكذا غلو في الدين وقد نهينا عنه في قوله ﷺ: «وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين». وسخافات كلها تجري عند الجمرة أمام أعين الحجاج العقلاء، الفاهمين لمعنى الحج وكيفية الرمي وحكمته. فعليه يجب اتخاذ إجراءات حاسمة لقطع هذا الاعتقاد الفاسد ومنع الأعمال الهزلية في عمل ديني، بما يقرره ذوو الآراء السليمة والنظريات الصحيحة بما لا يتنافى مع الشريعة الإسلامية، وأحرى بذلك العلماء الأعلام وفقهم الله لإعلاء شأن الإسلام.

إلى مكة ويؤمون البيت الحرام، فيطوفون (بالكعبة) سبعاً، وهنا تعارف آخر مع الطائفين بالبيت العتيق حيث يكون الحاج في طوافه مختلطاً مع غيره ممن تعارف معهم بعرفة، والمزدلفة، وعند رمي جمرة العقبة، فمتى أتم طوافه صلى خلف (مقام إبراهيم الخليل ﷺ) ركعتين سُنّة الطواف، ثم يُيَمّم نحو (الصفا) فيسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، وهنا في أثناء السعي يحصل التقابل بين الحجاج فيتجهون وجهاً لِوَجه، فيلتقي الشرقي بالغربي، والشمالي بالجنوبي، فإن كان قد سبق لأحد منهم تعارف مع آخر في يوم عرفة، أو ليلة المزدلفة، أو في رمي جمرة العقبة، أو بالطواف، حيَّاه بتحية الإسلام، وإذا لم يكن قد سبق له معه تَعارفٌ، تَعَارَفَ معه في أثناء السعي مجدداً.

هذا ما كان من التعارف بمكة حال الطواف والسعي، ثم بعد ذلك يعود الحاج إلى (منى) وفيها يتزاور المسلمون مع بعضهم بعضاً في سمرهم ليالي (منى).

ومن المشاعر التي بمنى رمي (الجمرات الثلاث) ويحصل عند الجمرات الثلاث من التعارف والوصول إلى من تعارف معه بعرفة، والمزدلفة، وبمنى، وبمكة، ما لا يحصل عند غيرها، وذلك أنه متى أراد الحاج أن يبحث عن رجل أو جماعة، تعارف معهم بعرفة أو المزدلفة أو بمكة، فإنه يتمكن من الوصول إلى لقائه عند أحد الجمرات الثلاث، لأن من واجب الحج على كل حاج رمي الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام (منى)، كل جمرة بسبع حصيات. فإذا وقف عند أحد الجمرات الثلاث فلا بد أن يلقى به إذا كان فرداً، أو بأحد أفراد الجماعة إذا كانوا جماعة أو بهم جميعاً فيصحبه أو يدعوه إلى منزله، فيتحادث معه فيما فيه مصلحة الجميع، ويتعرف بواسطته بمعارفه، وهكذا يدور التعارف فيما بين المسلمين في مناسك الحج طيلة أيامه، فلا يعود الحاج إلى بلاده إلا وقد تعارف بمئات من إخوانه المسلمين من عموم أجناسهم وطبقاتهم، ووقف

على حالتهم وما هم فيه من رخاء وشدة.

ثم يقوم أمير الحج أو نائبه في أيام منى، في يوم النحر والذي يليله بخطبة يعظ بها عموم المسلمين ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم كما فعل رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقد خطب خمس خطب، الأولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة، والثانية يوم عرفة، والثالثة يوم النحر بمنى، والرابعة يوم (القر) وهو اليوم التالي ليوم النحر، والخامسة يوم النفر الأول بمنى، وكانت تلك الخطب محتوية على النصح والإرشاد والتشريع والإجتماع، وكل ما فيه فلاح ونجاح للأمة الإسلامية.

هذا ما ظهر لي من الحكمة في تشريع الحج، فإنْ أصبت المقصد الديني والدنيوي من هذا التشريع الاجتماعي أو بعضه فالحمد لله تعالى، وإن أخطأت في التوضيح أو قصَّرت فاستغفر الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم، ولكل مجتهد نصيب، وقد رأيت في بعض المجلات أن أحد العلماء سئل عن الحكمة في رَمْي الجمار، فأجاب: إن رمي الجمار من الأمور التعبدية كعدد ركعات الصلاة[1]. والظاهر أنَّ أجاب بهذا الجواب قبل أن يؤدي فريضة الحج، ولو حج ونظر بتفكر إلى الحكمة في تشريع الحج بما فيه الجمرات لأجاب بمَا أجبت أو بأوضح مما ذكرت، والكمال لله وحده، ولكلٍ فهمه.

وهنا قبل أن أختم هذا البحث أتساءل مع الملاحدة، والمشككين والمجددين والمقلدين لأقوال ملاحدة الغرب تقليداً أعمى: هل كان يوجد مثل هذا التشريع الاجتماعي عند أمة من الأمم غير الأمة العربية قبل الإسلام على شكل خاص، ثم صار عند الأمة الإسلامية بشكل عام وعلى

---

(١) كعدد ركعات الصلاة: لعله يريد بالتعبد فيما يختص بعدد الحصى وأنها سبع حصيات في كل رمية للجمرة، بدليل قوله: كعدد ركعات الصلاة، وبهذا أرجو أن يستقيم كلامه، والله أعلم.

طريقة منظمة أعظم وأحسن مما كان عليه العرب في جاهليتها؟؟ وهل إن عند الأمم الغربية في العضر الحاضر من الأندية، والمجتمعات السياسية، والمعارض العمومية، ما يضاهي الأندية والمجتمعات التي جاء بها الإسلام للأمة الإسلامية كما تقدم؟.

ثم علاوة على ذلك فإنه قد جعل أعضـاء هذا المؤتمـر من عموم طبقات المسلمين لا فرق فيه بين الذكر والأنثى والشريف والوضيع، الكل فيه سواء، كما أنه قد كان مبدأ هذا المؤتمر منذ أربعة عشر قرناً؟؟ وذلك حينما كان الغرب يتخبط في ظلمات الجهل لا يملك من مواد الاجتماع ولا التشريع شيئاً بل ولم يكن عند الفرس والرومان من التشريع الاجتماعي ما يضاهي التشريع الإسلامي أو بعضه كما شهد بذلك فلاسفة الغرب منهم (كارليل) و(الكونت هنري) و(سديو) و(درابر) و(دوزي) و(ليون روش) و(سنكس) وغيرهم كما سيأتي تفصيل ذلك في خاتمة هذا الجزء؟ أو أنه أغراهم كون معظم عامة المسلمين في العصر الحاضر يجهلون أهمية هذا التشريع الاجتماعي العظيم، ولذلك تقاعدوا عن أداء فريضة الحج، وأن معظم من يأتي إلى الحج لا يشعرون بحكمة هذا التشريع الاجتماعي فإذا كان الأمر كذلك فعلى من يكون تبعة ذلك؟ ألم تكن تبعة هذا التقاعد على علماء المسلمين؟ أولئك الذين أشغلتهم المصالح الخاصة بهم عن مصلحة أمتهم؟؟

ولا شك أن تقاعد علماء الإسلام عن واجبهم الاجتماعي هو الذي أخرَّ المسلمين في عموم أعمالهم الدينية والدنيوية، وهو السبب الوحيد في تفكك المسلمين وتمزقهم شـر ممزق، وهـذا الذي جعـل المـلاحـدة، والمشككين، والمجددين، والمتمردين على الإنسانية، أن يرفعوا عقيرتهم، وينفخوا في بوقهم برفض الدين الإسلامي، وقولهم إنه حجر عثرة في سبيل تقـدم معتنقيه إلى الأمـام، مع أن هؤلاء قـد خيم الجهل والغـرور على أسماعهم وأبصارهم، فإنك تجد أبعدهم نـظراً لا يرى مـا على أنفه من

القذارة والخزي والشنار وذلك لشدة غباوته، وكل ما يكتبه هؤلاء هو صادر عن دماغ أجوف فارغ من كل تصور معقول.

والذي دعانا إلى ذكرهم هنا هو ما نراه من بعض الشبيبة الذين أغرتهم رعونة الشباب إلى الإعتقاد فيهم بأنهم علماء التجدد، وأنهم المصلحون في هذا العصر الذي هو عصر العلم والمدنية، ولذلك قلّدوهم تقليداً أعمى في كل شيء وما كان ذلك إلا لقصر مداركهم عن تصور ما يكتبه أولئك المتمردون على الإنسانية من باب الوقاحة بإنكار الحقائق! لا لشيء سوى التمرد على الفضيلة، لكونها حجزت عليهم شهواتهم البهيمية، فقد أخذ بهم التبجح كل مأخذ حتى أنكروا وجود الأنبياء وبالأخص وجود نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ وجعلوا وجوده في الكتب إسمياً، وهو حديث خرافة لا أصل له. وأنكروا كون القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام من رب العزة جل جلاله على نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ هو من عند الله تعالى، وقالوا إنما هو كتاب عادي ككل الكتب قابل للنقد، وتراهم يصرحون بذلك بكل وقاحة وتبجح! وأشد وقاحة من ذلك كونهم يعدون أنفسهم من المسلمين! وأشد وأفظع وأشنع من كل هذا وذاك أنهم يعدون أنفسهم من حماة الإسلام وأنهم هم القائمون بتطهيره من الجمود والرجعية. يقولون ذلك بكل وقاحة ولا يخجلون، وكأنهم يظنون الإسلام زريبة للبهائم أو جُحْر ضب خرب يأوي إليه أمثال هؤلاء المنبوذين من الإنسانية والذين تمردوا على مكارم الأخلاق والفضيلة، فلو كان عندهم شعور أو جزء بسيط من الإدارك لعلموا أن الإسلام أجلّ وأرفع من أن يسمح لأحد من هؤلاء ومن على شاكلتهم أن ينتسب إليه، ولعلموا أن مرجعهم الجحيم. أولئك هم الذين أصمَّهم الله وأعمى أبصارهم، فمثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

وإن من أشد الناس غباوة وجهلاً وحماقة من يعتقد في هؤلاء وأمثالهم أنهم من علماء الإسلام، وأنهم هم الذين قد قاموا بنصرة حرية الرأي في

النقد، وأنهم هم المجددون لنفائس العلوم.

فلو كان هؤلاء الذين يعتقدون في أولئك الذين أصمهم الله وأعمى بصائرهم أنهم من العلماء مثقال ذرة من إدراك لعلمَوا حقيقة أمرهم، وأنهم من دعاة الضلال، ومن أشد الناس تعمقاً في الجهل، لأنهم يظنون أن النقد الحرّ هو البذاءة، والسفسطة، والتبجح، والتعرض للشخصيات، والحط من كرامة علماء الإسلام.

فلو كانوا على زعْمهم أنهم من أهل العلم وأن مسلكهم النقد الحر لعلموا أن النقد الحرّ الشريف الذي يراد به نصرة الحق وإظهار النتيجة إنما هو قرع الحجة بالحجة، ومقابلة الرواية الضعيفة بالرواية الصحيحة، والرأي السقيم بالرأي الصائب، وليس النقد كما يزعم هؤلاء المنبوذون من الإنسانية أنه التعرض للشخصيات بالبذاءة، والسفسطة، والتشكيك والحيرة، والتخبط في ظلمات الجهل، كما عليه هؤلاء الجهلاء بجهلهم، حيث تراهم يتعرضون ببذاءتهم وتبجحهم للأنبياء والمرسلين، والكتب المنزلة عليهم من السماء وبالأخص كل ما ينسب للإسلام من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ورجال العلم، والإصلاح، وأئمة الهدى، وليس ذلك لشيء سوى الحطّ من كرامة الأنبياء والمرسلين والكتب المنزلة عليهم وتزييف ما دبجه يراع جهابذة الإسلام من العلوم والمعارف، وكذلك لأجل تضليل الناشئة الإسلامية، فقد تمردوا على الإنسانية والعلم والمدنية، كل ذلك ابتغاء لمرضاة ملاحدة الغرب وتقليدهم تقليداً أعمى مقابل دراهم معدودات، وألقاب جوفاء كألقاب دور التمثيل التي لا تنطبق على الحقيقة، بل هي ألقاب مؤقتة تنتهي بانتهاء الرواية وكل ذلك واقع منهم بدون تفكر أو تبصر في السبب الذي جعل ملاحدة الغرب يلحدون في ديانتهم ومعتقداتهم.

فلو فكروا قليلاً وتبصروا في سبب ذلك لظهر لهم أن إلحادهم كان خاصاً برفض وإنكار مذاهب الكنائس وما تأتيهم به القسس من الغطرسة

بإسم الدين، ولم يتجاوزوا ذلك بل إنهم يقدرون رجال العلم والفن والأدب وكل ما فيه فضيلة، وأما هؤلاء المقلدون لهم فقد اشتبه عليهم الحابل بالنابل وظنوا أن مذهب الإلحاد في الغرب هو مناصبة عموم الحقائق وعموم الأبطال، وكل من اتصف بالعلم والأدب ومكارم الأخلاق بالعداء، فأخذوا يتطاولون بالبذاءة على كل رجل من رجال العلم والفن والأدب من المسلمين وعلى كل ما دبجه يراع أبطال الإسلام بإسم النقد الحر، على مذهبهم أن النقد الحر هو البذاءة والتبجح والسفسطة، ويظنون أنهم قد شفوا غليلهم وأنهم قد حطوا من قدرهم وزيفوا كل مكرمة وفضيلة لهم، مع أنهم مخدوعون بذلك الغرور وما هم إلا كناطح صخرة ليوهنها، ولم يشعروا أن الوهن قد أصاب رؤوسهم وفلق أدمغتهم بدون جدوى، حيث أن تطاولهم على علماء الإسلام يعد رفعة لهم لأن مدحهم يعتبر ذماً عند أولي الفضل من الرجال، كما أن ذمهم يعتبر مدحاً ورفعة؛ لأنهم أعداء العلم والإنسانية والفضيلة؛ بل وأعداء الحقائق الظاهرة.

وحقيقة أمر هؤلاء أنهم يتخبطون في ظلمات الجهل، فتراهم مرة يقلدون الملاحدة في رفض الأديان، ومرة يقلدون مذهب (رينيه دي كارت) في التشكيك. وإليك نبذاً من فلسفة رينيه دي كارت لتقف على شيء من مذهبه ولتعلم أنه في واد وهؤلاء في وادٍ آخر.

يقول دي كارت: «إنه ما دامت الحواس قد تخدعني كثيراً في بعض الأحايين فمن الحزم أن لا نثق البتة في الذين خدعونا مرة واحدة فيجب الإقرار بأننا نتصور في الحلم أشياء نحسبها إذ ذاك حقيقة فإذا استيقظنا تبدد الحلم وتبين لنا ما رأيناه في أثناء النوم لم يكن من الحقيقة في شيء، ومعنى هذا أن كثيراً من الصور والأفكار التي تتوارد أمامنا في اليقظة ترد علينا بنفسها في أثناء النوم دون أن تكون إذ ذاك حقيقة، وإذاً ما الذي يمنع أن تكون تصوراتنا في اليقظة مثل تصوراتنا في النوم كلها خيالات وأوهام؟

ومن الناس من يخطئون في التفكير حتى في أبسط أمور الهندسة ويأتون فيها بالمغالطات فلنحكم إذاً بأننا عرضة للزلل ولننبذ ضمن الباطل كل الحجج التي كنت أعتبرها من قبل في البرهان حتى ولو اقتضى الأمر أن نقول إن السماء والأرض والألوان والأشكال وسائر الأشياء الخارجة لا تكون إذاً إلا أوهاماً وأحلاماً، ولنفرض أيضاً أن ما نعتبره من أنا حائزون على أيد، وعيون، وآذان، ولحم، ليس إلا مجرد اعتقاد باطل». هذه نبذة من فلسفة رينيه دي كارت.

وقد قال الغمراوي في كتابه النقد التحليلي: إن دي كارت حين أخذ الشك يساوره كان غلاماً ناشئاً يتربى في إحدى كليات الجزويت، وكان حين غلا في الشك فأطرح كل شيء وشك في كل شيء مما تلقاه في تلك الكلية شاباً لم يكد يتجاوز العشرين ولم يكد يغادر باب الكلية إلى ميدان الحياة، فشكه ذلك كان شك الفتى الغرير لا العالم الخبير، ومن الظلم أن نحتج به أو نشتد في محاسبة صاحبه.

فإذا تأملت مقالة دي كارت وفهمت ما يقصده علمت أن كل شيء في نظره عبارة عن خيال لا حقيقة له.

فقام هؤلاء الذين قلدوهُ تقليداً أعمى يشكون في وجود الأنبياء والرسل، وفي نزول الكتب المقدسة، بل وجود الخلفاء الراشدين، ويقولون إن كل ما دوَّنه التاريخ عن هؤلاء حديث خرافة، ويشكون أيضاً في صحة كتب الإسلام عموماً، فالقرآن المجيد في نزوله من السماء شك عندهم وهو قابل للنقد. وكتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد، أوهام وخيالات. وكتب التاريخ حديث خرافة، وكتب الأدب كلها موضوعة وليس لها أصل قديم ترتكز عليه غير الخيال والوهم.

وبالإجمال، إن كل ما كان قد ألِفه السلف الصالح قبل القرون الوسطى مشكوك في صحة إسناده إلى مؤلفيه لأن مؤلفيه مشكوك في صحة

وجودهم، فكيف والحالة هذه يسوغ لهم أن يزعموا أنهم من المسلمين وأنهم من زعماء الإسلام، ولا أدري لم لا يشكون في أنفسهم أنهم ليسوا من الإنسانية في شيء بل إنهم من القردة، وعبدة الطاغوت لأنهم بالقردة أشبه من الإنسان العاقل. ولا أدري أيضاً هل عندهم إدراك لما يقولونه أم قد فقدوا كل شعور غير الشك والريبة في دين الإسلام، مع أن الدين الإسلامي قد جاء بالحقيقة مجردة من كل شبهة وتردد، ونفى عن معتنقيه كل شك وحيرة في وجود الله تعالى، وأظهر لهم سنن الكائنات، ونظام العالم والأمم، وطرق السعادة الأبدية.

ولو فكَّر هؤلاء وأمثالهم فيما جاء به الإسلام لظهرت لهم الحقيقة طاهرة نقية من كل ريبة وشك وتردد، كما ظهر ذلك لكثير من علماء الغرب الذين درسوا بعض كتب الإسلام كما سأوضحه في خاتمة هذا الكتاب ولكنهم في ظلمات الجهل سابحون، وهم عن الحقيقة غافلون، ألا يخجلون مما هم فيه وقد تناولتهم أقلام المصلحين من كل جانب مثل الرماح الذوابل، ومثل الشهب المحرقة، وكالصواعق المهلكة، أو السيوف البتَّارة، تَبُتُّ في أضاليلهم، ومفترياتهم، على الإسلام وأهله، فزيفت آراءهم، وأدحضت كل نظرية لهم، وأبانت للملأ فساد أفكارهم وسوء قصدهم نحو الإسلام وأهله، وأنه ما كان انتسابهم إلى الإسلام إلا تضليل الناشئة الإسلامية، وأن يغرسوا في قلوبهم الشك والريبة فيما أدخره السلف الصالح للخلف الطاهر من العلوم والمعارف، وأملوا في أدمغتهم أن ما نقله الخلف الطاهر عن السلف الصالح هو حديث خرافة لا أصل له.

وإن كل ما نقله علماء القرون الوسطى من المسلمين عن سلف الإسلام باطل لا حقيقة له، وكأنه في نظرهم أن العالم لم يخلق إلا في القرون المتأخرة؟

وكل ذلك مبناه على الشك والريبة، وكل ذلك ناشيء عن جهل

وغرور سببه رداءة الأخلاق، فلو كانـوا يملكون من العقـل، أو الإدراك، مثقال ذرة لما قلدوا شاباً متحيراً مثل دي كارت في تشكيكه وهو شاب قبل أن ينضج عقله وتتخمر نظرياته في مخه، ويتركون فلاسفة الغرب العظام مثل كارليل، والكـونت هنري دي كـاستري، وسـديو، ودرابـر، وجستاف لوبون، ودوزي، وغيرهم إذا كانت رغبتهم دراسة ما يكتبه علماء الغرب، ولكن الـذي يظهـر من عـدم تتبعهم لأقـوال المنصفين من أهـل الغـرب وبـالعكس في انكبـابهم على درس الكتب الشـاذة عن نـظام الكـون، والمملوءة شكاً وحيرة، هو أعظم دليـل على أنهم لا يريـدون الحق ولا يعرفون طـريقه، لأنهم قـد جبلوا من أصل نشـأتهم على الفساد والـزيغ والضلال والشر والمشاغبة، وبث كل رذيلة، والإبتعاد عن كل فضيلة.

فهل يتصور عاقل أن قوماً مُنِحُوا فهماً وإدراكاً، يقلدون شاباً أو رجلاً متحيراً، قصر إدراكه عن التفكر في خلق السموات والأرض، كما قصـر فهمه عن تصور الكائنات، إلاَّ أنهم على أحد أمرين: إما أنهم قد سلبوا العقل، أو جبلوا على الشر.

ولا شـك أن هؤلاء قد خلقـوا بلا عقـل، وأنهم جبلوا على الشـر والخزي، والمقْت، فهم الذين قال في أمثالهم المولى جل جلاله في كتابه المنزل على نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَـومِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ومـا يخْدَعُـونَ إلاَّ أنْفُسَهُم وَما يَشْعُرونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون * وإذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * الا إنْهم هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ * وإذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كمَا آمَنَ السُّفَهاءُ أَلاَ إنْهُمْ هُمُ السُّفهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعلَمُون وإذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمنّا وإذَا خَلَوْا إلَى شَيَاطِنِهمْ قَـالُوا إنّـا مَعَكُم إنّمَا نَحْنُ مُسْتَهْـزِؤُنَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِىء بِهِمْ وَيَمُـدّهُمْ فِي

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون * أولَئِكَ الّذِينَ اشْتَرُوا الضّلاَلَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ومَا كَانُوا مُهْتَدِين * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَما أَضاءتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُون * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُون﴾ سورة البقرة.

هذا ما قاله رب العزة جل وعلا في أمثال هؤلاء المجددين لما كان في الأزمان السالفة من إلحاد وتمرد على ما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من الهدى ودين الحق.

فقد أبان المولى جل وعلا ما تكنه صدورهم، وما تخفيه أفئدتهم، من الزيغ والضلال، وهو أعلم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور. يظن هؤلاء أنهم سيهدمون صلاح الإسلام بمعاولهم السفسطية الفاجرة وقد جهلوا ما قاله بعض المستشرقين في الإسلام: «إن الإسلام قوي الجانب وليس من الممكن هدم صرحه أو إيقافه عن تقدمه رغماً عما بذلته الجمعيات التبشيرية من الملايين الطائلة في إنشاء المستشفيات والملاجىء، وبعث رسل التبشير في عموم أنحاء البلاد الإسلامية، ورغماً عما قام به بعض أفراد وجماعات من المسلمين أنفسهم من التمرد على دينهم والخروج على شريعتهم، ورغماً عن تقاعد المسلمين من بث دعاة الإصلاح والتبشير لدينهم، فإن الإسلام لا يزال يتسع نطاقه في المعمورة، ويكثر أهله».

هذه شهادة للإسلام من عدو ألَدّ، وكما قيل (والفضل ما شهدت به الأعداء) ولا يزال الإسلام عزيز الجانب، عالي الرأس، ما دام فيه رجال مصلحون يبثون دعوته بصدق وإخلاص في عموم أنحائه ويؤدون واجبهم نحن إعلاء كلمة الله تعالى، وما دام هناك قسم عظيم من الناشئة الإسلامية قد نشأوا على مبادىء الدين الإسلامي القويم، وعلى مكارم الأخلاق، وشبوا على الإيمان الصحيح وقد برزوا لمقاومة الإلحاد ومصارعة المتمردين

على الإسلام والإنسانية، وبرهنوا على صدق إيمانهم وصحة إسلامهم. فلا شك أن هذه الشبيبة الصالحة سيكون لها شأن في المستقبل، ويكون النصر حليفها في مصارعة الملاحدة والمشككين والمتهوسين، حيث يصبحون هم رجال الإسلام وزعماءه والذّابين عن بيضته وما ذلك على الله بعزيز وهو سبحانه وتعالى المقيض لهذا الدين القويم رجالاً مصلحين[1] يضحون في سبيل إعلاء كلمته أرواحهم ونفوسهم وكل عزيز لديهم.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر كلمة عن دعوى هؤلاء الملاحدة والمشككين أنهم من علماء الإصلاح والأدب، ويتشدقون بإسم العلم. فنقول: إن العلم من حيث هو أجلّ وأعظم وأرفع من أن ينتسب إليه أحد من هؤلاء وذلك لأن العلم هو ضد الجهل على خط مستقيم، لأن العلم جوهر شفاف لا يقبل أن يلتصق به شيء من الجهل، لأن الجهل قذارة، والعلم نور من الله تعالى أيضاً تستضيء منه القلوب وتستنير به الأبصار، فلو أن عند هؤلاء شيئاً من العلم لظهر نوره على وجوههم المغبرة، ولتطهرت قلوبهم من الرجس والفسوق، والعصيان، والبذاءة، والتبجح، ولكنهم في غرورهم يسبحون وفي جهلهم يتعمقون، وفي غباوتهم يتخبطون.

فهذا إمام قريش محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، ذلك الإمام العظيم المجتهد الذي قد مارس العلم وخاض غماره والذي قد اعتنق مذهبه ما يربو على ثمانين مليوناً من المسلمين يصف شدة غزارة العلم وبعد غوره بقوله:

كلما أزداد علماً زادني علماً بجهلي

ومعنى ذلك أن العَالِمَ المتنور إذا مارس العلم ببصيرته وخاض

---

(١) مصلحين: وفي الحديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

بحاره بحكمته، اتضح له أنه كلما توغل في بحر العلم انكشف عن بصيرته حجاب من حجب الجهل، وأنه كلما انكشف عنه حجاب من حجب الجهل ظهر له سعة ذلك البحر الغزير المترامي الأطراف، الذي لا ساحل له، فيرى أنه لعظم بعد المسافة يتعذر عليه الوصول إلى منتهى حد العلم الأقصى وأن العمر ينقضي دون الوصول إلى منتهاه، وأن الأجل أقرب من الوصول إلى نهاية ذلك البحر العميق.

فإذا كان الإمام الشافعي الذي قدر علمه معظم أرجاء المعمورة يقول:

كلما أزداد علماً زادني علماً بجهلي

ويعترف بالجهل عن إدراك كثير من العلوم التي قد أوجدها الله تعالى في هذا الكون العظيم الخَلْق، فما بالك بهؤلاء الذين يعدون أنفسهم من قسم العلماء، أيظنون أن العلم هو الغطرسة؟ وحرية الرأي هي الوقاحة؟ والخطابة هي الجعجعة والنقد هو التبجح؟ وشقشقة اللسان هي الفصاحة؟ ألم يكن بطن الأرض لهؤلاء الجهلاء خيراً من ظهرها؟ والموت لهم خيراً من الحياة؟ والصمت خيراً لهم من التكلم بالبذاءة؟ والبكم خيراً لهم من النطق بالسفسطة؟ وأن في ذلك ستراً لمساويهم من الخزي والعار الذي توغلوا فيه.

يقول جمال الدين الأفغاني رحمه الله: «ما أخرَّ الشرق إلا عدم تقدير أهله لرجال العلم». هذا ما يقوله الفيلسوف الحكيم عن حالة الشرق في عصره وهو المَرَضُ الذي لم يشف منه الشرق حتى الآن في كثير من أقاليمه، فكيف به لو أدرك هذا العصر ورأى وسمع ما يتبجح به أذناب الملاحدة وجرائيم الفساد من التطاول بالبذاءة على الأنبياء والمرسلين، والكتب المنزلة عليهم، وعلى زعماء الإسلام، وعلمائه، ونبغائه، وفلاسفته، ومفكريه، والتصدي لكل داع إلى الفضيلة والإصلاح بالمكروه.

فلا شك أنه يأسف أشد الأسف على هذه الحالة، ولشمر عن ساعد الجد لمحاربتهم كما حارب الدهريين في عصره.

هذا ما أردت بيانه لكل بصير عاقل وبالله التوفيق.

قصة كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن سلمى المزني؛ وأبوه زهير بن أبي سُلمىٰ الشاعر الكبير صاحب المعلقة. كان كعب بن زهير من شعراء العرب في الجاهلية مثل أبيه[1] وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض قبائل العرب بشعره على قتال النبي ﷺ، وقد أهدردمه النبي ﷺ يوم فتح مكة، ثم لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره: أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وإن من بقي من شعراء قريش ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك حاجة فَطِرْ[2] إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن كنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض.

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به أعداؤه فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد مفراً أنشأ قصيدته الآتية مدح فيها رسول الله ﷺ وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من أعدائه، ثم خرج حتى أتى المدينة فنزل على رجل من جهينة[3] كانت بينهما معرفة، فغدا به إلى

---

(١) مثل أبيه: وكذلك ابنه وابن ابنه العوام بن عقبة.

(٢) فطر: أي أقبل مسرعاً إلى رسول الله ﷺ وقوله إلي نجائك أي إلى محل ينجيك.

(٣) فنزل على رجل من جهينة: ولا ينافيه ما جاء عن سعيد بن المسيب من أن كعباً لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضي الله عنهم فدل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فصحبه إلى رسول الله ﷺ لإمكان نزوله على الجهنى وهو الذي أخبره بأن أبا بكر أرق الصحابة وأتى به إليه ثم تقدم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكعب على أثره فلما أمن عرفه بنفسه هكذا قاله الزرقاني.

رسول الله ﷺ حين أصبح فصلى مع رسول الله ﷺ ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه، فقام كعب إلى رسول الله ﷺ حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به. قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه» فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم الأنصاري وذلك لأنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير فقال قصيدته يمتدح بها رسول الله ﷺ التي هي:

بانت سعاد[1] فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا اغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلوا عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذي شبم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غادية بيض يعاليل
فيا لها خلة لو أنها صدقت ... بوعدها أو لو أن النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها ... كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغول
وما تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل

(١) بانت سعاد: إسم امرأة، قيل إنها امرأته وبنت عمه خصها بالذكر لأنه غاب عنها طويلاً لهروبه من النبي ﷺ كما قاله الزرقاني ولما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى في آخره من كثرة شروح هذه القصيدة تركنا التعرض لشرحها ولتراجع.

فـلا يغرنـك مـا منت ومـا وعـدت ... إن الأمـانـي والأحـلام تضليـل

كـانت مواعيـد عرقـوب لهـا مثلاً ... ومـا مـواعيـدهـا إلا الأبـاطيـل

أرجـو وآمـل أن تـدنـو مـودتهـا ... ومـا إخـال لـدينـا منـك تنـويـل

أمست سعـاد بـأرض لا يبلغهـا ... إلا العتـاق النجيبـات المـراسيل

ولـن يـبـلغـهـا إلا عـذافـرة ... لهـا على الاين إرقـال وتبغيـل

من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت ... عـرضتها طـامس الأعلام مجهـول

تـرمي الغيـوب بعيني مفـرد لهق ... إذا تـوقـدت الحـزان والميـل

ضخم مـقلدهـا فـعم مـقيـدهـا ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

غلبـاء وجنـاء علكـوم مـذكـرهـا ... في دفهـا سعـة قـدامهـا ميـل

حـرف أخـوهـا أبـوهـا من مهجنـة ... وعمهـا خـالهـا قـوداء شمليـل

يمشي القـراد عليهـا ثـم يزلقـه ... منهـا لـبـان وأقـراب زهـاليـل

عيرانة قذفت بالنحض عن عـرض ... مـرفقهـا عن بنـات الـزور مفتـول

كـأنمـا فـات عينيهـا ومـذبحهـا ... من خـطمهـا ومن اللحيين بـرطيـل

تمـر مثل عسيب النخـل ذا خصـل ... في غـارز لم تخـونـه الأحـاليـل

قنـواء في حـرّتيهـا للبصيـر بهـا ... عتق مبين وفي الخـدين تسهيـل

تخـدي على يسـرات وهي لاحقـة ... ذوابـل مـسهـن الأرض تحـليـل

سمر العجايات يتركن الحصى زيما ... لـم يقـهن رؤوس الأكـم تنـعيـل

كـأن أوب ذراعيهـا إذا عـرقـت ... وقـد تلفـع بـالقـور العسـاقيـل

يـومـاً يـظل بـه الحـرباء مصطخـداً ... كـأن ضـاحيـه بـالشمس محلول

وقـال للقـوم حـاديهم وقـد جعلت ... ورق الجنادب يركضت الحصى قيلُ

شـد النهـار ذراعـاً عيطل نصف ... قـامت فجـاوبهـا نكـد مثـاكيـل

نـواحـة رخـوة الضبعين ليس لهـا ... لمـا نعى بكرهـا النـاعـون معقـول

تفـري اللبـان بكفيهـا ومـدرعهـا ... مشقق عن تـراقيهـا رعـابيـل

يسعى الـوشـاة بجنبيهـا وقـولهم ... إنـك يـا ابن أبي سلمى لمقتـول

وقـال كـل صـديـق كنت آملـه ... لا ألهينـك إني عنـك مشغـول

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول
نبئت إن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بإن الله تنويل
حتى وضعت يميني ما أنازعه ... في كف ذي نقمات قيله القيل
لذاك أهيب عندي إذ أكلمه ... وقيل إنك منسوب ومسئول
من ضيغم من ضراء الأسد مخدرة ... ببطن عثّر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحم من الناس معفور خراديل
إذا يساور قرناً لا يحل له ... أن يترك القرن إلا وهو مغلول
منه تظل سباع الجو نافرة ... ولا تمشي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة ... مضرج البزوالدرسان مأكول
إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق ... كأنها حلق القفعاء مجدول
لا يفرحون إذا نالت رماحهم ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن إلا في نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل

قال عاصم بن عمرو بن قتادة: فلما قال كعب (إذا عرد السود التنابيل) وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته غضبت عليه

الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن. وقال غيره إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده «بانت سعاد» «لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل» فقال كعب هذه الأبيات:

من سره كرم الحياة فلا يزل	في مقنب من صالحي الأنصاري
ورثوا المكارم كابراً عن كابر	إن الخيار هـمُ بنو الأخيار
المكرهين السمهري باذرع	كسوالف الهندي غير قصاي
والناظرين بأعين محمرة	كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم	للموت يوم تعانق وكرار
والذائدين الناس عن أديانهم	بالمشرفي وبالقنا الخطّار
يتطهرون يرونه نسكاً لهم	بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية	غلب الرقاب من الأسود ضواري
وإذا حللت ليمنعوك إليهم	أصبحت عند معاقل الأعفار
ضربوا علياً[1] يوم بدر ضربة	دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الأحياء علمي كله	حقاً لصدقني الذين أماري
قوم إذا خوت النجوم فإنهم	للطارقين النازلين مقاري
في الغر من غسان من جرثومة	أعيت محافرها على المنقار

هذا ما رواه ابن إسحاق من قصيدة كعب بن زهير بن أبي سلمى في رسول الله ﷺ فقد نقلتها بأجمعها لأنها هي القصيدة الوحيدة التي ألقيت في مسجد رسول الله ﷺ من القصائد التي مدح بها، وكذلك نقلت ما قاله كعب في مدح الأنصار جميعه. ثم لما ألقى كعب بن زهير قصيدته أما رسول الله ﷺ ووصل إلى هذا البيت:

---

(١) هو علي بن سعود بن مازن الغساني وإليه تنسب بنو كنانة اهـ من إبن هشام مصححه.

إن الـرسـول لسيف يستضـاء بـه مـهنـد مـن سيـوف الـلّه مسـلول.

كساه رسول الله ﷺ بردة له فاشتراها معاوية بن أبي سفيان من ولده فهي التي كان يلبسها الخلفاء في الأعياد. كما رواه الحافظ ابن حجر في الإصابة ويقال إنها موجودة إلى اليوم في القسطنطينية مع جملة مدخرات إسلامية تاريخية.

وفي السيـرة الحلبية أن الحـافظ ابن كثير رحمـه الله قال: اشتـرى معاوية رضي الله عنه البردة التي كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الأمويون ثم العباسيون حتى أخذها التتر منهم سنة أخذ بغداد، وقال هذه من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أرَ ذلك في شيء من الكتب بـإسنـاد أرتضيـه. ثم صـار كعب بن زهيـر من شعـراء رَسول الله ﷺ الذين يذبون عن الإسلام فقد كتبت السعادة له وصار من أنصار الإسلام بعد أن كان من أعدائه.

فيستفاد من هذه القصة ما كان عليه رسول الله ﷺ من الصفح عن الجانين بعد المقدرة وما كان عليه سن الرفق والتسامح عن كل جان متمرد على الإسلام إذا ندم وتاب من ذنوبـه، وآب إلى رشده ودخـل الإسلام يتحصن به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وكمـا قد تقـدم في الأجزاء السالفة من هذا الكتاب عفو رسول الله ﷺ عمن هو شر من كعب بن زهير ولذلك توافد الناس على رسول الله ﷺ من كل فج عميق لنيل السعادة في الدنيا والآخرة.

وكـان كعب بن زهير ممن أدركتهم السعـادة ونالـوا حظاً وافـراً في الإسلام بعد الشقاء الطويل، وكان أخوه بجير بن زهير هو الذي شوقه إلى الدخول في الإسلام وأعلمه أن النبي ﷺ يقبل كل من يأتيه تائباً. وكان بجير هذا من السابقين إلى الإسلام ومن الشعراء أيضاً ومن ذوي الـرأي

والفضل، رضي الله عنه، وقد شرح هذه القصيدة كثير من علماء الأدب وأظهروا جواهر معانيها ودرر مبانيها وعذوبة نظمها، ولذلك لم اتصد إلى شرح معاني الألفاظ الغريبة وعلى القارىء مراجعة شروحها إذا شاء.

كتابه إلى ملك عمان وأخيه

وفي هذه السنة التي هي سنة ثمان من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى ملوك وأمراء العرب، وذلك بعد أن فتح الله عليه مكة ودانت له قريش وكثير من قبائل هوازن، فكتب إلى من لم يسبق أن كتب له حينما كتب إلى قيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي فكان من الذين لم يكتب لهم جيفر، وعبد، ابنا الجلندي ملكا عمان، و(عُمَان)(1) واقعة شرق حضرموت وهي من القسم الشرقي الجنوبي بجزيرة العرب وعلى رأس الخليج العربي - الفارسي - فكتب إليه كتاباً وبعث به عمرو بن العاص رضي الله عنه وهذا لفظه.

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر، وعبد، ابنا الجلندي.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما إني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليّتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما» وختم الكتاب.

قال عمرو: ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان فعمدت إلى (عبد) وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى

---

(1) عمان: بضم العين المهملة وتخفيف الميم: بلد سميت بإسم عمان بن سبأ، أما عمّان بفتح العين وشد الميم: فبلدة بالشام.

أخيك. فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك. ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعني: العاص بن وائل فإن لنا فيه قدوة؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ وودت له لو كان آمن وصدَّق به وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً. فسألني أين كان إسلامي؟ فقلت: عند النجاشي. وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه واتبْعوه، قال: والأساقفة والرهبان؟ قلت: نعم، قال: أنظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب. قلت: وما كذبت وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي؟ قلت له: بلى، قال: بأي شيء علمت ذلك يا عمرو؟ قلت: كان النجاشي رضي الله عنه يخرج له خراجاً فلما أسلم النجاشي وصدَّق بمحمد ﷺ قال: (لا والله ولو سألني درهماً واحداً ما أعطيته) فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً؟ فقال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع، قال (عبد): أنظر ما تقول يا عمرو قلت: والله صدقتك. قال (عبد): فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهي عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهي عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال: وما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدِّق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً، يعني تابعاً. قلت: إنه إن أسلم مَلّكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم. قال: إن هذا الخلق حسن، وما الصدقة؟ قال عمرو: فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال، ولما ذكرت المواشي قال:

يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا. قال عمرو: فمكثت أياماً بباب جيفر وقد أوصل إليه أخوه خبري، ثم إنه دعاني فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي أي عضدي، قال: دعوه، فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه فقال: تكلم بحاجتك. فدفعت إليه كتاباً مختوماً ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه، ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب في الدين وإما راهب مقهور بالسيف. قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال مبين، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الخرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك، يعني جماعتك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال. قال: دعني يومي هذا وارجع إليَّ غداً فلما كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فرجعت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه فأوصلني إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وإن بلغت خيله ألفت، - يعني وجدت - قتالاً ليس كقتال من لاقى، قلت: أنا خارج غداً. فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح فأرسل إليَّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكان لي عوناً على من خالفني.

هذا ما كان من قصة عمرو بن العاص رضي الله عنه وملكي عمان ومجاهدة عمرو في إقناع جيفر وعبد على الدخول في الإسلام وإلى إجابة ما دعاهم إليه النبي ﷺ ولم يدخل عمراً المَلَلُ ولا الضجر بل صبر وثابر على النصح والتفاهم حتى فاز في مهمته. وهكذا ينبغي لكل رجل يتقلد

عملاً أو يقوم بمهمة أن يجد السير[1] في سبيل عمله ولا يضجر ولا تدخله السآمة، فكل من سار على الدرب وصل، فلو أن عمرو بن العاص مل أو ضجر لحبط عمله وعاد من حيث أتى بغير نتيجة.

بعث المصدقين

فلما دخلت سنة تسع من الهجرة بعث رسول الله ﷺ المصدقين يأخذون الصدقات من الأعراب، وهؤلاء المصدقين هم جباة الزكاة. قال ابن سعد: لما رأى رسول الله ﷺ هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصبدقون العرب، فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم، وبعث يزيد بن الحصين إلى أسلم، وغفار، وبعث عباد بن بشير الأشهلي إلى سُليم، ومزينة، وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة، وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة، وبعث الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب، وبعث بشر بن سفيان إلى بني كعب، وبعث ابن اللتبية الأزدي إلى بني ذبيان. وأمر رسول الله ﷺ المصدقين أن يأخذوا العفو منهم ويتوقّوا كرائم أموالهم، يعني أَمَرَ المبعوثين لجمع الزكاة أن يأخذوا ما سهل أخذه وما خف عطاؤه ويتركوا أطيب الأموال لأهلها لأن القصد من الزكاة هو أخذ شيء محدود من أموال الأغنياء، ليعطى للفقراء، ليس الغرض من الزكاة أن يتصدى عمال الزكاة إلى أخذ أحسن الأموال وأجودها وترك الرديء منها لصاحب المال لأن في ذلك إجحافاً وضغطاً على صاحب المال الذي يجد في نفسه من ذلك غبناً

---

(١) أن يجد السير: تأمل أثر جرأة عمرو بن العاص ووقوفه الصلب موقف الأبطال في سبيل الدعوة الإسلامية ونصرة الدين ولم يبال بما يحصل عليه فيما لو ساورت نفس الحاكم بالبطش به لخطابه له بلهجة شديدة وإنذاره بالحرب والدمار وهو في عقر داره وفي ملكه وواقف على قدميه لأنه لم يسمح له بالجلوس، وهكذا فليعمل العاملون لنصرة الإسلام بإخلاص وطهارة قلب، وفي سبيل الإسلام يتفانى.

وضغينة، ولهذه الحكمة أمرهم رسول الله ﷺ أن يأخذوا فضل الأموال ويتركوا كرائمها. قال ابن إسحاق وبعث المهاجر بن أمية إلى صنعاء فخرج عليه العَنْسيّ وهو بها، وبعث زياد بن لَبيد إلى حضرموت وبعث عدي بن حاتم إلى طيّء وبني أسد، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبعث علي بن[1] أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقَدْم عليه بجزيتهم.

بعث قيس بن سعد إلى صدَّاء

بعث رسول الله ﷺ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنهما بعد عودته من مكة في أول المحرم سنة تسع من الهجرة إلى ناحية اليمن في أربعمائة فارس، وأمره أن يقاتل قبيلة صداء حين مروره عليهم في الطريق، فقدم زياد بن الحارث الصدائي فسأله عن ذلك البعث فأخبره فجاء رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنا وافدهم فاردد الجيش وأنا لك بقومي فردَّهم النبي ﷺ من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا، وسيأتي حديث وفدهم مع الوفود.

بعث عيينة بن حصن
إلى بني تميم

بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم في شهر المحرم سنة تسع من الهجرة في خمسين فارساً من قومه ليس فيهم مهاجري ولا انصاري وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم.

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ بعث بشر بن سفيان من بني سعد بن

---

(١) وبعث علي بن أبي طالب: وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة وفرق صدقات بني سعد على رجلين، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية، وقيس بن عاصم على ناحية.

هذيم إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء، فأخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك: لم تعطوهم أموالكم؟ فاجتمعوا وأشهروا السلاح ومنعوا بشراً من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب: نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة، فقال لهم بنو تميم: والله لا ندعه يخرج بعيراً واحداً. ولما رأى بشر رضي الله عنه ذلك قدم المدينة وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فخرج عيينة بن حصن فكان يسير الليل ويكمن النـار فهجم عليهم وأخذ منهم أحـد عشـر رجـلاً وإحـدى عشـر امرأة وثلاثين صبياً، فجاء بهم إلى المدينة فأمر بهم رسول الله ﷺ فحبسوا في دار رملة بنت الحـارث فجاء في أثـرهم جماعـة من رؤسـائهم منهم عـطارد بن حـاجب والـزبـرقـان بن بـدر، والأقـرع بن حـابس، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، وعمـرو بن الأهتم، ورباح بن الحـارث. فلما رآهم النساء والذراري بكوا إليهم فجاءوا إلى باب رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف أخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مَدْحنـا زين وذمنا شين، يا محمد اخرج إلينا.

فخرج رسول الله ﷺ وقد تأذى من صياحهم وأقام بلال رضي الله عنه الصلاة وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه فوقف معهم، فقالوا: نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك. فقـال لهم النبي ﷺ: «ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا».

ثم مضى رسول الله ﷺ فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فأعادوا له مقالتهم الأولى وزادوا (نحن أكرم العرب) فقال لهم رسول الله ﷺ: «كذبتم بل مدح الله عز وجل الزين وشتم الشين وأكرم منهم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام» ثم قالوا له: فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال: «إني لم أبعث بالشعر ولم أومـر بالفخـر ولكن هاتـوا» فقدمـوا عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً

ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عدداً فَمنْ مِثلنا في الناس، ألسنا رؤوس الناس وأولي فضلهم فمن فاخر فليعدّد مثل ما عدّدنا وإنا لو شئنا لأكثرنا وإنما أقول قولي هذا لأن يأتوا بمثل قولنا أو أمرٍ أفضلَ من أمرنا، ثم جلس فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقام ثابت رضي الله عنه فقال: الحمد لله الذي السمواتُ والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيّه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله ثم إنه كان من فضله أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمه نسباً وأصدقه قلباً وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه وأئتمنه على خلقه فكان خيرة الله في العالمين.

ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحساباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس مقالاً، ثم كان أول الناس إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ورسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله، فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله، ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيراً.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم. فقام الزبرقان شاعر بني تميم فأنشد مفاخراً:

نحن الكرام فلا حَيٌّ يُعادلُنَا ... منا الملوكُ وفينا تنْصَبُ البيعُ[1]
وكم قسرنا من الأحياء كلهمُ ... عند النِّهاب وفضلُ العز يتَّبع
ونحن نطعم عند القحط مُطْعَمَنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القَزَع
بما تَرى الناسَ تأتينا سَراتُهُمُ ... من كل أرضٍ هُويّاً ثم نصطَنع

(١) البيع: مواضع العبادات. والقزع: السحاب الرقيق يعني عدم نزول المطر.

فننحر الكوم[1] عبطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم ... إلا استفادوا فكانوا الرأس يُقتطع
فمن يفاخرنا في ذاك نَعْرِفه ... فيرجعُ القومُ والأخيارُ تستمع
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

* * *

فقام شاعر الإسلام حسان بن ثابت رضي الله عنه فأجابه على البديهة:

إن الذوائب[2] من فِهر وإخوتهم ... قد بينوا سنَّةَ للناس تُتَّبع
يرضى بهم كلُّ من كانت سريرتُه ... تقوى الإله وكلَّ الخير يَصطْنع
قوم إذا حاربوا ضَروا عدوهُمُ ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا
سجيّة تلك فيهم غير مُحْدَثَة ... إن الخلائق فاعلم شرُّهَا البدع
إنْ كان في الناس سبّاقون بعدهم ... فكل سَبْق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفُّهُم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقُهُمُ ... أو وازنوا أهل مجد بالندى مَتَعَوا
لا يبخَلُونَ على جار بفضلهم ... ولا يمسُّهم من مَطمَع طَبَعُ[3]
إذا نَصَبْنَا لحي لم نَدِبَّ لهم ... كما يدبُّ إلى الوحشية الذرَّع
نسمو إذا الحربُ نالتنا مخالبها ... إذا الزعانفُ[4] من أظفارها خَشَعوا
لا يفخَرُون إذا نالوا عدوّهم ... وإن أصيبوا فلا خُور[5] ولا هُلع

---

(١) فننحر الكوم: وفي رواية فننحر الكوم عبطا. الكوم جمع كوماء، وهي العظيمة السنام من النوق. وعبطا: أي من غير علة. وفي أرومتنا أي هذا الكرم متأصل فينا.

(٢) الذوائب: السادة، ومنعوا: أي زادوا.

(٣) طبع: دنس. والذرع ولد البقر الوحشية.

(٤) الزعانف: أطراف الناس وأتباعهم.

(٥) فلا خور: الخور الضعفاء، والهلع الجزع. وحلية مأسدة باليمن. الأرساغ: جمع رسغ. وفدع ءعوجاج إلى ناحية.

كأنهم في الوغى والموتُ مكتنف أسْدٌ بحلْيَةَ في أرساغها فَدَع
خذ منهُمُ ما أتوا عَفواً إذا غضبوا ولم يكنَ هَمُّكَ الأمْرَ الذي منعوا
فإن في حربهم، فاترُكْ عداوتَهم شراً يُخاض عليه السمُّ والسلع[1]
أكرمْ بقومٍ رسولُ الله شيعتُهم إذا تفاوتت الأهواء والشِّيَعُ
أهدَى لهم مِدْحتي قلْبٌ يوازره فيما أُحِبُّ لسانٌ حالك صَنَعُ
فإنهم أفضلُ الأحياء كلُّهم إن جدَّ بالناس جدُّ القول أو شمعوا

* * *

فقال الأقرع بن حابس: إني والله يا محمد قد قلت شعراً فاسمعه، فقال له ﷺ: هات. فأنشد:

أتيناك كيما يَعْرِفَ الناس فضلَنَا إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وأنا رؤوسُ الناس من كل مَعْشَر وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حسان فأجبه» فقال حسان:

بني دارم لا تفخَروا إنْ فخرَكم يعود وبالاً عند ذكر المكارِم
هَبِلتم[2] علينا تفخرون وأنتُمُ لنا خَوَلٌ من بين ظِئْرٍ وخادِمِ

فقال رسول الله ﷺ للأقرع بن حابس: «لقد كنت غنياً يا أخا بني دارم أن تذكر ما كنت ترى أن الناس قد نسوه» فكان هذا القول من رسول الله ﷺ أشد عليهم من قول حسان، فقال الأقرع بن حابس: لخَطيبه، يعني رسول الله ﷺ أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا. ثم دنا من النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «لا ضرك ما كان

---

(١) السلع: نبات مسموم. وشمعوا هزلوا، وكدارم وإرم من بني تميم.
(٢) هبلتم: فقدتم وثكلتم. والظئر هي التي ترضع ولد غيرها.

ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما علمت، وهذه القاعدة هي طبيعة البشر وقلّ من يعدل عنها، فالمرء متى أحب ذكر المحاسن، ومتى أبغض ذكر المساوىء، والناس على ذلك، والمنصف منهم، هو الذي لا يتجاوز الحقيقة في المدح والذم.

سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري الخزري رضي الله عنه في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بيشة قريب من تُرَبة[1] أو تبالة في شهر صفر سنة تسع من الهجرة على عشرة أبعرة يعتقبونها وأمره ﷺ أن يشن الغارة، فخرجوا فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم فجعل يصيح بالحاضر - وهم القوم النازلون على الماء المقيمون به - ويحذرهم فضربوا عنقه.

ثم أقاموا حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى[2] في الفريقين وساقوا النعم والنساء والشاء إلى المدينة فاجتمع القوم وركبوا في أثرهم وجاء سيل عظيم حال بينهم وبين المسلمين فساقوا النعم والشاء والسبي، وهم ينظرون ولا يستطيعون أن يعبروا إليهم حتى غابوا عنهم وأتوا المدينة بسلام. وقسمت الغنيمة عليهم بعد أن أخرج الخمس فكان السهم أربعة أبعرة وعدّل البعير بعشرة من الغنم.

---

(١) تربة: بضم التاء وفتح الراء.

(٢) كثر الجرحى: وقتل قطبة بن عامر مع من قتل.

سرية الضحاك بن سيفان إلى القرطاء

بعث رسول الله ﷺ الضحاك بن سفيان بن عوف الطائي الكلابي رضي الله عنه في جيش إلى القرطاء[1] فخرج في ربيع الأول كما قال ابن إسحاق وابن سعد سنة تسع من الهجرة ومعه الأصيد بن سلمة، فلقوهم بالزج (زج لاوة) بنجد، فدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم، فلحق الأصيد أباه سلمة على فرس له في غدير بالزج فدعاه إلى الإسلام وأعطاه الأمان فسبه وسب دينه، فضرب الأصيد عرقوب فرس أبيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على الرمح في الماء ثم استمسك حتى جاءه أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه، هذا ما ذكر ابن إسحاق وغيره.

فعلم من هذه الحادثة أن الأصيد بن سلمة رضي الله عنه لما دخل الإيمان في قلبه جعله لا يرى شيئاً في الدنيا أقدس ولا أعلى ولا أعز ولا أجل من الإسلام، لا أباه ولا أعز عزيز لديه، وذلك لَمَّا دعا أباه إلى الإسلام ولم يجبه أبوه إلا بما يكره، قارن الأصيد بن سلمة بين العاطفة الأبوية وبين حماية الدين فكان جانب الدين عنده أرجح وأعز من كل عزيز لديه حتى من أبيه فضحى بوالده في سبيل الدين. فلو كان للدين قيمة في العصر الحاضر عند المسلمين مثل ما كان عند الأصيد بن سلمة لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الحطة والحقارة والخذلان.

انظر إلى هذا الأعرابي لما دخل الإيمان في قلبه أصبح بأي شكل، فالناس يظنون أن الإيمان هو عبارة عن ألفاظ جوفاء تقليدية إذا سمع رجل رجلاً قال أنا مؤمن قال مثله أنا مؤمن، وبمجرد هذه اللفظة أصبح مؤمناً لأنه تلفظ بها فقط فلذلك صار الإيمان عنده لا قيمة له ولو طُلِبَ منه أن يضحي

---

(١) إلى القرطاء: بضم القاف وفتح الراء والطاء المهملة والمد: بطن من بني بكر واسمه عبيد بن كلاب وهم إخوة قرط كقفل وقريط بالتصغير كزبير وقريط كأمير.

قبل هذا». ورأى النبي ﷺ يقبل الحسن رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ﷺ لي من الولد عشرة ما قَبلت واحداً منهم فقال رسول الله ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم» فقال ابن دريد: اسم الاقرع «نواس» وإنما لقب الأقرع لقرع كان في رأسه. وكان الأقرع شريفاً في الجاهلية والإسلام وقد نزل فيهم من القرآن قوله تعالى: ﴿إن الذين يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاء الحُجُرَات أَكْثَرُهُمْ لا يعقِلُون وَلَوْ أنَّهُمْ صَبَرُوا حتَّى تَخْرُجَ إلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غفورٌ رَحيمٌ﴾.

وكان عمرو بن الأهتم مدح الزبرقان عند النبي ﷺ فقال: إنه لمطاع في أنديته، سيد في عشيرته، فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك، يعني عمرو بن الأهتم فقال عمرو بن الأهتم أنا أحسدك والله إنك للئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض في العشيرة، فعرف عمرو الإنكار في وجه رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت. فقال النبي ﷺ: «إن من البيان سحراً، وإن من العلم جهلاً، وإن من الشعر لحكمة، وإن من القول عيا» ومعنى من العلم جهلاً فإن العالم يكلف بما لا يعلم فيجهل ذلك فيصرح بعدم العلم به.

ثم إنه ﷺ رد عليه الأسارى والسبي وأحسن جوائزهم بعد إسلامهم ومكثوا في المدينة يتعلمون القرآن والدين، ثم لما أرادوا الخروج إلى قومهم أعطاهم رسول الله ﷺ كل واحد اثنتي عشرة أوقية، وقال: «ما بقي منكم أحد». وكان عمرو بن الأهتم في ركابهم، فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناً له: لم يبق منا إلا غلام في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم، وبلغ عمرو بن الاهتم ما قاله قيس في حقه فأنشد أبياتاً

تتضمن لومه[1] على ذلك، وكان عمرو خطيباً بليغاً شاعراً محسناً يقال إن شعره كان حُللاً منثورة، وكان جميلاً يدعى الكحيل لجماله وهو القائل:

لعمـرك ما ضـاقت بـلاد بـأهلهـا   ولكن أخـلاق الـرجـال تضيـق

هذا ما كان من قصة رؤساء بني تميم وندائهم على رسول الله ﷺ من وراء الحجرات بصوت جاف لأجل أن يخرج إليهم حتى يناظروه ويفاخروه، على ظنهم أن الأمر أمر مفاخرة ومباراة في الشعر والخطابة، ولم يشعروا أن الإسلام جاء بغير ذلك، كما أنهم لم يظنوا أنهم سيفشلون في المفاخرة، ولكن رسـول الله ﷺ عاملهم بما جبـل عليه من الـرفق واللين، والكرم، والعطف، فهداهم الله تعـالى إلى الإسلام والاعتـراف برسـالة النبي ﷺ وبتفوقه عليهم حتى فيما طلبوا من المفاخرة معه، وقد تمثل في هذه القصة جفاء الأعراب وغلاظتهم وما هم فيه من القسوة والشدة.

وكذلك ما وقع بين الزبرقان وعمرو بن الاهتم، وحالتهما تمثل عين الرضا، وعين السخط، كما قال الشاعر العربي:

وعَيْنُ الـرضـا عن كـل عَيْبٍ كَلْيلةٌ   كما أن عين السخط تُبْدي المساويا

فمدح أوّلاً عمرو بن الاهتم الـزبرقـان، فلما لم يـرضَ عن مدحـه الزبرقان ذمه، ولما عرف عمرو بن الاهتم في وجه رسول الله ﷺ عدم الرضا من الذم قال والله لقد صدقت في الأولى يعني المدح، وما كذبت في الثانية يعني الذم ثم عَبّر عن عين الرضا وعين السخط فقال: رضيتُ فقلت أحسن

---

(١) لومه على ذلك حيث هجاه فقال:

ظللت مفتـرش الهلبـاء تشتمني   عند الرسول فلم تصدق ولم تصب

سـدنـاكـم سـؤددا رهـوا وسـؤددكـم   بـاد نـواجـذه مقـع على الـذنب

قوله الهلباء: يريد بها دبره من الهلب وهو الخشن من الشعر، والرهو المتسع، والنواجذ الأسنان، ومقع على الذنب: أي جالس على إليتيه.

في سبيله ببعوضة أوقرشٍ لما سمح به لأنه لم يعرف من الإيمان غير اسمه.

وعلى ذلك فكثير من الناس يظنون إن الإيمان يتأتى بالإرث كالأنساب والنقود والسلع التي يرثها المرء من أبيه وجده كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. فالإيمان الحقيقي شيء والإسلام الإرثي شيء آخر. وعليه فلا يظن ظان أن درجة الإيمان في القلوب واحدة، فلو كان الأمر كذلك لما وجدت الرجل من المؤمنين يضحي بحياته وأعز عزيز لديه في سبيل إيمانه وآخر لا يقيم للإيمان وزناً.

فلذلك ساد ذلك العصر الذهبي، ولهذا تأخر المسلمون مراحل إلى الوراء لأنهم فرَّطوا في كنزهم الثمين حتى صار المتمسك بإيمانه موضع سخرية واستهزاء عند أبنائهم فلا حول ولا قوة إلا بالله.

سرية علقمة بن مجزز إلى جمع من الحبشة

بلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من الحبشة تراآهم أهل[1] جدة في مراكب، وجُدَّه[2] بضم الجيم سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر وهي

---

(١) تراءاهم أهل جدة: الراؤون أهل الشعيبة في ساحل جدة وفيه تجوز.

(٢) وجدة بضم الجيم: وهكذا ضبطه علي بن برهان الدين الحلبي وغيره، وألف بعض الناس لدينا بنطقها مكسورة الجيم، ومن أجل ذلك دار نقاش بين الأدباء على صفحات الجرائد المحلية حول هذه الجيم ضماً وكسراً، إلا أن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري صحح الضم وأيده في الرسالة المعنونة بالتحقيقات المفيدة بحتمية ضم جده.

يقول العبد الراجي عفو ربه: قال شيخ سيدي الوالد الشيخ عبد الله بيلا رحمه الله وشيخ مشائخنا الشيخ محمد حسب الله المكي في حاشيته على مناسك الشربيني: إن كسر الجيم جدة مخالف لما في القاموس فإنه ذكر فيه أن جدة بضم الجيم إسم لموضع بعينه من ساحل البحر.

واقّعة غرب مكة على بعد خمسين ميلاً لأن الجدة شاطىء البحر فبعث رسول الله ﷺ إليهم علقمة بن مجزز[1] بن الأعور الكناني المدلجي رضي الله عنه في ثلاثمائة.

قال ابن إسحاق وابن سعد: كانت في ربيع الآخر سنة تسع، فانتهى إلى جزيرة في البحر فلما خاض البحر إليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهليهم فأذن لهم فأمّر عليهم عبد الله[2] بن حذافة السهمي وكانت فيه دعابة[3] فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ـ يتدفؤون بها ـ فقال لهم أميرهم عبد الله: عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار ـ أي تلقوا بأنفسكم ـ فقام بعض القوم فتجهزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال: اجلسوا إنما كنت أضحك معكم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه».

وقد وقعت حادثة أخرى غير هذه وهي شبيهة بها، فورد في الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا،

---

(١) علقمة بن مجزز: بضم الميم وفتح الجيم وزاءين الأولى مكسورة مثقلة وحكي فتحها، والصواب الأول.

(٢) عبد الله بن حذافة: هو من قدماء المهاجرين ممن شهد بدراً ومات بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه. أخرج البيهقي عن أبي رافع رضي الله عنه قال: وجه عمر رضي الله عنه جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فقال له ملك الروم: تنصر وأشركك في ملكي، فأبى فأمر به أن يصلب إن لم يتنصر، فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت، قال تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هذا في الله. فعجب منه، ثم قال له: قبل رأسي وأنا أخلي عنك فقال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال: نعم، فقبل رأسه فخلى سبيلهم، فقدم به على عمر رضي الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضي الله عنهما.

(٣) دعابة: أي مزاح.

فأغضبوه فقال: اجمعوا لي حطباً فجمعوا فقال: أوقدوا ناراً ثم قال ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا[1] منها أبداً» وقال: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف» إنتهى.

فتبين من هذه القصة والتي قبلها أنه لا يسوغ لأي أمير كان أن يتصرف في الجند أو يأمرهم في غير مصلحة دينية أو دفاعاً عن الشرف أو مجلبة لمصلحة أمته وقومه وعشيرته وليس على الجند[2] طاعة في معصية الله تعالى أو مضرة لهم أو لأي مخلوق، لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكون وينظمه لأجل تلاعب الأمراء أو لهوى متبع، فقد قال تعالى[3]: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ وقال رسول الله ﷺ في هذه القصة «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً» وقال: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف» فما ساد دينُ الإسلام على عمومِ الأديان إلا بهذه الأوامر والنواهي التي هي في مصلحة الخلق وحفظ كيانهم وإصلاح حالهم في مآلهم ومعادهم، ورفض العبث في كل شيء، لأن الدين الإسلامي جاء

---

(١) ما خرجوا منمها أبداً: لأنهم إذا دخلوها احترقوا فماتوا فلم يخرجوا.

(٢) وليس على الجند طاعة في معصية: فهم وإن أمروا بالطاعة إلا أن الأمر المطلق لا يعم الأحوال كلها وإنما هو في غير معصية.

(٣) ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة: راعى المؤلف رحمه الله العموم في استدلاله وإن كان السبب خاصاً وله في ذلك سلف وهو عمرو بن العاص فيما رواه إبن أبي حاتم بسنده أن عبد الرحمن الأسود بن عبد يغوث أخبر أنهم حاصروا دمشق فانطلق رجل من أزد شنوءة فأسرع إلى العدو وحده ليستقبل فعاب ذلك عليه المسلمون ورفعوا حديثه إلى عمرو بن العاص، فأرسل إليه عمرو فرده وقال عمرو: قال الله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾.

بالحكمة والإصلاح.

سرية علي بن أبي طالب إلى صنم طيء

بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً معه راية سوداء ولواء أبيض إلى هدم (الفُلْس[1]) صنم طيء والغارة عليهم، فخرج علي رضي الله عنه في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة فشنوا الغارة على محلة آل حاتمَ وقت الفجر فهدموا الصنم وملئوا أيديهم من السبي والنعم والشاء. وكان في السبي أخت عدي بن حاتم الطائي واسمها سَفّانة[2] بنت حاتم الطائي والسفانة في الأصل هي (الدُّرة). وهرب عدي بن حاتم إلى الشام ووجدوا في خزانة الفلس ثلاثة أسياف وهي (رسوب) و(المِخْذم) كان الحارث بن أبي شمر قلّده إياهما، وسيف يقال له (اليماني) وثلاثة أدرع. واستعمل على السبي أبا قتادة وعلى الماشية والرقة عبد الله بن عتيك وقسم الغنائم في الطريق وعزل[3] الصفي لرسول الله ولم يقسم رضي الله عنه آل حاتم حتى قدم المدينة ولا يعرف لحاتم بنت غير هذه، ولم يقسم أيضاً الثلاثة الأسياف حيث أنها من أجود أسياف العرب فجعلت هذه الأسياف لرسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ بأخت عدي فقامت إليه وكانت امرأة

---

(١) الفلس: بضم الفاء وسكون اللام.

(٢) سفانة: بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الألف نون مفتوحة ثم تاء التأنيث وعند ابن سعد أن الذي سبى سفانة هو خالد بن الوليد رضي الله عنه وليس علياً رضي الله عنه.

(٣) وعزل الصفي: يعني جعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله ﷺ ثم صار إليه الثالث الذي هو اليماني. والرسوب: بفتح الراء وضم المهملة. والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وذال معجمتين وميم. وذكر أن الرسوب والمخذم وهبهم رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه فهما سيفاه.

جزلة أي ذات وقار وعقل فقالت: يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء، فال لها النبي ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق» ثم قال لها: «فلا تعجلي حتى يجيء مِن قومك من يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك فآذنيني» أي أعلميني، وسألت عن الرجل الذي أشار عليها به فصبرت حتى قدم عليها من تثق به، قالت فجئت رسول الله ﷺ فقلت: قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي. وأسلمتْ، وحسن إسلامها وسيأتي قريباً خبر أخيها عدي بن حاتم في خبر الوفود.

فعلم من هذه القصة أن البر والإحسان ومكارم الأخلاق يجعل فاعله محترماً ومكرماً ولو كان الفاعل لذلك كافراً، وذلك لما أوضحت سفانة بنت حاتم لرسول الله ﷺ ما أوضحته من مكارم أبيها قام رسول الله ﷺ باحترامها وإكرامها وتمييزها عن غيرها ورعايتها حتى أنه قال لها: «لا تعجلي حتى يجيء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك» لأن النفوس الشريفة لا تنظر إلا إلى مكارم الأخلاق والفضائل والشمم، وأما النفوس الشرسة فلا تعتبر مكارم الأخلاق مزية من المزايا لأنها جبلت على الشر، فعلى الإنسان الكيِّس أن يتمسك بمكارم الأخلاق فإن فيها سعادة الدنيا والآخرة، ولا ينظر إلى ما عليه شرار الخلق أولئك الذين تمردوا على الإنسانية فهم المنبوذون من الفضيلة والشرف وعليهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة، فالقدوة لا تكون إلا بالأفاضل حيث هم أصحاب السؤدد والمكانة العليا في الدارين، وهم سادات الناس على الإطلاق، ومكارم الأخلاق من المزايا التي تجعل الإنسان محترماً عند كافة الناس.

غزوة تبوك

تبوك مشهورة باسمها قديماً وحديثاً، وهي واقعة شمال المدينة على عرض (٢٩) درجة وطول (٣٧) درجة، وبينها وبين[1] المدينة نحو (٣٥٠) ميلاً. ويقال لهذه الغزوة أيضاً غزوة العسرة[2] لأنها وقعت حال عسر الصحابة وضيق حالهم. وسببها أن متنصرة العرب كتبت إلى هرقل ملك الروم: إن هذا الرجل الذي قد خرج يدعي النبوة هلك وأصابت أصحابه سنون أهلكت أموالهم، فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن. فجمعت الروم جموعاً كثيرة بالشام وأعطى هرقل مرتب سنة لجيوشه وجموعه التي انضمت إليه من قبائل العرب[3] وهم لخم، وجذام، وعاملة، وغسان،

---

(١) وبين تبوك والمدينة نحو (٣٥٠) ميلاً: عن ٧٤٠ كيلو متراً، وهذه المسافة بطولها مهدت وسفلتت في العهد السعودي وأصبح سلوكه ميسوراً بعد أن كان عسراً وصعباً.

(٢) غزوة العسرة: مأخوذ من قوله تعالى (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) وتعرف بالفاضحة لأن المنافقين افتضحوا فيها قالوا لا تنفروا في الحر وقد فضحهم الله في آيات كقوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾. وكقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ وهذه الغزوة في رجب سنة تسع من الهجرة وفيها حصلت شدة يا لها من شدة. شدة في الماء وشدة في الظهر، وفي النفقة حتى كانت التمرة يمصها جماعة، فصبروا واشتدت عزائمهم لقوة إيمانهم، قال البدوي في نظم الغزوات:

على بعير عشرة تعتقب — وعز مطعم وعز مشرب

تقتسم النفر تمرة ومن — فرث الأباعر شراب قد يعن

(٣) وهم لخم: والأربعة قبائل من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وقدَّموا مقدمتهم إلى البلقاء.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك أمر الناس بالجهاز وبعث إلى مكة وقبائل العرب يستنفرهم، وحض أهل الغنى والثروة على النفقة والحمل في سبيل الله وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر، وحال قرب أوان جذّ الثمار، وكان الناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج إلى غزوة إلا كنًى عنها وأظهر القصد إلى غيرها[1] إلاّ تبوك فإنه أعلن بالذهاب إليها وذلك لبعد المسافة وشدة المشقة، وكثرة العدو، ليكون الناس على استعداد تام.

فجاء (البكّاؤن) وهم المعوزون الذين لا قدرة لهم على مواد الجهاز يستحملون رسول الله ﷺ وهم (١) سالم بن عمير، (٢) علية بن زيد، (٣) أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني (٤) العرباض بن سارية، (٥) حرمي بن عبد الله، (٦) عمرو بن غنمة، (٧) عبد الله بن مغفل، (٨) عبد الله بن عمرو، (٩) عمرو بن الحمام، (١٠) معقل المزني، (١١) حرمي بن مازن، (١٢) النعمان، (١٣) سويد، (١٤) معقل، (١٥) عقيل، (١٦) سنان، (١٧) عبد الرحمن، (١٨) هند، والجميع[2] بنو مُقْرِّن. فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا أجد ما أحملكم عليه» أي لا أجد ما أجهزكم به بسبب العسرة والضائقة الشديدة. فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَيْس عَلَى الضُّعَفَاء ولا عَلَى الْمَرْضى ولا

---

(١) قلما يخرج: لأجل أن العدو لا يستعد للقاء. وهذه القلة قالوا وإن رواها البخاري إلا أنها محمولة على النفي المطلق المنتهي إلى العدم لما رواه البخاري أيضاً ومسلم في حديث كعب بن مالك من أنه لم يكن ﷺ يريد غزوة إلا وروى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فأظهر للمسلمين وجهته المرادة، وهذه التورية لا تسمى كذباً لأنها لقصد التعمية على المنافقين لئلا يذيعوا أخبار المسلمين لأعدائهم.

(٢) بنو مقرن: بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن للنفاق بيوتاً وللإيمان بيوتاً وأن بيت بني مقرن من بيوت العلم.

عَلَى الَّذِينَ لا يجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ﴾.

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري[1] قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم - يعني ما يحملون عليه للجهاد - فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء» فرجعت حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليَّ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال النبي ﷺ، وقام علبة بن زيد فصلى في الليل وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغّبت فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال النبي ﷺ: «أين المتصدق في هذه الليلة»؟ فلم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدق في هذه الليلة»؟ فلم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدق فليقم» فقام إليه - علبة بن زيد - فأخبره فقال ﷺ: «أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة» روى ذلك يونس والبيهقي في الدلائل كما ذكره السهيلي في الروض الأنف.

فبادر أهل الثروة من أجلَّاء الصحابة رضي الله عنهم بالإعانة لرسول الله ﷺ على تجهيز جيش العسرة، فأول من بادر بالنفقة أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئاً»؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله. وجاء عمر بن

(١) أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس الأسعري. وقوله الحملان بضم الحاء وسكون الميم.

الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت شيئاً لأهلك»؟ فقال النصف. وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائة أوقية. وجاء العباس رضي الله عنه بمال كثير. وجاء طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بمال كثير. وجاء سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه بمال كثير. وتصدق عاصم بن عدي رضي الله عنه بسبعين وسقاً من تمر. وجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه بما لم يأت به أحد قبله ولا بعده حتى كثرت الروايات فيما أنفقه وحاصلها أنه أنفق نفقة عظيمة فإنه جهز عشرة الآف مقاتل من الصحابة أنفق عليهم عشرة آلاف دينار وقدَّم لرسول الله ﷺ تسعمائة بعير، ومائة فرس، والزاد، وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان يقول: «اللهم عثمان رضيت به فارض عنه» وجاء عثمان رضي الله عنه أيضاً بألف دينار فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقلبها بيديه ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» يرددها مراراً. ثم عمل رجال آخرون وقوّى ناس غير هؤلاء ممن هو أضعف منهم حتى أن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول هذا البعير بيننا نعتقبه ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج حتى النساء كُنَّ يبعثن بما قدرن عليه من حليهن، وتبادل الصحابة المساعدة في التجهيز.

فلما اجتمع المال عند رسول الله ﷺ أمر بلالاً ينادي: أين عبد الله بن قيس، وهو أبو موسى الأشعري فأجابه، قال: أجب رسول الله ﷺ، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: فلما أتيته قال: «خذ هذه الستة أبعرة[1] فانطلق بها إلى أصحابك» فقال بعضهم لبعض: أغلقنا

---

(١) ابعرة: جمع بعير يقع على الذكر والأنثى.

رسول الله ﷺ، أي حملناه على يمين الغلق وقد حلف أن لا يحملنا ثم حملنا فوالله لا بارك لنا في ذلك، فأتوه فذكروا فقال ﷺ: «أنا ما حملتكم، الله حملكم» ثم قال: «إني لا أحلف يميناً فأرى غيرها خيراً منها إلا كفَّرت عن يميني وأتيت الذي هو خير» فهو ﷺ حلف أن لا يحملهم حين لم يكن لديه ما يحملهم عليه، ثم لما جاءته الإعانات أرسل إليهم على الفور وأعطاهم ما يحملهم.

وحمل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه من البكائين، رجلين، وحمل عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلاثة. وحمل يامين بن عمرو النضري رجلين دفع لهما ناضحاً[1] له، وزوَّد كل واحد منهما صاعين من تمر. وجاء المعذِّرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم، وهم إثنان وثمانون رجلاً وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جراءة على رسول الله ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وفيهم نزل ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وأبو ذر الغفاري[2]، وأبو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك.

فأخذ الناس في التهيؤ لغزو الروم ونجم النفاق في المنافقين لأنهم حلفاء اليهود ولكونهم بقوا ولم ينفوا من الأرض ولأنه ﷺ خلص من اليهود ولم يخلص من المنافقين، فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلمة: «يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر» فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي أنه ما

---

(١) ناضحاً: الناضح الجمل الذي يستقي عليه الماء.

(٢) أبو ذر: إسمه جندب بن جنادة. وأبو خيثمة هو سعد من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

من رجل بأشد عجباً بالنساء مني وأني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر[1] أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك» فجاءه ابنه عبد الله بن الجد وكان بدوياً وهو أخو معاذ بن جبل لأمه فقال لأبيه لم ترد على رسول الله ﷺ قوله فوالله ما في بني سلمة أحد أكثر مالاً منك فلا تخرج ولا تحمل؟ فقال يا بني سلمة ما لي وللخروج في الريح والحر الشديد والعسرة إلى بني الأصفر، ووالله ما آمن خوفاً من بني الأصفر وأنا في منزلي أفأذهب إليهم أغزوهم إني والله يا بني عالم بالدوائر، فأغلظ له ابنه وقال: لا والله ولكنه النفاق والله لينزلن على رسول الله ﷺ فيك قرآن يقرأ به فأنزل الله فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي ألا في الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإنَّ جَهَنَّم لَمُحِيطَة بِالْكافِرِين﴾.

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً برسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَنْفروا في الْحرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّم أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُو يَفْقَهُون * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلِيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾.

وبلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فأفلتوا.

فلما تم التجهز للغزو خرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم[2] الخميس

---

(١) بني الأصفر: قيل للروم بنو الأصفر لأن عيصو بن إسحاق كان به صفرة وهو جدهم.

(٢) يوم الخميس: وكان يحب أن يخرج يوم الخميس كما رواه أبو داود عن كعب بن مالك.

في رجب سنة تسع من الهجرة، واستخلف على المدينة محمد[1] بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، وعلى الصلاة ابن مكتوم رضي الله عنه، وخلف على أهله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استثقالاً له وتخفيفاً منه، فلما بلغ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف[2] فقال: يا نبي الله زعم المنافقون إنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني وتخففت مني. فقال ﷺ: «كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

فرجع علي إلى المدينة. وكان في تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه حكمة عظيمة حيث هو البطل الوحيد الفريد الذي لا يستغني عنه رسول الله ﷺ في غزوة مثل هذه لمكافحة الأقران بميادين الوغى، وإنما اقتضت الحكمة في تخلفه في أهله وتخلف بطل الأنصار محمد بن مسلمة رضي الله عنه الذي عرف في المواقف المتقدمة في أهل المدينة من نساء وذرية وأموال لكون النبي ﷺ استنفر عموم أصحابه لقتال الروم وأصبحت المدينة خالية من حاميتها فأبقى هذين البطلين بطل المهاجرين وبطل الأنصار، لحمايتها من أي طارىء يطرأ عليها لأن كل واحد منهما يقوم مقام جيش فلا يجسر أحد من الخارج أو الداخل أن يتعدى على المدينة وأهلها بأي سوء لما كان عليه هذان البطلان من البأس والبسالة والمنعة والنجدة.

---

(١) محمد بن مسلمة: ورجح الحافظ ابن عبد البر استخلاف علي رضي الله عنه على المدينة وعياله معا. والترتيب الذي ذكره المؤلف رحمه الله فيه جمع للروايات على صحتها.

(٢) الجرف: بالضم ثم السكون موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

فضـرب رسول الله ﷺ عسكـره على ثنية الـوداع[1] وفرق الـرايـات والألوية على قواد الجيش فدفع لواءه الأعظم لأبي بكر الصديق رضي الله عنـه ورايته العـظمى للزبير بن العـوام رضي الله عنه، ودفـع راية الأوس لأسيد بن حضير رضي الله عنـه، وراية الخـزرج إلى الحباب بن المنـذر رضي الله عنه، ودفع لكل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية[2]، وكان عدد الجيش الذي خرج به رسول الله ﷺ من المدينة ثلاثين ألفاً[3] وكانت الخيل عشرة آلاف. ولما وصل تبوك بلغ عدد الجيش سبعين ألفاً كما جاء في رواية الحاكم في الإكليل عن أبي زرعة الرازي[4]. قال كانوا بتبوك سبعين ألفاً. وإذا قارنا بين هذا الجيش وبين الجيش الذي خرج به رسول الله ﷺ في غزوة بدر الذي هو ثلاثمائة وبضع عشرة رجلاً وثلاثـة أفراس وسبعون بعيراً تعلم قوة تقدم الإسلام في سبع سنين.

ثم عسكر عبد الله بن ابن سلول بالمنافقين على ثنية الوداع بأسفلها[5]

---

(١) ثنية الوداع: هي شامي المدينة على يسار مسجد ذباب الـذي يقال لـه مسجد الراية، وسميت بذلك لأن الخارج من المدينة إلى الشام يمشي معه المودعـون إليها. والثنية الطريق في الجبل. ومهد هذه الثنية يوسف باشا ذكره الشيخ إبراهيم فقيه في التعليق على خلاصة الوفا. واليوم تمر منه السيارات وأرضه مسفلتة وفي هذا روى السمهودي فيه عن ابن شبة أن النبي ﷺ صلى في موضعه وكانت قبة رسول الله ﷺ مضروبة عليه عندما صعد إليه سلمان الفارسي وأخبره بأن صخرة اعترضتهم حين حفر الخندق لم يستطيعوا تكسيرها فنزل ﷺ مع سلمان وضربها بالمعول ثلاث ضربات فصدعها.

(٢) لواء وراية: أي لبعضهم لواء ولبعضهم راية.

(٣) ثلاثين ألفاً: قاله ابن اسحق قال الإمام النووي وهو أشهر.

(٤) عن أبي زرعة الرازي: هو عبد الله بن عبد الكريم الحافظ الثقة.

(٥) بأسفلها: أي أسفل منها لأن معسكره ﷺ كان على ثنية الوداع ومعسكر ابن أبي في أسفل منه.

حذاء (ذُياب) جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان معه جمع عظيم[1] من المنافقين، ولما رحل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع قاصداً تبوك انخذل عنه عدوُّ الله ابن سلول بعموم المنافقين وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال، والحر، والبلد البعيد، ما لا طاقة له به. يحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرونين في الحبال. يقول ابن سلول هذا القول وهو يعلم أن قوله كذب وباطل مع أنه يعتقد أن ما قاله خلاف الواقع وقد قال أمثال ذلك في كثير من خرجاته مع النبي ﷺ ولم يصح منه شيء وإنما يقصد بما يقوله في هذه الغزوة والتي قبلها الإرجاف برسول الله ﷺ وبأصحابه، وهذه حالة العدو اللدود والحسود العنيد الذي لا يرضيه غير زوال الخير عمن يحسده.

ومن ذلك ظهرت الحكمة في تخلف البطلين العظيمين علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنهما، إذ في بقائهما خير وحاجز لكل ما يريد ابن سلول وقومه ومن على شاكلته من المنافقين عمله بالمدينة وأهلها مدة غياب رسول الله ﷺ وأصحابه عنها. وكان عبد الله بن أبي بن سلول أخا بني عوف بن الخزرج، وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيدون للإسلام وأهله فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ الآية.

وكان قد تخلف أبو خيثمة عن رسول الله ﷺ، فلما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك أتى أبو خيثمة إلى أهله يوماً شديد الحرّ فوجد امرأتين له في عريشين[2] لهما في حائطه ـ بستانه ـ قد رشت كل واحدة منهما عريشها

---

(١) جمع عظيم: ومع ذلك لم يبلغ في عظمته مبلغ عسكره ﷺ حتى قال ابن حزم لم يتخلف عنه إلا ما بين السبعين إلى الثمانين.

(٢) العريش: هو أشبه بالخيمة.

وبرّدت له فيه ماءً وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال رسول الله ﷺ: في الضح[1]، والريح، والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيآ لي زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله[2] ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ فأدرك في طريقه عمير بن وهب الجمحي سائراً إلى رسول الله ﷺ فترافقا حتى إذا دنوا من بتبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»[3] فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أولىٰ لكَ[4] يا أبا خيثمة» ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له[5]. ولحق أبو ذر[6] الغفاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ

---

(١) الضح: بالكسر الشمس

(٢) فارتحله: وأخذ سيفه ورمحه.

(٣) كن أبا خيثمة: بلفظ الأمر قيل معناه الدعاء كما تقول سلم أي سلمك الله أي اللهم اجعله أبا خيثمة وكذا في قوله ﷺ في أبي ذر (كن أبا ذر).

(٤) أولى لك: كلمة تهديد.

(٥) ودعا له: قال ابن هشام: وقال ابو خيثمة في ذلك شعراً:

لما رأيت الناس في الدين نافقوا	أتيت التي كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لمحمد	فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرماً
تركت خضيبا في العريش وصرمة	صفايا كراما بسرها قد تحمما
وكنت إذا شك المنافق اسمحت	إلى الدين نفسي شطره حيث يمما

(٦) ولحق أبو ذر: سبب إبطائه أن بعيره كان أعجف فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره وبينما هو في طريقه إلى رسول الله ﷺ إذ رآه رجل فقال يا رسول الله هذا رجل يمشي على الطريق وحده، فقال ﷺ (كن أبا ذر) فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله ﷺ رحم الله الخ وهنا يجب =

ولما رأى رسول الله ﷺ أبا ذر حال نزوله في بعض الطريق قال «رحم الله

= أن نلفت انتباه القراء الكرام بأن أبا ذر كان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والقول الحق حتى قال فيه علي رضي الله عنه: أبو ذر وعاء مليء علماً ثم أوكىء عليه ، وسبب خروجه من المدينة وسكناه الدائم بالربذة إلى أن توفي بها، يرويه البخاري في كتاب الزكاة في باب ما أدى زكاته فليس بكنز بإسناده عن زيد عن وهب قال مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله» قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذلك وكتب إلى عثمان رضي الله تعالى عنه يشكوني فكتب إليّ عثمان أن أقدم إلى المدينة فقدمتها فكثر عليّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت. وفي فتح الباري قال: قال ابن عبد البر: وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله وأن آية الوعيد نزلت في ذلك وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة وأصح ما تمسكوا به حديث طلحة وغيره في قصة الإعرابي حيث قال: هل علي غيرها؟ قال لا إلا أن تطوع انتهى. ثم ذكر أن سؤال زيد بن وهب له كان بسبب أن مبغضي عثمان كانوا مشنعون عليه أنه نفى أبا ذر وهو بنفسه يتحدث بأن نزوله في ذلك المكان كان باختياره. لهذا قال شيخنا العلامة الفاضل الشيخ حسن بن محمد المشاط المكي المدرس بالمسجد الحرام في الجزء الثاني من كتابه (إنارة الدجى) وما ينسب إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه من أنه نفى أبا ذر ونحو ذلك من الكلمات التي لا تليق بالأدب فليس لها نصيب من الصحة ولا مصدر موثوق به لدى الأئمة. قال الإمام أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم: معنى قول عثمان لأبي ذر لو اعتزلت أنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس فإن للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها وكمن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضي إما أن ينفرد بنفسه أو يخالط ويسلم لكل أحد ماله مما ليس بحرام في الشريعة فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلاً، وكل على خير وبركة وفضل. وحال أبي ذر أفضل ولا تمكن لجميع الخلق فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل، يقول العبد المفتقر إلى عفو ربه الكريم: وعلى كل حال فزهد أبي ذر معروف وقد استغله بعضهم فنظر من ثقب منظاره إلى الإشتراكية على زعمه، وهدى الله تعالى القائل: أبو ذر =

أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» فكان كذلك[1].

فمضى رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقال يا رسول الله ﷺ تخلف فلان فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم وإن يك غير ذلك قد أراحكم الله منه» ونزل رسول الله ﷺ وهو سائر إلى تبوك بذي المروة وكان بها ماء وشجر الدوم ونزل أيضاً بوادي القرى ثم لما مر (بالحجر)[2] أي مدائن صالح تقنع ﷺ بردائه وهو على الرحل فما وضع راحلته حتى خلف أبيات ثمود ولما نزل هناك تسارع الناس إلى الحجر يدخلون عليهم واستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا ونصبوا القدور باللحم فبلغ رسول الله ﷺ ذاك فنودي في الناس: الصلاة جامعة فلما اجتمعوا قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ولا تشربوا من مائها ولا تتوضئوا منه للصلاة وأهرقوا القدور واعلفوا

= من أهل الصفة ولا يبعد أن يكون لهذا أثره في ميوله إلى الإشتراكية، وكيف ذلك وهل الزهد والورع في هذه الحياة في شيء من الإشتراكية التي يدندن حولها؟ وفي تفسير الكشاف قال: ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضي الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الأعراض اختيار الأفضل وإلا دخل في الورع والزهد في الدنيا، والإقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد، وما روي عن علي رضي الله عنه: أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الأفضل، وقال ابن كثير فيه أنه غريب والقرطبي لا يصح، اللهم اهدنا فيمن هديت وتولنا فيمن توليت وفهمنا أمور ديننا على الوجه الصحيح بفضلك وكرمك يا رب العالمين.

(١) فكان كذلك، ولما توفي بالربذة (قرية على مقربة من المدينة المنورة) لم يكن معه إلا امرأته وغلامه، وبعد غسله وتكفينه جعلاه على قارعة الطريق تنفيذاً لوصيته رضي الله عنه، وتولى دفنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأصحابه لمرورهم به، وصدق رسول الله ﷺ فيما قاله بشأنه رضي الله.

(٢) بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم.

العجين الإبل» ثم ارتحل بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة وقال: «لا تسألوا الآيات قد سألها قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله تبارك وتعالى لهم الناقة فكانت ترد هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب مياههم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله تعالى مَن تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله تعالى» قيل من هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه».

ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا إن الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيئاً وسيأتي الله بقوم لا يدفعون من أنفسهم شيئاً، وإنما ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد منكم ومن كان له بعير فليوثق عقاله، ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له»[1] ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته (يعني الغائط) وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فأنه خنق[2] على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيء فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه»؟

ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

---

(١) إلا ومعه صاحب: لحكمة تظهر فيما رواه الإمام مالك في موطئه مرفوعاً (ءن الشيطان يهم بالواحد) ولما أخرجه أصحاب السنن مرفوعاً (الراكب شيطان

(٢) خنق على مذهبه: أي صرع، والمذهب بفتح الميم والهاء هو الموضع الذي يتغوط فيه.

وقد أصاب الناس عطش شديد. روى الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجنا إلى تبوك يوم قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى قلنا إن رقابنا ستقطع حتى إن الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع حتى أن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله تعالى لنا قال: «أتحب ذلك»؟ قال: نعم، فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر.

ثم نجم النفاق في وسط الطريق من بعض من صحب رسول الله ﷺ حيث أنهم لا يفارقونه في سفره ولا حضره وغرضهم الوحيد حل عرى الرابطة الإسلامية، ولما سئل محمود بن لبيد بن رافع الأنصاري الأوسي هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك، ثم قال لقد أخبرني رجل من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار فلما كان أمر الناس (بالحجر) ما كان ودعاء رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة. وكان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ومخشي بن حمير، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأنا بكم غداً مقرونين في الحبال، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك فانتدب عمار بن ياسر فقال له: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا» فانطلق إليهم عمار رضي الله عنه فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ

واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب.

قاتل الله المنافقين ما يستحيون ولا يخشون من الله ولا من الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى المؤمنين وعلى أنفسهم، وعليهم يصدق القول إنهم شر من القردة والخنازير (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) ألم يبلغهم ما وقع في غزوة (مؤتة) وقد كان المسلمون ثلاثة آلاف وبنو الأصفر والعرب المتنصرة مائتي ألف فماذا صنع بنو الأصفر هل قرنوا الصحابة في الحبال ولكن مكارم أخلاق رسول الله ﷺ فسحت لهم المجال ولكل شيء نهاية، وسلاح المصلحين الصبر.

فسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان قريباً من تبوك قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عن تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي» فلما أتوها كان قد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض[1] بشيء من مائها فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئاً»؟ قالا: نعم، فسبهما وقال لهما ما شاءالله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلاً حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله ﷺ به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس فقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملىء جناناً».

قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله ﷺ لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأسفر الناس بصلاتهم التي هي صلاة الفجر فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى

---

(١) مثل الشراك تبض: يشير إلى تقليله، وتبض بفتح الفوقية وكسر الموحدة وضاد معجمة أي تقطر وتسيل، والشن: القربة. والجنان البساتين.

بهم فانتهى ﷺ بعد أن توضأ ومسح خفيه لعبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن عوف ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية وقال لهم ﷺ بعد فراغه «أحسنتم أو أصبتم» فكانت هذه أول مرة صلى رسول الله ﷺ خلف[1] أصحابه. وفي مسلم: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة حيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يا رسول الله ﷺ لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادَّهنا، فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله إن فعلت فني الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فدعا بنطع فبسط ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف من تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال لهم: «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: «أشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»[2].

فلما وصل رسول الله ﷺ تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب (ايلة) وصحبته أهل جرباء - قرية بالشام - وأهل أذرح - مدينة تلقاء السراة - وأهل ميناء وأهدى يحنة لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء فكساه رسول الله ﷺ بردة وصالحه على إعطاء الجزية، وذلك بعد أن عرض عليه الإسلام ولم يسلم. وكتب له ﷺ ولأهل أيلة كتاباً صورته «بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنةٌ

---

(١) صلى خلف أصحابه: ولم ينقل أنه ﷺ صلّى خلف أحد من أمته غير أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما. أما قول ابن عباس رضي الله عنهما: لم يصل النبي ﷺ خلف أحد من أمته إلا خلف أبي بكر فقد حمل على صلاة كاملة.

(٢) فيحجب عن الجنة: وفي رواية إلا وقاه الله النار.

من الله ومن محمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤية وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ما له[1] دون نفسه وإنه لطيبة لمن أخذه الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر».

وكتب لأهل اذرح، وجرباء، ما صورته «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ لأهل أذرح وجرباء إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين» وصالح ﷺ أهل ميناء على ربع ثمارهم.

ثم بعث رسول الله ﷺ من تبوك خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعمائة وعشرين فارساً إلى (اكيدر[2] دومة) وهو اكيدر بن عبد الملك من كندة وكان نصرانياً وكان ملكاً عليها فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر» فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بنظر العين، وفي ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته[3]، فبانت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فأمر فرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم[4] فلما

---

(١) لا يحول ماله: أي لا يؤخذ من ماله فداء عن نفسه بل قتله حلال لمن أراده لا نتقاض ذمته بالأحداث.

(٢) اكيدر: بضم الهمزة وفتح الكاف وسكون التحتية وفتح المهملة. لم يسلم ونقل جمال الدين الأشخر عن ابن الأثير خطأ من قال بإسلامه كالخطيب البغدادي وإبن منده وأبي نعيم.

(٣) إمرأته: الرباب. بكسر الراء وموحدتين، بنت أنيف بن عامر ومعه أيضاً قينة تغنيه وقد شرب.

(٤) بمطاردهم: جمع مطرد، رمح قصير يطعن به الطريدة من الوحش في الصيد.

خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته وقتلوا أخاه. وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ بعد أن اشترط على أكيدر فتح دومة الجندل ففعل وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة رأس[1]، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، فعزل للنبي ﷺ صفيَّه خالصاً ثم قسم الغنيمة فأخرج الخمس فكان للنبي ﷺ، ثم قسم ما بقي في أصحابه فصار لكل واحد منهم خمس فرايض. قال أكيدر عن البقر: والله ما رأيتها قط أتتنا إلا البارحة ولقد كنت أضمر لها يومين وثلاثة ولكن الله قدر.

ولما أتى أكيدر رسول الله ﷺ عرض عليه الإسلام فأبى وأقرّ بالجزية[2] فقاضاه رسول الله ﷺ على قضية دومة. وأهدى بعض أهل الكتاب (جبنة) لرسول الله ﷺ فدعا بالسكين فسمى الله وقطع وأكل. وقد أقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة على رواية ابن إسحاق، وعشرين ليلة يصلي ركعتين على رواية الحافظ الدمياطي في سيرته.

ولما أصبح رسول الله ﷺ بتبوك حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى. وشر المعذرة حين يحضر

---

(١) رأس: وفي المواهب فرس.

(٢) وأقر بالجزية: وقتله خالد بن الوليد في زمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب وخير الغنى غني النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجلّ، وخير ما وقر في القلب اليقين، والإرتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من حر جهنم، والسكر كيٌّ من النار، والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألى على الله يكذبه، ومن يَغْفَر يُغفَر له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يتبع السمعة يسمِّع الله به، ومن يتصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله»، ثم استغفر ثلاثاً.

روى هذه الخطبة بنصها الحافظ ابن القيم في زاد المعاد. وهذه الخطبة قد جمعت جوامع الكلم، وجواهر الحِكم، ومكارم الأخلاق، ودرر البلاغة، فلو أن المسلمين اقتصروا عليها وعملوا بموجبها لأصبحوا في أعلى قمم المجد والسعادة، حيث قد شملت عموم أسباب السعادة، في الدنيا والآخرة، ولو استعملها خطباء المساجد في أيام الجمع لأغنتهم عن تلك الخطب التي لا تأثير ولا عظة ولا بلاغة فيها. ومهما بالغ الخطباء في تنظيم خطبهم فلا يستطيعون أن يصلوا إلى كلمة من كلمات هذه الخطبة ولا إلى حكمة من حكمها.

وفوق ذلك فمن أين يستطيع الخطيب أن يصل إلى التأثير الذي يحصل في القلوب من هذه الخطبة الصادرة من سيد الفصحاء والبلغاء والحكماء والوعاظ، فإن النفس المؤمنة لا يؤثر فيها إلا ما كان صادراً

عن الله تعالى أو عن سيد الخلق ﷺ، وهذا كاف وواف بالمقصود وأقرب إلى القلوب من غيره.

ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج من تبوك استشار أصحابه في مجاوزتها، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن كنت أمرت بالسير فسر. فقال رسول الله ﷺ: «لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه» فقال عمر: يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام وقد دنونا. وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً. فانصرف رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة، وكان في طريقه ماء يخرج من وشل[1] ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له: (وادي المشقق) فقال رسول الله ﷺ: «من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه» فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا فلم يروا فيه شيئاً فقال , «من سبقنا إلى هذا الماء» فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان، فقال: «أولم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه» ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو به فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إن له حساً كحس الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه فقال رسول الله ﷺ: «لئن بقيتم أو بقي منكم ليسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه».

ثم سار في طريقه فتآمر ناس من المنافقين برسول الله ﷺ أن يطرحوه من العقبة في الطريق فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فلما غشيهم رسول الله ﷺ أخبرهم فقال: «من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادي فإنه أوسع لكم. وأخذ رسول الله ﷺ العقبة، وأخذ العقبة ببطن الوادي إلا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله ﷺ لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا. وقد

---

(١) وشل: الوشل حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً وهو أيضاً القليل من الماء.

هموا بأمر عظيم، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة يسوقها فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ فرجع ومعه محجن واستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضرباً بالمحجن وأبصر القوم وهم متلثمون ولا يشعر إلا أن ذلك فعل المسافر فأرعبهم الله سبحان حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليهم فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فلما أدركه قال: «اضرب الراحلة يا حذيفة وامش أنت يا عمار» فأسرعوا حتى استووا بأعلاها فخرجوا من العقبة ينظرون الناس فقال النبي ﷺ: «هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب أحداً».

قال حذيفة عرفت راحلة فلان وفلان قال وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثمون فقال رسول الله ﷺ: «هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا»؟ قالوا: لا والله يا رسول الله، قال: «فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا طلعت في العقبة طرحوني منها» قالوا أولا تأمر بهم يا رسول الله إذا فنضرب أعناقهم، قال: «أكره أن يتحدث الناس ويقولون إن محمداً قد وضع يده في أصحابه إن الله قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبرك بهم إن شاء الله غداً عند وجه الصبح، فانطلق حتى إذا أصبح فاجمعهم» فلما أصبح أخبر حذيفة أسماء أولئك المنافقين ولم يطلع عليهم أحداً غيره وبذلك كان يقال لحذيفة أنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره.

ثم جاء أُسيد بن حضير رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال: «أتدري ما أراد المنافقون»؟ وذكر له القصة، فقال: يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم

بهذا فإن أحببت بين بأسمائهم، والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤوسهم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أكره أن يقول الناس إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم» فقال: يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب، فقال رسول الله ﷺ: «أليس يُظهرون الشهادة» ثم جمعهم رسول الله ﷺ وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا ارادوا الذي ذكر، فأنزل الله تعالى: **﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر﴾** الآية، ونزل: **﴿وهمّوا بما لم ينالوا﴾** ثم سار إلى المدينة.

هذا ما كان من شأن المنافقين مع رسول الله ﷺ وما أرادوا أن يفعلوه من الغدر والخيانة به، ثم لما همَّ أسيد بن حضير بقتلهم منعه رسول الله ﷺ من قتلهم وصرح لهم أنه يكره أن يقال: محمد يقتل أصحابه. وهذا التسامح فوق تحمل البشر فقد حدثنا التاريخ عن كثير من الملوك أنهم قتلوا إخوانهم وأبناءهم بل وآباءهم لمجرد التهمة من كونهم يريدون بهم سوءاً. فما بالك وقد تحققت جريمتهم عند رسول الله ﷺ وكل ما هموا به من المكر برسول الله ﷺ. وهذا أعظم دليل على عظيم ما كان يتحمله رسول الله ﷺ من المنافقين وغيرهم، وعلى مبالغته في التسامح، الذي هو فوق طاقة البشر.

ولذلك قلنا غير مرة إن الله تعالى خلق الأنبياء على خلق عظيم وجعل لهم صبراً خارقاً فوق طاقة البشر وذلك ليكونوا قدوة للمصلحين حيث أن مبنى الإصلاح على التسامح والمداراة وجلب القلوب إلى الهدى والفلاح، ولو أراد النبي ﷺ معاقبتهم لفعل ولم تنتطح في إبادتهم عنزان، ولكنه ﷺ هو المشرع لكل ما يحتاجه البشر في أمر دينهم ودنياهم من سياسة واجتماع، وهو القدوة في كل شيء.

مسجد الضرار

ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة قافلاً من تبوك حتى نزل (بذي أوان[1])، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار[2] قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الممطرة والليلة الشاتية وإنا نحبُّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال ﷺ إني على جناح السفر ـ أو كما قال ـ ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه».

فلما نزل (بذي أوان) أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف الأنصاري ومعن بن عدي وأخاه عاصم بن عدي العجلاني، فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدماه واحرقاه» فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدانِ حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن: ﴿والذِينَ اتَّخَذوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤمِنِينَ وَإرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّه وَرَسُوله مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إن أَرَدْنَا إلاَّ الْحُسْنَىَ واللَّهُ يَشْهَدُ إنهُمْ لَكَاذِبون﴾ وكان الذين بنوه إثنى عشر رجلاً: (١) خذام بن خالد أحد بني

---

(١) أوان: بفتح الهمزة. والخشي يرويه بضمها حيث وقع.

(٢) الضرار: المضارة لأهل مسجد قباء فإن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء حسدتهم إخوتهم بنو غنم، بفتح المعجمة والنون، ابن عوف، فبنوا مسجداً لأغراضهم من المضارة والكفر بالله والتفريق بين المؤمنين. وأبو عامر هو الذي أمرهم ببنائه قبل أن يخرج إلى الشام حتى أنه قال لهم استمدوا فيه بما استطعتم من سلاح وقوة فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند من الروم لأجل أن أخرج محمداً وأصحابه من المدينة.

عمرو بن عوف وهو الذي أخرج أرضه من داره، (٢) ثعلبة بن حاطب، (٣) معتب بن قشير، (٤) أبو حبيبة بن الأزعر، (٥) عبادة بن حنيف، (٦) جارية بن عامر وابناه، (٧) مجمع بن جارية، (٨) زيد بن جارية، (٩) نبتل بن الحارث، (١٠) بحزج من بني ضبيعة، (١١) بجاد بن عثمان، (١٢) وديعة بن ثابت وهو من بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.

قال ابن إسحاق: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة، مسجد بتبوك، ومسجد بثنية مداران، ومسجد بذات الزراب، ومسجد بالأخضر، ومسجد بذات الخِطمى، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتراء من ذنب كواكب، ومسجد بالشق شق تارا، ومسجد بذي الجيفة، ومسجد بِصَدر حوض، ومسجد بالحجر، ومسجد بالصعيد، ومسجد بذي المروة، ومسجد بالفيفاء، ومسجد بذي خُشُب.

فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع[1]

فلما أشرف على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أُحُد جبل يحبنا

---

(١) ما دعى الله داع ـ وبعدهما

أيها المبعوث فينا   جئت بالأمر المطاع

وبعضهم ذكر أن هذه الأبيات أنشدت حين قدم من مكة إلى المدينة ولا يوجد مانع من تعدد وقوعها مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك كتعدد الثنية، فثنية الوداع لمن يريد الشام وثنية الوداع الأخرى لمن يتوجه إلى مكة المكرمة. يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه (آثار المدينة): فكلتاهما مركز التوديع. قلت: ويؤيده صيغة الجمع (ثنيات) في الشطر الثاني للبيت.

ونحبه» فلما دخل قال العباس: يا رسول الله أتأذن لي أمتدحك؟ قال رسول الله ﷺ: «قل لا يفضض الله فاك[1]» قال:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودَع حيث يُخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسراً وأهله الغَرق
تُنقل من صلب إلى رحِم	إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتماً	من صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف[2] عليا تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر	ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور	ر وسبل الرشاد نخترق

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس ثم قال: «الحمد لله الذي رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسنة» وكان قدومه ﷺ في رمضان سنة تسع من الهجرة.

وكان المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يخبرون عنه أخبار السوء يقولون إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعاقبة رسول الله ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إن

---

(١) لا يفضض الله فاك: دعاء له بالحفظ و (لا) إما دعائية أو نافية خبرية. فعلى الأول الفعل بعدها مجزوم وحرك بالكسر لأجل التخلص من التقاء الساكنين وعلى الثاني هو مرفوع.

(٢) خندف: الخندف بكسر الخاء والدال في الأصل: المشي بهرولة ثم جعل علماً على امرأة اليأس بن مضر وهي ليلى القضاعية لما خرجت تهرول خلف بنيها عمرو، وعامر، وعمر، لبطئهم عليها لما ذهبوا لطلب الإبل التي ندت عليهم ثم ضرب مثلاً للنسب العالي في كل شيء لأنها كانت ذات نسب، والنطق جمع نطاق وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض.

﴿تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ قال ابن سعد: وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون قد انقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهم وقال: «لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال».

قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك

كان تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك نفر من أجلاء الأنصار وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمْري، وهلال بن أمية الواقفي، وهم الذين اعترفوا بذنبهم. وأما باقي من تخلف وهم بضعة وثمانون رجلاً فقد اعتذروا وقبل منهم. وهذه قصة الثلاثة أرويها عن صحيح البخاري.

قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة[1] حين تواثقنا في الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أَذْكَرُ في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبلها راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى[2] بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفارز[3] وعدداً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم

---

(١) ليلة العقبة: هي العقبة التي في طرف منى المضاف إليها جمرة العقبة. وقوله: تواثقنا بمعنى تبايعنا على الإسلام وأذكر بمعنى أشهر.

(٢) إلا ورى: أي أوهم غيرها. زاد أبو داود: وكان يقول (الحرب خدعة).

(٣) مفاوز: جمع مفازه بفتح الميم قال النووي: قيل أنه من قولهم فوز الرجل إذا هلك، وقيل هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها كما يقال للديغ سليم.

ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان[1] ـ قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقضِ شيئاً فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي، حتى شمر الناس بالجد[2] فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقضِ من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقضِ شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقضِ شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت! فلم يقدَّر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب»؟ فقال: رجل من بني سَلمة ـ هو عبد الله بن أنيس ـ: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عِطفيه. ـ يسخر به ـ فقال معاذ بن جبل[3]: بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ. قال كعب: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه. وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون

---

(١) الديوان: أول من دونه عمر رضي الله عنه.

(٢) الجد: بكسر الجيم وهو الجد في الشيء والمبالغة فيه.

(٣) معاذ بن جبل: اتفاقا. وقيل أبو قتادة.

إليـه ويحلفون لـه وكانـوا بضعة[1] وثمـانين رجلاً فقبـل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله. فجئتـه فلما سلمت عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّم المغْضَب ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «ما خلفـك ألم تكن قد ابتعت ظهـرك»؟ فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر. والله لقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوسِكَن الله أن يسخـطك علي، ولئن حدَّثتـك حديث صدق تَجِد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر. ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك» فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر عليه المخلفون قد كان كافيـك ذنبك استغفـار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي معي هذا أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العَمري وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صـالحين قد شهـدا[2] بدراً لي فيهمـا أسوة فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنـا أيها

---

(١) بضعة وثمانين: البضع بكسر الموحدة وسكون الضاد المعجمة ما بين ثلاث إلى تسع على المشهور وإذا جاوزت لفظ العشر فبالهاء مع المذكر وبدونها مع المؤنث يقال بضعة وعشرون رجلاً وبضع وعشرون امرأة.

(٢) شهدا بدرا: وجزم بشهودهما بدرا الأثرم وهو ظاهر صنيع الإمام البخاري. وابن الجوزي نسبه إلى الغلط، ولكن الحافظ ابن حجر قال لم يصب في نسبته هذه. قال في الهدى لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسير ذكر هذين الرجلين في أهل بدر لا ابن اسحق ولا ابن عقبة ولا الواقدي.

الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكَّرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلْدَهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ فسلمت عليه فوالله ما ردَّ عليّ السلام، فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فأنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبْطي من أنباط[1] أهل الشام ـ ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ويقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد. فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحقْ بنا نواسك؛ فقلت لما قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور[2] فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسُول رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن

---

(١) الأنباط هم قوم من العرب اختلطوا بالأعاجم من أهل الشام.

(٢) التنور: هو ما يخبز فيه، وسجرته؛ معناه أوقدته.

هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا ولكن لا يقربك» قالت له: والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ. وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال الذي ذكر الله قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت[1] صارخ فأوفى ـ أطلع ـ على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك ابشر! قال: فخررت ساجداً وقد عرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إليَّ رجلٌ فَرَساً وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنؤنني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلَّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله».

---

(١) صوت صارخ: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والرجل الذي ركض هو الزبير بن العوام، والساعي هو حمزة بن عمرو الأسلمي.

وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ؟ قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿لَقد تَابَ اللَّهُ عَلى النْبِيِ وَالْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَار﴾ إلى قوله: ﴿وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإنَّ اللَّهَ لاَ يَرضَى عن الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ قال كعب: كنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال: «وَعَلَى الثلاثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا».

وليس الذين ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وارجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. هذه رواية البخاري وقد استنبط الحافظ بن حجر من هذه القصة فوائد جمة في فتح الباري منها قوله: وإن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة، وأن يبدأ القادم بالمسجد قبل بيته فيصلي ثم يجلس لمن يسلم عليه، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه، والحكم بالظاهرة وقبول المعاذير، واستحباب بكاء العاصي أسفاً على ما فاته من خير، وفيها إجراء الأحكام على الظاهر ووكول

السرائر إلى الله تعالى، وفيها ترك السلام على من أذنب، وجواز هجره أكثر من ثلاث، وأن التبسم قد يكون من غضب كما يكون عن تعجب، ومعاتبة الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره، وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب. ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب، وأخر من كذب للعقاب الطويل، وفيها عظم مقدار الصدق في القول والفعل، وفيها جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه، وفيها إيثار طاعة الرسول على مودة القريب، وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إليه إذا أقبل، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة، وسروره بما يسر أتباعه، ومشروعية العارية، ومصافحة القادم، والقيام له[1]، والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به، واستحباب الصدقة عند التوبة. هذا بعض ما استنبطه الحافظ ابن حجر من ذلك.

---

(١) والقيام له: وكذلك جواز سرور المقوم له بذلك القيام ولا يعارضه حديث (من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) لأن هذا الوعيد حمل على المتكبرين ومن يغضب إن لم يقم له. وهذه السيدة فاطمة بنت سيدنا محمد ﷺ تقوم لوالدها كرامة له وهو يقوم لها سروراً بها. والنبي ﷺ يقول للأنصار: قوموا إلى سيدكم تعظيماً وتكريماً له وإلا لقال قوموا لمريضكم أو لمجروحكم فالإعانة غير متعينة بالذات فقط ولا يمنع مانع من وجودها مع التعظيم كما يدل عليه لفظ السيادة. والعز بن عبد السلام سلطان العلماء لما سئل عن القيام، فأجاب بأنه لو قيل بوجوبه ما كان بعيداً لأن ترك القيام في هذا الوقت يفضي للمقاطعة والمدابرة ورسول الله ﷺ يقول (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا) وهذا يقوله في زمانه الذي قد مضى عليه نحو سبعمائة سنة فكيف الحال في زماننا عام ١٣٨٨ هـ الذي طغت فيه المادة ونسي الناس أو تناسى الناس أهل الفضل وأصبحت كلمة رجعي يلوكها بعض الأغبياء ويطلقها على ذوي الفضل المحافظين تنقيصاً لشأنهم. اللهم لا حول ولا قوة إلا بك. ولما رأيت في المسألة اختلافاً بين العلماء ما بين مجوز ومحرم عمدت إلى تأليف رسالة سهلة أسميتها (إفادة الأنام بجواز القيام لأهل الفضل والإحترام)، ودعمتها بالأدلة القوية =

وحاصل هذه القصة أنه لا تصلح الأمة ما لم تكن مرتبطة برئيسها ارتباطاً محكماً في السراء والضراء، وأن لا تتخلى عنه في الشدة والرخاء، ولا تتركه يكابد المشقة وحده، وأن تكون معه كالجسم الواحد. فإذا تأخر رجل، وإثنان، وثلاثة، بدأ التفكك فلا يمضي على ذلك زمن قصير حتى تنحل تلك الكتلة وتبعثر تبعثر الرماد في الريح الشديدة.

وهذا الذي جعل الإسلام قوياً في نهضته، قوياً في صدق إيمانه، قوياً في رابطته، قوياً في بأسه على عدوه، قوياً في حبه، قوياً في بغضه، قوياً في حاضره، قوياً في باديته، قوياً في وطنه، قوياً في غربته، قوياً في عزمه، قوياً في صدقه، قوياً في كل شيء.

ولما ترك المسلمون هذه المبادىء وتخلوا عن هذه الرابطة تفككت عروته، وتلاشى جمعه، وتدهور عرشه، وتمزق شمله، وتشتت مشاربه، وأصبح في هذا العصر واهي القوى، منحل العرى، غريباً في وطنه، بعيداً في منزله، ضعيفاً في بيته، لا يسمع له نداء، ولا يصغى لاستصراخه، ولا يحن لتألمه، ولا يبكى على مصابه، ولا يستفز لنحيبه، ولا يجاب على سؤاله. فلو آب المسلمون إلى رشدهم، وتتبعوا سيرة نبيهم ﷺ وساروا على سير سلفهم الصالح، ونهضوا من سباتهم العميق، وأفاقوا من نومهم المستميت، وفتحوا سمعهم وأبصارهم وقلوبهم، وأصغوا إلى نداء ربهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ وعملوا بقول نبيهم ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً» وقوله: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر

= ثم اختصرتها. وسميت هذا المختصر (أعلام ذوي الإحتشام باختصار إفادة الأنام). وتولى طبعها ولدنا الأستاذ (عبد الله بيلا) مفتش قسم بإدارة التعليم بمكة المكرمة حالا، وذلك يوم أن كان طالباً بجامعة عين شمس بالقاهرة ١٣٨٠ وفقه الله وسدد خطاه.

الجسد بالسهر والحمى» لعادوا إلى ما كانوا عليه من سالف المجد، والسؤدد، والعزة، والمنعة، والرابطة، والإخاء. حيث أن سبيل الهدى والرشاد مفتوح بابه ولم يوصد قط في وجه الطارقين له. وكل من سار على الدرب وصل، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء إلى صراطه المستقيم.

فالذي دعا كعب بن مالك ورفاقه إلى تحمل هذا الهجر وهذه المقاطعة حتى من أزواجهم هو قوة الرابطة الإيمانية التي ملأ الله بها قلوبهم فجعلهم يصدقون في القول والعمل، ولولا ذلك لوسعهم ما وسع الذين اعتذروا من الخروج، وإنما لقوة يقينهم بأن الله تعالى مطلع على سرائرهم وأنهم سيرجعون إليه فينبئهم بما كانوا يعملون. اعترفوا بذنبهم وأنابوا إلى الله تعالى وإلى رسوله وتابوا من ذنبهم فتاب الله عليهم. فلو أن كل فرد من أفراد المسلمين اقتدى بهؤلاء الأتقياء الأطهار في صدق الحديث والصبر على المكاره والتمسك بالإيمان الصحيح واليقين بالله تعالى في كل شيء لعاش سعيداً ولقي الله تعالى بوجه مشرق بالسرور، وحاز على سعادة الدنيا والآخرة.

فعسى الله سبحانه وتعالى أن ينهض بالمسلمين من رقدتهم الطويلة التي هي أقرب إلى الموت من الحياة، وأن ينفخ في أرواحهم اليقظة كي يفيقوا من سباتهم العميق ويتنبهوا للذل الذي وقعوا فيه، والعبودية التي وصلوا إليها، والإسترقاق الذي هم فيه، ويرشدهم إلى التمسك بشريعة سيد الأمم من عرب وعجم، حيث هي المصباح الذي يستضيء به كافة العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، وعليها مدار الاجتماع الإسلامي بل والإنساني، إذ لا سبيل إلى النجاة مما هم فيه إلا بها، والله الهادي إلى صراطه المستقيم.

وأنزل الله تبارك وتعالى من القرآن في غزوة تبوك: **﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا**

كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَـابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِم رَؤُفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حتى ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنْ لاَ مَلْجأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبوا إنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَادِقِينَ، مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حولَهُمْ مِنَ الأَعْـرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُـولِ الله ولا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئاً يغيظُ الكُفَار وَلاَ يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾.

وفد ثقيف وإسلامهم

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة تبوك في شهر رمضان سنة تسع من الهجرة قدم عليه وفد ثقيف[1] في ذلك الشهر قال ابن إسحاق: وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله ﷺ كما يتحـدث قومـه: «إنهم قاتلوك» وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم[2]، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على عليّة له[3] وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من

---

(١) وفد ثقيف: هو أبو قبيلة. وثقيف لقب له، واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوازن.

(٢) أبكارهم: أولادهم. وفي رواية من أبصارهم.

(٣) علية: هي بكسر العين وضمها: الغرفة.

كل وجه فأصابه سهم فقتله. فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له وهب بن جابر من بني عتاب بن مالك فقيل لعروة: ما ترى في دمك قال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إليّ فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم، فدفنوه معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مثله في قومه كمثل صاحب يس[1] في قومه» ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ثم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك: أخرج إلي فقال عبد ياليل للرسول: ويلك أعمر أرسلك إليّ؟ قال: نعم وها هو ذا واقف في دارك، فقال إن هذا لشيء ما كنت أظنه بعمرو، ولعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك، فخرج إليه فلما رآه رحب به فقال له عمرو: إنه قد نزل أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت وقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة فانظروا في أمركم، فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها وقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب[2] ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع، فائتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ كما أرسلوا عروة فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان في سن عروة بن مسعود وعرضوا ذلك عليه فأبى أن يفعل، وخشي أن

---

(١) يس في قومه: قال السهيلي: يحتمل أنه يريد به المذكور في سورة يس الذي قال لقومه اتبعوا المرسلين فقتله قومه واسمه حبيب بن مري. ويحتمل أنه يريد صاحب الياس وهو اليسع فإن الياس يقال في اسمه ياسين أيضاً وقال الطبري هو الياس بن ياسين.

(٢) السرب: المال الراعي. وأيضاً الطريق والنفس.

يصنع به كما صنع بعروة فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً فأجمعوا أن يرسلوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة. فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب، ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان أخا بني يسار، وأوس بن عوف أخا بني سالم، ونمير بن خرشة بن ربيعة أخا بني الحارث.

فخرج بهم عبد ياليل وهو ناب[1] القوم وصاحب أمرهم. ولم يخرج بهم إلا خشية أن تصنع به ثقيف مثل ما صنعت بعروة بن مسعود فأراد أن يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف برهطه. فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة[2] وجدوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركابَ أصحاب رسول الله ﷺ وكان رعيتها نُوَباً على أصحاب رسول الله ﷺ فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وذهب يشتد ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم. فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظُّهر معهم وعلمهم كيف يحيُّون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا إلا بتحية[3] الجاهلية، ولما

---

(١) ناب القوم: سيدهم والمدافع عنهم.

(٢) قناة: واد بالمدينة وفي آثارها قال: ويبعد عن المدينة في أقرب جهاته نحو ٣٠ دقيقة بالمشي المتوسط، وهذه الجهة هي الواقعة بين المدينة وضريح عم الرسول وأسد الإسلام. وأعلى مصادره من وج الطائف. و«وج» واد بالطائف.

(٣) بتحية الجاهلية: وهي عم صباحاً.

قـدموا على رسـول الله ﷺ ضرب عليهم قبـة في ناحيـة[1] مسجده كمـا يزعمون. فكان خالـد بن سعيد بن العـاص هو الـذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم. وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية وهي (اللات) لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة، سنة، ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم فأبى عليهم أن يدعها شيأ مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله ﷺ عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيـديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كَسْر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه» فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها وإن كانت دناءة. فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أحدثهم سناً وذلـك أنه كـان أحرصهم على التفقـه في الإسـلام وتعلم القرآن، فقـال أبو بكـر رضي الله عنه لـرسول الله ﷺ يـا رسول الله قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن.

وكان يأتيهم بلال حين أسلموا وصاموا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان بفطورهم وسحورهم من عند رسول الله ﷺ، قالوا: فيأتينا بالسحور وإنا لنقول إنا لنرى الفجر قد طلع فيقول قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر لتأخير السحور، ويأتينا بفطورنا وإنا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد

(١) في ناحية مسجده: ليكون أرق لقلوبهم وليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا.

فيقول ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة[1] فيلقتم منها، قال عثمان بن أبي العاص: كان آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: «يا عثمان تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة».

فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، لهدم الطاغية، فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال: أدخل أنت على قومك، وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرم فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول وقام قومه دونه بنو مُعتِّب خشية أن يُرمى أو يُصَاب كما أصيب عروة وخرج نساء ثقيف حسراً[2] يبكين عليها ويقلن:

لَتُبْكَيِنَّ دُفَّاعُ. أسلَمَها الرِّضَاع[3]. لم يحسنوا المِصَاع.

ومعنى ذلك أنه سلمها اللئام حين كرهوا القتال. وروى السهيلي عن بعض أهل السير أن المغيرة بن شعبة قال لأبي سفيان حين هدم اللات: ألا أضحكك من ثقيف؟ فقال: بلى. فأخذ المعول وضرب به (اللات) ضربة ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سروراً بأن اللات قد صرعت المغيرة، وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة؟ دونكها إن استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها، ويحكم ألا ترون ما تصنع؟ فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم: يا خبثاء والله ما قصدت إلا الهزأ بكم ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها وأقبلت عجائز ثقيف تبكي حولها.

---

(١) في الجفنة: هي بضم الجيم وسكون الفاء ثم نون وهي إسم لأعظم القصاع ثم تليها القصعة ثم الصحفة ثم المشكلة.

(٢) حسرا: أي مكشوفات الرؤوس.

(٣) الرضاع: الرضاع والمصاع: المضاربة بالسيوف.

وكان أبو مُليح بن عروة وقارِب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً، فأسلما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «توليّا من شئتما» فقالا: نتولى الله ورسوله فقال رسول الله ﷺ: «وخالكما أبا سفيان بن حرب» فقالا: وخالنا أبا سفيان فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضي عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية فقال له رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال له قارب بن الأسود وعن الأسود يا رسول الله فأقضه؟ وعروة والأسود أخوان لأب وأم فقال رسول الله ﷺ: «إن الأسود مات مشركاً» فقال قارب: يا رسول الله لكن تصل مسلماً ذا قرابة (يعني نفسه) إنما الّدين عليَّ وإنما أنا الذي أطلب به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية. فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما فقضى عنهما. هذا مما ذكره ابن هشام وغيره من أصحاب السِّير في وفد ثقيف.

وإليك صورة الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لثقيف:

«بسم الله الرحمن الرحيم من النبي محمد رسول الله إلى المؤمنين إن غضاه وَجٍّ وصيده لا يعضد، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً وإن هذا أمر النبي محمد ﷺ» وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد يظلم نفسه فيما أمره به محمد ﷺ.

هذه رواية ابن إسحاق ووج وادٍ بالطائف[1] وقيل الطائف كله.

---

(١) وج: واد بالطائف ويشهد له قول أمية بن الأسكر:

بن ذا يبكي الحمام ببطن وج　　على بيضانه بكيا كلابا

والعضاه كل شجر له شوك وروى أبو داود والترمذي مرفوعاً «ألا إن صيد وَجّ وعضاهه حَرَمٌ[1] مُحَرَّم» وفي سنن أبي داود الطيالسي عن عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم.

هذا ما ذكره أصحاب السنن في أمر وَج ومسجد الطائف والله أعلم.

حجة أبي بكر الصديق
رضي الله عنه

بعث رسول الله ﷺ في أواخر ذي القعدة سنة تسع من الهجرة أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج سنة تسع[2] ليقيم للمسلمين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر والمؤمنون، قال ابن سعد في ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده عليها ناجية بن جندب الأسلمي، وساق أبو بكر خمس بدنات، فنزلت سورة (براءة[3]) في نقض ما

---

(١) حرم: بفتحتين أي حرام محرم أي مؤكد تحريمه ولم يحتج به الجمهور لضعفه. لأن سنده فيه محمد بن عبد الله بن سنان قال فيه أبو حاتم: ليس بالقوي وفي حديثه نظر ولا يتابع عليه كما قال البخاري قال ابن القيم وفي سماع عروة من أبيه نظر وإن كان قد رآه. واختلف العلماء في التحليل والتحريم، فالحنفيون ومالك وأحمد والجمهور على عدم الحرمة. وأما الشافعي فأحد قوله الحرمة بدون جزاء وهو القول الجديد لعدم كونه محلاً للنسك فأشبه الحمى ومقابله الجزاء وهو القديم لقوله في الحديث: ومن وجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يجلد وتنزع ثيابه.

(٢) سنة تسع: وهذا متفق عليه والمختلف فيه إنما هو في أي شهر حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقيل في ذي القعدة على طريقة العرب من عدم تقييده بذي الحجة وفي قول في ذي الحجة لأن النبي ﷺ أقام بعدما رجع من غزوة تبوك بقية رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج في ذي الحجة.

(٣) سورة براءة: رواية نزولها قبل خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبعثه بها مسندة وإسنادها حسن ورواية نزولها بعد خروجه مرسلة.

بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه.

فبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرأها على الناس فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء فلما كان بالعرج[1] لقي أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر ثوَّب للصبح فلما استوى للتكبير سمع رغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه، فإذا علي بن أبي طالب عليها فلما رآه أبو بكر قال له استعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال: لا ولكن بعثني[2] أقرأ براءة على الناس وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده. فقدموا مكة فلما كان قبل التروية[3] بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم

---

(١) العرج: وقال ابن عائذ بضجنان بفتح المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف.

(٢) بعثني: مجاراة على طريقتهم أنه لا يحل العقد إلا من عقده أو واحد من أهل بيته فاختار منهم علياً رضي الله عنه.

(٣) قبل التروية: بفتح الفوقية وسكون الراء وكسر الواو وخفة التحتية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ويوم السابع قبل يوم التروية يسمى يوم الزينة لأنهم يزينون محاملهم وهوادجهم لأجل الخروج. يوم كانت الهوادج والشقادف، وقد أدركناها وحججنا على الشقادف سنوات. وأدركنا ما بعد الشقادف وهي السيارات المتنوعة في العهد السعودي. وفي المدة الأخيرة اختفت الشقادف بالكلية. وحل محلها السيارات تنقل الحجاج إلى المشاعر المقدسة فقربت المسافات الطويلة وسهلت السير وله الحمد والمنة، بقي أن نعرف وجه تسمية اليوم الثامن بالتروية، أما وجه ذلك فلأنهم كانوا يحملون الماء معهم إلى عرفة وما يليها لعدم العيون والآبار الغنية بالماء وعلى توالي السنين أخذت المياه تتواجد حتى عين زبيدة. وأما الآن فقد توقفت الحكومة العربية السعودية في عهد مليكها جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود المعظم واهتمت بأمر الماء وتوفيره في عرفة والمزدلفة ومنى وفي كل المشاعر المقدسة وأنفقت الأموال الكثيرة في سبيل تحصيله وسهلت تناوله للمسلمين بحيث يكون في متناول يد مريده بدون مقابل بل ينقله إلى أي مكان بدون احتكار أو منع، وهذه نعمة الله تعالى على عباده المؤمنين.

عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها[1].
ثم خرجوا حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى إذا فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. ثم كان يوم النحر فأفاضوا فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها.

فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون، يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. رواه النسائي. ثم أذَّن عليٌّ في الناس عند الجمرة بالذي أمره رسول الله ﷺ ونبذ إلى كل ذي عهد عهده وقال: أيها الناس لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته: وجاء في الصحيحين ما يؤيد ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين[2] بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد هذا العام مشرك[3]، ولا يطوف[4] بالبيت عريان، ثم أردف النبي ﷺ أبا بكر بعلي بن

---

(١) حتى ختمها: وهذا معارض بما عند الطبراني عن أبي الصهباء قال: سألت علياً عن يوم الحج الأكبر فقال إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر يقيم للناس الحج وبعثني بعده بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب ثم التفت إلي فقال: يا علي قم وأد رسالة رسول الله ﷺ، فقمت فقرأت أربعين آية من أول براءة ثم صدرنا حتى رمينا الجمرة فطفقت اتتبع الفساطيط اقرؤها عليهم لأن الجميع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة ودفعا لهذا التعارض تحمل رواية الختم على المقصود منها على سبيل التجوز.

(٢) في مؤذنين: أي في جماعة معلمين وسمى منهم سعد بن أبي وقاص وجابراً.

(٣) أن لا يحج بعد هذا العام مشرك: لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾ ونجاستهم قذارتهم لخبث باطنهم لا نجاسة أبدانهم، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم لظاهر =

أبي طالب رضي الله عنهما فأمره أن يؤذن ببراءة قال: فأذن معنا علي كرم الله وجهه في وجهه في أهل منى يوم النحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[٤].

= الآية وهذا ضعيف لأن المشرك يطهره الإسلام. واعلم أن اختلافاً بين الأئمة في دخول المشرك غير المسجد الحرام، فالشافعي استدل بظاهر الآية على أنهم لا يمنعون من دخول سائر المساجد إن اذن مسلم لحاجة أو اقتضت مصلحة كقاض ونحوه بالمسجد وإما غيره فقاس عليه سائر المساجد. وقال أبو حنيفة: لا يمنع الكتابي لتخصيصه بالمشرك فيها وعنه اجاز دخوله للمشرك أيضاً وأن المراد به النهي عن الحج والعمرة لا الدخول آنظر الزرقاني، ولما كان الحج هو المقصود الأعظم صرح لهم في الحديث بالمنع كما في الفتح. والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله كما قاله ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعطاء وغيرهم، وعلى المسلمين أن لا يمكنوهم من قربانه، فلو دخله مشرك مستوراً ومات نبش قبره وأخرجت عظامه فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز قاله الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن.

وفي رسالتي المسماة (حسنات الحرم) ذكرت اطلاقات المسجد الحرام حيث أطلق، أسأله تعالى التوفيق لطبعها لينتفع بها القراء فأنال دعوة صالحة منهم والحكومة العربية السعودية تأمر المارين بالوقوف للتفتيش قبل علمي حدود الحرم بقليل في طريق جدة لحظر دخول غير المسلمين للحرم، كذلك الحال في طريق الطائف عند مفرق الطريق الجديدة ٢٦ كيلو متراً الموصل إلى جدة والمؤدي إلى عرفة. وإلى الهدى، وكان ذلك منها رعاية لحرمة المشاعر المقدسة التي تتفانى المملكة في الحفاظ عليها فجزاها الله خيراً على عملها هذا وأعز الإسلام والمسلمين ووفقهم لما فيه خيره وإعزازه.

(٤) ولا يطوف بالبيت عريان: كانوا يزعمون أن طواف البيت بدون لباس تعظيم له حتى قال بعضهم: أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس عليّ شيء من الدنيا خالطه الظلم.

وستر العورة في الطواف مطلوب كما هو عند الأئمة الثلاثة خلافاً لأبي حنيفة حيث جوز طواف العريان.

واعلم أن حجة الصديق رضي الله عنه هل هي مسقطة للفرض أو المسقط حجة الوداع مع النبي ﷺ في ذلك اختلاف والذي صححه ابن القيم في هديه هو الثاني وبناه على عدم فرضية الحج قبل عام حجة الوداع.

قدوم وفود العرب

قال النووي: **الوفود**: الجماعة المختارة للتقدم في لقاء العظماء، واحدهم وفد. وقال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وإنما كانت العرب تَرَبّص بالإسلام أمرَ هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً كانوا أئمة الناس وهداتهم وأهل البيت والحرم وضريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتُتحت مكة ودانت له قريش ودوَّخها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته فدخلوا في دين الله كما قال الله عز وجل: ﴿إذا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابا﴾ أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً.

وفد بني عامر

قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وجبار بن سلمى، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم[1]، فقدم عامر بن الطفيل عدّو الله على رسول الله ﷺ هو يريد

---

(١) شياطينهم: عتاتهم، فكل عات متمرد من جن وإنس ودواب شيطان.

الفتك والغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم، قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش، ثم قال لأرْبَدَ بن قيس: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاْعْله[1] بالسيف. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالني[2]؟ قال ﷺ: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده» قال: يا محمد خالني؟ وجعل يكلمه وينظر من أرْبَد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً، فلما رأى عامر ما يصنع أرْبَد، قال: يا محمد خالني؟ قال: «لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له»، فما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً. فلما ولى قال رسول الله ﷺ: «اللهم أكفني عامر بن الطفيل».

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأرْبَد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به، والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال أربد: لا أبا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟. وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض[3] الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول: يا بني عامر أغُدَّة[4] كغدة الإبل، وموتاً في بيت سلولية. ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أرْبَد؟ قال: لا شيء، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه

---

(١) فاعله: أي أقتله به.

(٢) خالني: بتخفيف اللام بمعنى تفرد لي خالياً لا تحدث معك وبتشديدها اجعلني خليلاً لك.

(٣) ببعض الطريق: بمكان يقال له الرقم بفتح الراء والقاف موضع بالمدينة.

(٤) اغدة: الغدة: داء يصيب البعير فيموت منه.

عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج بعد مقالته بيومين معه جمل[1] له فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما. وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه، فقال لبيد قصيدة يبكيه بها[2].

وفد بني سعد بن بكر

بعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم يقال له ضمام بن ثعلبة وافداً، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب[3] المسجد ثم عقله[4] ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين[5] فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن

---

(١) جمل: يبيعه.

(٢) قصيدة ومنها:

ما إن تعدى المنون من أحد	لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا	أرهب نوء السماك والأسد

وهو القائل:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم	وبقيت في خلف كجلد الأجرب
لا ينفعون ولا يرجى خيرهم	ويعاب قائلهم وإن لم يشغب
إن الرزية لا رزية مثلها	فقدان كل أخ كضوء الكوكب

(٣) على باب المسجد: فلم يدخل المسجد بالجمل. وهو أصرح من رواية أبي نعيم أقبل على بعير له حتى أتى المسجد فأناخه ثم عقله فدخل المسجد وعند البخاري من حديث انس بن مالك قال بينا نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله. وعلى هذه الرواية يأتي مجاز الحذف ويستغني عن الدفع لأنه لا دخول للجمل في نفس المسجد.
واعلم أن قدوم ضمام قيل سنة خمس والصواب كان سنة تسع على ما جزم به ابن اسحق وأبو عبيدة وغيرهما.

(٤) عقله: بفتح القاف أي شد على ساقه حبلاً بعد أن ثنى ركبتيه.

(٥) غديرتين: الغديرة الذؤآبة من الشعر.

عبد المطلب» قال: أمحمد؟ قال: «نعم» قال: يا ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تحدث[1] بها علي في نفسك؟ قال: «لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك» قال: أنشدك الله إلهك وآله من كان قبلك وآله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: «اللهم نعم» قال: فأنشدك الله آلهك وآله من كان قبلك وآله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدونها معه؟ قال: «اللهم نعم» قال: فأنشدك الله آلهك وآله من كان قبلك وآله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم».

ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة، فريضة الزكاة، والصيام، والحج وشرائع الإسلام كلها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها حتى فرغ، قال: فإني أشهد[2] أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. فقال رسول الله ﷺ: «إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة» فأتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى، قالوا: مه[3] يا ضمام اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان[4] إن الله قد بعث رسولاً وأنزل

---

(١) فلا تحدث بها، وفي ابن هشام فلا تجدن في نفسك.

(٢) أشهد أن لا إله إلا الله: هذا يدل على أنه حالة وفوده لم يكن مسلماً ثم أسلم بكلمة التوحيد التي فاه بها وهذا ما رجحه القرطبي وقيل قدم مسلماً وحضر بعد إسلامه متتبعاً منه ما أخبر به رسوله الكريم.

(٣) مه: أي انكفف عن هذا القول.

(٤) ولا ينفعان: لأن النافع والضار هو الله تعالى. فأهل الدنيا لو تجمعوا لأجل أن يضروا =

عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. فوالله ما أمسىٰ من ذلك اليوم وفي حاضره رجل، ولا امرأة إلا مسلماً.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة. هذه رواية ابن هشام عن ابن إسحاق وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام.

وفد عبد القيس

عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين وهو المسمى اليوم الاحساء، وينسبون إلى عبد القيس بن أَفْصَى بن دُعْمِي، والظاهر أنهم القبيلة المسماة في هذا العصر بقبيلة (العجمان) لأنهم هم الذين يقطنون تلك الجهة.

أما حديث الوفد فإنه قدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن خنس أخو عبد القيس وكان نصرانياً في وفد عبد القيس، فلما أتوا رسول الله ﷺ قال: «ممن القوم»؟ قالوا من ربيعة، فقال: «مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى» فقالوا: يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل نأخذ به

= الإنسان بشيء أو ينفعوه ما نفعوه ولا ضروه بشيء لأنهم خلق الله وليس بيدهم شيء والفعال للأمور كلها هو الخالق لعباده. قال الله تعالى ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

ونأمر به من وراءنا وندخل الجنة فقال ﷺ: «آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم، وأنهاكم عن أربع، عن الدباء[1]، والحنتم، والنقير، والمزفت، فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم».

هذه رواية الصحيحين وزاد مسلم: قالوا يا رسول الله ما علمك بالنقير؟ قال: «بلى جذع تنفرونه ثم تلقون فيه من التمر ثم تصبون عليه الماء حتى يغلي فإذا سكن شربتموه، فعسى أحدكم أن يضرب ابن عمه بالسيف» وفي القوم رجل اسمه جهم بن قثم به ضربة كذلك، قال: وكنت أخبؤها حياءً من رسول الله ﷺ. قالوا: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: «اشربوا في أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها» قالوا: يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان لا تبقى فيها أسقية الأدم، قال ﷺ: «وإن أكلها الجرذان» مرتين أو ثلاثاً. ثم قال رسول الله ﷺ لأشج[2] عبد القيس: «إن فيك خصلتين:

---

(١) عن الدباء: هو القرع والمراد اليابس منه، والحنتم الجرة تعمل من الطين والمزفت ما طلي بالزفت. ولإسراع الإسكار إلى هذه الأوعية نهى عن الإنتباه فيها بالذات وهذا من باب سد الذرائع قال ابن القيم: وهل تحريمه باق أو منسوخ على قولين، وهما روايتان عن أحمد. والأكثرون على نسخه بحديث بريدة الذي رواه مسلم وقال فيه كنت نهيتكم عن الأوعية فانتبذوا فيما بدا لكم ولا تشربوا مسكراً ولم يكن من بين المأمورات هنا الحج. وفي السيرة النبوية قال وفي مسند الإمام أحمد ذكر الحج.

(٢) الأشج: هو المنذر بن عائذ كبيرهم قدراً وصغيرهم سناً وهو المتخلف عند الركائب وبعد أن أناخها وجمع المتاع أخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها. ومنظره دميم وهو القائل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنه لا يستقي أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه.

يحبهما الله الحلم[1] والأناة» قال ابن إسحاق: فعرض النبي ﷺ على الجارود[2] الإسلام ودعاه إليه ورغبَّه فيه، فقال: يا محمد إني قد كنت على دين وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا ضامن لك أن هداك الله إلى ما هو خير منه» فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُملان[3] فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه» قال: يا رسول الله إن بيننا وبين بلادنا ضوال الناس أفنتبلغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا إياك وإياها فإنما تلك حَرَق النار»[4].

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه وكان حسن الإسلام صُلْباً على دينه حتى هلك وقد أدرك الردة، فلما رجع مِن قومه مَن كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فتشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأكفر من لم يشهد.

وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدي فأسلم فحسن إسلامه ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة أهل البحرين والعلاء عنده أمير لرسول الله ﷺ على البحرين.

---

(١) الحلم: العقل. والأناة عدم العجلة.

(٢) الجارود بن بشر: كان نصرانياً قال أبياتاً يخاطب بها النبي ﷺ منها:

يا نبي الله أتاك رجال ... قطعت فدفدا وآلا فآلا

تتقي وقع شر يوم عبوس ... أرُجل القلوب ذكره ثم هالا

الفدفد: المفازة، والآل: ما يرفع الشخوص في أول النهار وفي آخره وقيل: السراب.

(٣) الحملان: ما يركبون عليه من دواب.

(٤) حرق النار: لهبها، لذلك لا يجوز الإنتفاع بالضالة التي لا يجوز التقاطها كالإبل حتى لا يتضرر صاحبها بل ولئلا تطمع فيها النفوس فيأخذها لنفسه.

وفي السيرة الشامية (سبيل الهدى والرشاد) أن الجارود وفد مع حليف له يقال له سلمة بن عياض الأزدي فقال الجارود لسلمة: إن خارجاً خرج بتهامة يزعم أنه نبي فهل لك أن تخرج إليه فإن رأينا خيراً دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى بن مريم، لكن يضمر واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري إنه إن أخبرنا بها إن إنه لنبي يوحى إليه. فلما قدما عليه ﷺ قال له الجارود: بم بعثك به ربك يا محمد؟ قال: «بشهادة أن لا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله، والبراءة من كل ند، أو دين يعبد من دون الله، وبإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لحقها، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً بغير إلحاد، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد» قال الجارود: يا محمد إن كنت نبياً فاخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله ﷺ خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف والعرق يتحدر عنه فقال: «أما أنت يا جارود فإنك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية، وعن المنيحة، ألا وإن دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود، ولا حلف في الإسلام، ألا وإن أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر الدابة، أو لبن شاة فإنها تغدو برفده وتروح بمثله، وأما أنت يا سلمة فإنك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الأوثان وعن يوم السباسب، وعن عقل الهجين، فأما عبادة الأوثان فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدون مِنْ دُونِ اللَّهِ حَطْبُ جَهنَّمَ أَنْتُم لَهَا وَارِدُونَ﴾.

وأما يوم السباسب فقد أعقبه الله خيراً من ألف شهر فاطلبوها في العشر الأواخر من رمضان فإنها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها، وأما عقل الهجين فإن المؤمنين إخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم» فقالا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله.

وفد بني حنيفة

روى البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاردي قال: لما بُعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه ألقينا ذلك وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به وكنا إذا دخل رجب قلنا جاء منصل الأسنة فلا ندع سهماً فيه حديدة ولا حديدة في رمح إلا نزعناها وألقيناها. فقدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ المدينة فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال ﷺ: «إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابت[2] بن قيس يجيبك عني» ثم انصرف قال ابن عباس رضي الله عنهما: فسألت عن قول النبي ﷺ: «إنك الذي أريت فيه ما أريت» فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي فهذان هما أحدهما العَنْسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة» هذه رواية البخاري وأما ما ورد في السير تتمة لرواية البخاري فقد أعطى رسول الله ﷺ لكل واحد من وفد بني حنيفة

---

(١) بني حنيفة: ينزلون اليمامة ينسبون إلى جدهم حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٢) ثابت بن قيس: هو خطيب الأنصار وخطيبه ﷺ. والنبي ﷺ أعطي جوامع الكلم، فما قاله لمسيلمة فيه الكفاية وإن لم يكفه وطلب المزيد من الإسهاب فثابت الخطيب يقوم بذلك.

خمس أواق من فضة بما فيهم مسيلمة، فأسلم رجال الوفد كلهم غير مسيلمةُ فإنه آمن بنبوة النبي ﷺ وبنبوته بعده، فلما رجعوا وانتهوا إلى اليمامة ارتد[1] عدوّ الله مسيلمة وتنبأ وكذب وادعى أنه أشرك معه ﷺ في النبوة فتكلم بالهذيان ليضاهي به القرآن فمن قوله: «لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صِفَاق[2] وحشا». وقال: والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات[3] لقما. ووضع عنهما الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا، وكتب مسيلمة إلى رسول الله كتاباً فقال: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد فإني أشْركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر وليس قريش قوماً يعدلون. وبعثه مع رجلين إلى رسول الله ﷺ.

روى أو داود الطيالسي في مسنده قال: جاء ابن النواحة وابن أثال رسولين لمسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ، فقال لهما رسول الله ﷺ: «تشهدان أني رسول الله»؟ فقالا نشهد أن مسيلمة رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «آمنت بالله ورسوله ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما» قال: عبد الله[4] فمضت السنة بأن الرسل لا تقتل. فكتب رسول الله ﷺ.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من

---

(١) ارتد عدو الله: ظاهره أنه أسلم قاله الزرقاني.

(٢) صفاق: بكسر المهملة وخفة الفاء فألف فقاف، هو الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر، أو ما بين الجلد والمصران أو جلد البطن كله كما في القاموس.

(٣) اللاقمات لقما: وسجل على سورة الكوثر بما تمجه الأسماع وتكرهه الطباع. فقال إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل فاجر.

(٤) عبد الله: هو ابن مسعود رضي الله عنه.

يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» وكان ذلك في آخر سنة عشر.

قال السهيلي[1]: فأما مسيلمة فقتله خالد[2] بن الوليد وأفنى قومه قتلاً وسبياً وأما مسعود بن كعب العنسي ـ الذي تنبأ في صنعاء اليمن ـ فاتبعته قبائل من مذحج[3] واليمن على أمره وغلب على صنعاء وكان يقال له ذو الخمار ويلقب عبهلة[4]، وكان يدَّعي أن سُحَيْقاً وشريقاً[5] يأتيانه بالوحي، ويقول: هما ملكان يتكلمان على لساني، وهو من ولد مالك بن عنسي قتله فيروز الديلمي، وقيس بن مكشوح، وداذويه رجل من الأبناء، دخلوا عليه من سرب صنعته لهم امرأة كان قد غلب عليها من الأبناء فوجدوه سكران لا يعقل من الخمر فخبطوه بأسيافهم وهم يقولون:

---

(١) السهيلي: في كتابه الروض الأنف في جزئين.

(٢) فقتله خالد بن الوليد: قد كان مسيلمة الكذاب داعية أهل الردة فجهز أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً وأمر عليه خالد بن الوليد فأفنى قومه قتلاً وسبياً: وقتل وعمره مائة وخمسون سنة. والأشهر أن قاتله عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني. وهذا ما جزم بـه الواقـدي واسحق بن راهويـة والحاكم، وقيـل قاتله عدي بن سهل وقيل أبو دجانة وقيل زيد بن الخطاب وقيل وحشي. وهذه جملة أقوال في قاتله ويمكن جمعها بإصابته بضربة عبد الله. وحينئذ انقض عليه الآخرون فكلهم اشتركوا في قتله.

(٣) مذحج: بفتح الميم وسكون المعجمة وكسر المهملة ثم جيم بوزن مسجد وهو أبو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن زيد بن كهلا بن سبأ.

(٤) ويلقب عبهلة. وفي فتح الباري اسمه عبهلة بفتح العين المهملة وسكون الموحدة وفتح الهاء ابن كعب وكان يقال له ذو الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يخمر وجهه. وأقره الزرقاني تبعاً للقسطلاني شارح البخاري ويلقب بالأسود. والعنسي بفتح العين المهملة وسكون النون وكسر السين المهملة من بني عبس.

(٥) وشريقا: في السيرة النبوية شقيق بمعجمة وقافين مصغراً بدل شريق ومثله في الزرقاني. ويقال أنه مر على المهاجر بن أبي أمية فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادعى الأسود أنه سجد له.

ضـل نبي مـات وهـو سكـران والنـاس تلقى جلهم كـالـذبـان
النور والنار لديهما سيان

وسيأتي ذكر قتل مسيلمة، والأسود العنسي[1]، في الجزء الخامس من هذا التاريخ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مفصلاً. واقتصر هنا على ذكر الوفود وأشرت إلى قتلهما لبيان نتيجتهما.

وفد طيء وزيد الخيل

قدم على رسول الله ﷺ وفد طيء وفيهم زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي وقيل له زيد الخيل لخمس أفـراس[2] كانت لـه لها أسماء أعلام، ومن الوفد وزر بن سدوس النبهاني، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمي وهـو النصراني، وملك بن عبـد الله بن خيبري بن أفلت بن سلسلة، وقعين بن خلف الـظريفي رجـل من جـديلة. فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا قريباً من النبي ﷺ حيث يسمعون صوته، فلما نظر النبي ﷺ إليهم قال: «إني خير لكم من العزى ولاتها، ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله، ومما حارت مناع من كل ضار غير نفاع».

فقام زيد الخيل وكان من أعظمهم خلقاً وأحسنهم وجهاً وشعراً وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض فقال له النبي ﷺ

---

(١) الأسود العنسي: قال أبو الأسود عن عروة أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر أصحابه ثم جاء الخبر إلى أبي بكر وقيل وصل الخبـر صبيحة دفن النبي ﷺ.

(٢) لخمس أفراس، وعلة التسمية لا تقتضي التسمية وإلا لقيـل للزبرقان بن بدر زبرقان الخيل لما له من الخيول فقد قيل أنه وفد على عبد الملك بن مروان ومعه خمسة وعشرون فرساً قدمها إليه وصار ينسب كل واحدة من الأفراس إلى آبائها وأمهاتها.

وهو لا يعرفه «الحمد لله الذي أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للإيمان» ثم قبض على يده فقال: «من أنت»؟ فقال: أنا زيد الخيل بن مهلهل، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله. فقال ﷺ: «بل أنت زيد الخير» ثم قال: «يا زيد ما خبرت عن رجل شيئاً قط إلا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك» ومعناه كما جاء في رواية ابن هشام عن ابن إسحاق «ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه» فبايعه وحسن إسلامه، وعرض رسول الله ﷺ الإسلام على رجال الوفد فأسلموا وحسن إسلامهم، وكتب رسول الله ﷺ لزيد الخيل كتاباً على ما أراد وأقطعه قرى كثيرة مع فيد[1] وكتب كل واحد منهم على قومه إلا زرِّين سروس فقال: أني لأرى رجلاً ليملكن رقاب العرب ولا والله لا يملك رقبتي عربي أبداً، ثم لحق بالشام وتنصر وحلق رأسه. فقال زيد الخيل حين انصرافه:

أنيخت بآجام المدينة أربعاً ... وعشراً يغني فوقها الليل طائر

فلما قضت أصحابها كل بغية ... وخط كتاباً في الصحيفة ساطر

شددت عليها رحلها وشليلها ... من الدرس والشعراء والبطن ضامر

وأهدى زيد الخيل لرسول الله ﷺ مخذماً، والرسول، وكانا سيفين لصنم يلي الفلس، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه فقال رسول الله ﷺ: «إن[2] ينج زيد من حمى المدينة فإنه» فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرَدة[3] أصابته الحمى بها، ولما أحس زيد

---

(١) فيد: إسم مكان بفتح الفاء وسكون التحتية ودال مهملة.

(٢) أن ينج: إن جازمة وينج فعل مبني للمفعول أي فإنه لا يصاب بسوء وقوله (فإنه) رأيت في ابن هشام بعده فإنه قال قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى وغير أم ملدم فلم يثبته قال والإسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمى هو أم كلبة ذكر لي أن أبا عبيدة ذكره في مقاتل الفرسان ولم أره.

(٣) فردة: بالفاء المفتوحة والدال المهملة وبينهما راء ساكنة.

بالموت قال:

أمرتحل قومي المشارق غُدوةً وأُترَكُ في بيت بفَردة منجد[1]
ألا رُبَّ يوم لو مرضْتُ لعادني عوائدُ من لم يُبْرِ منهن يجهْد

فأقام بفردة ثلاثة أيام ومات[2]، فأقام عليه قبيصة بن الأسود بن عامر المناحة سنة، ثم توجه براحلته ورحله وفيها كتاب رسول الله ﷺ، فلما رأت امرأته الراحلة ليس عليها زيد ضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب. وكان زيد موصوفاً بحسن الجسم وكان أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم المعدودين.

وفد عدي بن حاتم

كان يقول عدي بن حاتم: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منا، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً وكنت أسير في قومي بالمرباع[3] فكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي لما كان يُصْنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبا لك أعدد لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً[4] سماناً فاحتبسها قريباً مني فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم أتاني ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت: فقرب إليّ أجمالي فقربها فاحتملت بأهلي

---

(١) منجد: أي بنجد.

(٢) ومات: في الهدى قال ابن عبد البر وقيل مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه وله ابنان مكنف وحريث أسلما وصحبا رسول الله ﷺ وشهدا قتال أهل الردة مع خالد ابن الوليد.

(٣) بالمرباع: أي آخذ الربع من الغنائم لأني سيدهم.

(٤) ذللا: جمع ذلول وهو الجمل السهل الذي قد ريض.

وولدي ثم قلت الحَقُ بأهل ديني من النصارى بالشام فسلكت الجوشية[٣] وخلفت بنتاً لحاتم[٤] في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفني خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام قال فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ منَّ الله عليك، قال ﷺ: «من وافدك»؟ قالت عدي بن حاتم، قال ﷺ: «الفار من الله ورسوله»؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد مرَّ بي فقلت له مثل ذلك فقال لي مثل ما قاله بالأمس. قالت حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي وقد يئست منه فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه، قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ منَّ الله عليك؟ فقال ﷺ: «قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن أكلمه فقيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأقمت حتى قدم ركب من بَلي أو قضاعة قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني قاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة[١] تصوب إليَّ تؤمنا فقلت: ابنة حاتم قال: فإذا هي، فلما وقفت عليَّ انسلحت[٢]

---

(١) الجوشية: جبل للضباب قرب ضرية من أرض نجد.

(٢) بنت الحاتم: اسمها سفانة والحاضر الحي.

(٣) الظعينة: المرأة في هودجها.

(٤) انسلحت: أخذت في اللوم ومضت فيه مجدة.

تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك، قال قلت: أيْ أخيّة لا تقولي إلا خيراً فوالله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت، قال: ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا تَرَين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن وأنت، قال قلت: والله إن هذا الرأي.

فخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلَّمت عليه فقال: «من الرجل»؟ فقلت: عدي بن حـاتم، فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته، فوالله انه لعامد بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجة، قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ فقال: «اجلس على هذه» قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: «بل أنت فاجلس عليها»، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً[1]»؟ قلت: بلى، قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع»؟ قلت: بلى، قال: «فـإن ذلك لم يكن بحـل لك في دينـك» قلت: أجل والله، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهـل، ثم قال ﷺ: «لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال ن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم فوالله لوشِكَنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخـول فيه أنـك تـرى أن الملك والسلطان في

---

(١) ألم تك ركوسياً: من الركوسية وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين.

غيرهم. وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» قال عدي: فأسلمت. وكان عدي يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونَن قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه. هذه رواية ابن إسحاق. ولنأت على تتمة أمره.

قال الحافظ بن حجر في الإصابة: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ولد الجواد المشهور، أسلم في سنة تسع وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر رضي الله عنه وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد الستين، وقد أسن. بلغ عشرين ومائة سنة، قال عدي أتيت عمر رضي الله عنه في أناس من قومي فجعل يعرض للرجل ويعرض عني فاستقبلته فقلت: أتعرفني؟ قال: نعم آمنت إذ كفروا، وعرفت إذ أنكروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا، وان أول صدقة بيضت وجوه أصاب رسول الله ﷺ صدقة طيء. أخرجه أحمد وابن سعد.

هذه قصة وفود عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه وما كان من حديثه مع النبي ﷺ وملاطفته له. وقد جاء له من مكارم الأخلاق في القسم الثاني من هذا الكتاب في تاريخ الخلفاء الشيء الكثير، وقد اقتصرت على ذكر وفادته وإسلامه هنا. ومنه يتضح للقارىء مكارم أخلاق النبي ﷺ وحسن سياسته ورعايته لأمراء العرب وذوي الشخصيات البارزة منهم فإنه ﷺ قابل عدي بن حاتم تلك المقابلة الحسنة وأخذه إلى بيته وأعطاه الوسادة وجلس على الأرض حتى جعل عدي بن حاتم يقول: والله ما هذا بأمر ملك. حيث أن الملوك لا يقدمون أحداً على أنفسهم ولو كانوا ملوكاً مثلهم وإنما يجاملون بما لا يكون فوق كرامة أنفسهم.

ولم يكن ذلك خاص بأخلاق الملوك وحدهم بل إنـك تجد بعض أفراد الناس من لا يبالغون في تجلة[1] أحد بما يفوق على موضعهم إذا كان أقل منهم منزلة أو مماثلاً لهم، فكان رأي عدي بن اتم مصيباً في أن هذه الأخلاق لا تكون إلا للأنبياء وحدهم مع أن الأنبياء صلوات الله عليهم هم المشرعون لمكارم الأخلاق وهم القدوة في كل شيء.

قدوم فروة بن مسيك المرادي

قدم فروة بن مُسَيـك المرادي على رسول الله ﷺ سنة تسع مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم، ولما توجه فروة إلى رسول الله ﷺ قال:

لمـا رأيت ملوك كنـدة أعــرضت كالرِّجل خان الرجل عرقُ نسائها[2]

قــربتُ راحلتـي أؤم مـحـمــداً أرجــو فـواضلهــا وحسن ثـرائها

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: «يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم»[3]؟ قال: يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لا يسؤه ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «أمَا أن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً» واستعمله النبي ﷺ على مراد، وزبيد ومذحج، كلها. وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده تى توفي رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ لما استعمله: «أدع الناس وتألفهم فإذا رأيت الغفلة فاغتنمها واغز». واستعمله عمر رضي الله عنه على صدقات مذحج ثم سكن الكوفة وكان من وجوه قومه.

---

(١) في تجلة أحد: ولو انقلب الوضع لملك نفوسهم بما يغرسه في قلوبهم من الوداد لأن الإحسان بالناس له أثره العظيم.

(٢) عرق نسائها: عرق النساء هو عرق مستبطن في الفخذ.

(٣) يوم الردم قبيل الإسلام حدثت واقعة بين مراد وهمدان أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا في يوم فقيل له: يوم الردم.

فكان من حسن سياسة النبي ﷺ إذا وجد في أحد الأمراء خيراً أيده في إمارته على قومه بل وعلى غيرهم كما صنع مع فروة هذا وكما صنع مع وائل بن حجر الحضرمي كما سيأتي حيث لم يكن غرضه الاستعمار، بل غرضه الوحيد الإصلاح والعدل.

وفد عمرو بن معدي كرب

قدم على رسول الله ﷺ عمرو بن مَعْدِي كرب في أناس من بني زُبَيد فأسلم، وكان عمرو قد قال لقيس[1] بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: «يا قيس إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفَّه رأيه. فركب عمرو بن معدي كرب حتى قدم على رسول الله ﷺ فنزل على سعد بن عبادة رضي الله عنه فأكرمه وراح به إلى النبي ﷺ فأسلم وأجازه النبي ﷺ فرجع إلى قومه فأقام فيهم مسلماً مطيعاً، وكان عليهم فروة بن مُسَيك، فلما النبي ﷺ ارتد عمرو بن معدي مطيعاً، وكان عليهم فروة بن مُسَيك، فلما مات النبي ﷺ ارتد عمرو بن معدي كرب فأسره المهاجر بن أبي أمية وأرسله إلى أبي بكر رضي الله عنه فعاود الإسلام، وكان في عهد رسول الله ﷺ وجَّه رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن وقال له: «إن مررت بقرية فلم تسمع أذاناً فاسبهم» فمر ببني زبيد فلم يسمع أذاناً فسباهم

---

(١) لقيس: إبن أخيه ولما علم بتسفيه رأيه من قيس قال فيه أبياتاً منها:

فمن ذا عاذري من ذي سفاه ... يريد بنفسه شد المزاد

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مرادي

وقيس هذا قد أسلم وقيل له صحبه وقيل لا.

فأتاه عمرو بن معدي كرب فكلمه فيهم فوهبهم إياه فوهب له عمرو سيفه الصمصامة فتسلحه خالد بن سعيد فقال له عمرو: على صمصامة السيف السلام.

قال مالك بن عبد الله الخثعمي: ما رأيت أشرف من رجل برز يوم اليرموك إليه علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا وتبعهم ثم انصرف إلى خباء له عظيم فنزل ودعا بالجفان ودعا من حوله فقلت من هذا؟ قال: عمرو بن معدي كرب.

وقال قيس بن أبي حازم: شهدت القادسية وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أميراً على الناس فجعل عمرو بن معدي كرب يمر على الصفوف ويقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً أشداء فإن الفارس إذا ألقى رمحه يئس، فرماه أسوار من الأساورة بنشابه فأصاب سِيَةَ قوسه فحمل عليه عمرو فطعنه فدق صلبه ونزل إليه فأخذ سلبه ثم جاءته نشابة فأصابت قربوس سرجه فحمل على صاحبها فأخذه كما تؤخذ الجارية فوضعه بين الصفين ثم احتزّ رأسه وقال: اصنعوا هكذا. وحمل عمرو بن معدي كرب يوم القادسية وحده فضرب فيهم ثم لحقه المسلمون وقد أحدقوا به وهو يضرب فيهم بسيفه فنحوهم عنه فقال:

والقادسية حين زاحم رستم   كنا الكماة نهز كالأسطان
ومضى ربيع بالجنود مشرقاً   ينوي الجهاد وطاعة الرحمن

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إني أمددتك بألفي رجل: عمرو بن معدي كرب، وطلحة بن خويلد. ولما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه النعمان بن مقرن على الجند لحرب الفرس كتب إليه لما توجه إلى نهاوند أن في جندك عمرو بن معدي كرب وطلحة بن خويلد فاحضرهما وشاورهما في الحرب ولا تعطهما من الأمر شيئاً فإن كل صانع أعلم بصناعته.

ولماافتتح سعد العراق ودرَّ له الخراج أوفد عمرو بن معدي كرب إلى عمر بن الخطاب يذكر له شجاعته وحسن مؤازرته. ولما كانت وقعة نهاوند قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش فانهزم المسلمون وقاتل عمرو بن معدي كرب يومئذ حتى كان الفتح، وقد شهد (صفين) وعمره مائة وخمسون سنة.
وعن رميح بن هلال عن أبيه: رأيت عمرو بن معدي كرب في خلافة معاوية شيخاً عظيم الخلقة أعظم ما يكون من الرجال، أخشن الصوت، إذا التفت التفت بجميع جسده. قال ابن عبد البر: كان عمرو شاعراً محسناً. ومما يستحسن من شعره قصيدته التي منها أولها:

أمن ريحانة الداعي السميع — يؤرقني وأصحابي هجوع

ويقول فيها:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه — وجاوزه إلى ما تستطيع

فهذا عمرو بن معدي كرب الزبيدي من أعظم أبطال الإسلام في الحرب، ومن أشجعهم في مصارعة الأقران، وأقدمهم جرأة، ومن أثبتهم جأشاً، وأسنهم عمراً، وتاريخه مجيد، وفعله حميد، وبطشه في الأعداء شديد، فرحم الله عمراً ومن كان على شاكلته، وهكذا الأبطال يخلد مجدهم، ويتناقل فخارهم ويسجل تاريخهم مدى الأجيال والعصور، وكل ما تقدم وهو نبذة من تاريخه.

وسيأتي تاريخه مفصلاً في القسم الثاني من هذا الكتاب في تاريخ الخلفاء وتاريخ طلحة الأسدي.

قدوم الأشعث بن قيس
في وفد كندة[1]

قدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً من كندة وافدين على رسول الله ﷺ فلما وفدوا المدينة ترجلوا[2] جممهم[3] وتكحلوا، عليهم جبب الحِبَرة[4] وقد كففوها[5] بالجرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ في المسجد قال: «ألم تسلموا»؟ قالوا: بلى، قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم»؟ فشقُوه منها فألقَوه[1]، ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله نن بنو آكل المُرار[2] وأنت ابن آكل المرار فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث».

وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب فسئلا ممن هما قالا: نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً، ثم قال لهم: لا بل نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أُمنا[3] ولا

---

(١) كندة: بكسر الكاف وسكون النون قبيلة من لليمن ينسبون إلى كندة لقب جدهم نور بن غفير.

(٢) ترجلوا: أي سرحوا أو مشطوا.

(٣) جممهم: جمع جمة وهي مجتمع شعر الناصية الذي يبلغ إلى الكعبين.

(٤) الحبرة: نوع من برود اليمن.

(٥) كففوها: أي سجفوها.

(١) فألقوه: لحرمة لبس الحرير وإن كان سجافاً لكونه زائد على الحد الجائز شرعاً.

(٢) المرار: بضم الميم وتخفيف الراء شجر من أفضل العشب إذا أكلته الإبل تقلصت مشافرها لمرارته.

(٣) لا نقفوا أمنا: أي لا ننتسب إلى الأمهات ونترك النسب إلى الآباء كما كان يقوله العباس وربيعة لأن الإنتساب لغير الأب حرام لأن العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كانا يقولان نحن بنو آكل المرار لأن أم عبد المطلب من الأنصار وهم كندة من أولاد سبأ فرسول الله ﷺ أخبر بأن الإنتساب =

ننتفي من أبينا. فقال الأشعث بن قيس لقومه: هل فرغتم يا معشر كندة والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين. قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قِبَل النساء، وآكلُ المرار هو الحارث بن عمرو بن حُجْر الكندي، والمرار شجر قد أكل[1] منه في غزوة، والأشعث بن قيس هو من كندة وكان من ملوك كندة وهو صاحب مرباع حضرموت وكان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث، وكان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأُسر فأحضر إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال لأبي بكر: استبقني لحربك وزوِّجني أختك. فأطلقه وزوَّجه أخته أم فروة، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث فلما فرغ طر سيفه وقال: إني والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل يعني أمير المؤمنين أبا بكر الصديق رضي الله عنه أخته، ولو كنا في بلادنا كانت وليمة غير هذه، يا أهل المدينة كلوا ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا شرواها.

ثم شهد الأشعث اليرموك بالشام والقادسية وغيرها بالعراق وسكن الكوفة وشهد مع علي رضي الله عنه (صفين) ومات بعد قتل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن[2]

= يكون إلى الأب لا إلى الأم أو لأن دعداً بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندي المذكور كانت أم كلاب بن مرة ذكره السهيلي في روضه. فالأشعث لاحظ أن له جدة من كندة فعمد إلى ذلك الإنتساب ولكن رسول الله ﷺ رد عليه بما هو الصحيح. وفي الحديث: (ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً).

(١) أكل منه: ولذلك لقب به وقيل لأن عمرو بن هند الغساني أغار عليهم في غيبة الحارث فغنم وسبى فكان في السبي امرأة الحارث فقالت لعمرو لكأني برجل أتاكم أسود كأن مشافره مشافر بعير قد أكل المرار تعني زوجها فتبعه الحارث في قومه فقتله واستنقذ امرأته.

(٢) مات قبل سنة اثنتين وأربعين.

علي رضي الله عنهما وله من العمر ثلاث وستون سنة رضي الله عنه. وللأشعث بن قيس حوادث وأخبار وقد ذكرتها في القسم الثاني من هذا الكتاب في تاريخ الخلفاء الأربعة.

وفد صرد بن عبد الله الجرشي

قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي الجرشي فأسلم وحسن إسلامه، وكان في وفد من الأزد فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش[1] وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت إليهم خثعَم فدخلوها فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له (شكر)[2] ظن أهل جرش أنه إنما ولَّى عنهم منهزماً فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً، وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله ﷺ: «بأي بلاد الله شكر»؟ فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له (كشر) وكذلك يسميه أهل جرش. فقال ﷺ: «إنه ليس بكشر ولكنه شكر» قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إن بُدن[3] الله لتنحر عنده الآن». فجلس الرجلان إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ الآن لينعي لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ

---

(١) بجرش: بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة: مخلاف من مخاليف اليمن أي كورة أي ناحية. وقوله ضوت أي أوت.

(٢) شكر: بالشين المعجمة وكاف المفتوحتين.

(٣) بدن الله لتنحر: يعني قتل قومهم الذين هم كالبدن في عدم الإدراك.

فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك فقال: «اللهم ارفع عنهم».

فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، فعند ذلك خرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة وللمثيرة بقرة الحرث فمن رعاه من الناس فماله سُحْتٌ فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية وكانوا يعدون[1] في الشهر الحرام:

يا غَزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغالُ وفيها الخيل والحُمر

حتى أتينا حُمَيراً في مصانعها[2] ... وجمع خَثعَم قد شاعت لها النذر

إذا وضعت غليلاً كنت أحمله ... فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حِمْير حين رجوعه من غزوة تبوك ورسلهم إليه بإسلامهم وهم الحارث بن عبد كُلاَل، ونُعَيم بن عبد كُلاَل، والنُّعمان قَيْلُ ذي[3] رُعين، ومعافر، وهمدان، وبعث إليه زرعة ذو يزَن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله، فكتب إليهم رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كُلاَل، وإلى نعيم بن عبد كُلاَل، وإلى نعيم بن عبد كلال،

---

(١) يعدون: يعتدون.

(٢) في مصانعها: المصانع القرى والحصون والأبنية الضخمة، والغليل حرارة الجوف من عطش ونحوه.

(٣) قيل: القيل واحد الأقيال وهم الملوك الذين دون الملك الأكبر.

وإلى النعمان قَيلِ ذب لاعبن، ومَعَافر، وهَمْدان، أما بعد ذلكم فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلّغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس الله، وسهم النبي ﷺ، وصفيه[1]، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، إن في الإبل الأربعون إبنة لبون، وفي الثلاثين من الإبل إبن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، وإنما فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له، من أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم.

ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر، أو أنثى، حر، أو عبد، دينار واف من قيمة المعافر[2] أو عوضه ثياباً، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد: فإن رسول الله محمد النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً، معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرة، وأصحابهم، وأن اجمعوا

---

(١) الصفي: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تقسم المغانم.

(٢) المعافر: ثوب من ثياب اليمن.

ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وأبلغوها رسلي، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبنَّ إلا راضياً.

أما بعد، فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فأبشر بخير، وآمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا، ولا تخاذلوا، فإن رسول الله ﷺ هو مولى غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تحلُّ لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وإن مالكاً قد بلَّغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيراً، وإني قد أرسلت إليكم من صالح أهلي وأولي دينهم وأولي عملهم وآمركم بهم خيراً فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً أوصاه وعهد إليه ثم قال له: «يسِّر، ولا تعسر، وبشِّر، ولا تنفر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسئلونك ما الجنة فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ فأتته امرأة من أهل اليمن فقالت: يا صاحب رسول الله ما حق زوج المرأة عليها؟ قال: ويحك إن المرأة لا تقدر على أن تؤدي حق زوجها فاجهدي نفسك في أداء حقه ما استطعت. قالت: والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة. قال: ويحك لو رجعت إليه فوجدته تنثعب[1] منخراه قيحاً ودماً فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أدَّيت حقه.

هذا ما كان من أمر قدوم رسل ملوك حمير، وما كتب لهم رسول الله ﷺ من التشريع بما هو خاص بالزكاة، والغنائم، وأرسل رسله ليعلموهم أمر دينهم ودنياهم، وحثهم على مكارم الأخلاق وغير ذلك، وهذا يدل على

---

(١) تنثعب: أي تسيل.

أن العرب قد فهمت معنى الإسلام وأنه الحصن الحصين الذي يصونهم ويربط أواصرهم ويجمع كلمتهم، ويجعلهم أمة واحدة، وجسماً واحداً، وكتلة واحدة، حيث أن الشرك قد فرق بينهم وجعلهم شعوباً وقبائل على أديان مختلفة، ومذاهب متفرقة، ومشارب متباينة، وسبب التشاحن والبغضاء فيما بينهم، حتى سحق القوي الضعيف، وأكل السمين الهزيل، وقد مضى على ذلك التطاحن عدة قرون حتى استعمرتهم الحبشة مرة، والفرس أخرى، وصاروا أذلاء في قلب أرضهم ووطنهم. ولما اعتنقوا الإسلام وتشرب قلبهم بالإيمان الصحيح صاروا سادات الأمم في الشرق والغرب عدة قرون، ثم لما حادوا عن أساس دينهم وتقاعدوا عن مبادىء شريعتهم ضربهم الخمول والهوان حتى ذهب ملكهم العظيم من أيديهم وتفرقت كلمتهم وانكسرت شوكتهم وخسروا كل شيء.

فعلم مما تقدم أنه لا سبيل إلى السعادة إلا عن طريق الإيمان الصحيح إذ ليس هناك طريق غيره، والله الهادي إلى صراطه المستقيم.

وفد فروة بن عمرو الجذامي

بعث فروة بن عمرو بن النافرة الجُذامي إلى رسول الله ﷺ رسولاً[1] بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء يقال لها فضة، وحماراً يقال له يعفور، وفرساً يقال له الظرب، وثياباً، وقباء مرصعاً بالذهب، فقبل رسول الله ﷺ الهدية وأعطى الرسول اثنتي عشرة أوقية من فضة، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب وكان منزله مَعَان وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم فقال في حبسه ذلك:

---

(١) رسولا: واسمه مسعود بن سعد الجذامي.

طرقتْ سُلَيمى مُوهناً[1] أصحابي | والرومُ بين الباب والقِرواني
صد الخيالُ وساءه ما قد رأى | وهممت أن أغفْي[2] وقد أبكاني
لا تكحِلنّ العينَ بعدي اثمدا | سَلمى ولا تَدينًّ للإتيان
ولقد علمتَ أبا كُبَيشة أنني | وَسْط الأعزة لا يُحَصّ[3] لساني
فلئن هلكتُ لتفقدُنَّ أخاكم | ولئن بقيتُ لتعرفُنَّ مكاني
ولقد جمعتُ أجلَّ ما جَمَع الفتى | من جودة وشجاعة وبيان

فقال له الملك: إرجع عن دين محمد ونحن نعيدك إلى ملكك؟ قال: لا أفارق دين محمد ﷺ فإنك تعلم أن عيسى عليه السلام بشّر به ولكنك تضنّ بملكك، فلما اجتمعت الروم على صلبه على ماء يقال له عفرى بفلسطين فقال رضي الله عنه:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها | على ماء عفرا فوق إحدى الرواحل[4]
على ناقة لم يضرب الفحل أمها | مشذّبة[5] أطرافها بالمناجل

قال الزهري بن شهاب: إنهم لما قدموه ليقتلوه قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني | سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء. وهذا ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق. قال الحافظ بن حجر في الإصابة: أسلم ولم يره رسول الله ﷺ ولا اجتمع به.

---

(١) موهناً: الموهن بعد ساعة من الليل. والقروان جمع قرو بالكسر وهي حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب.
(٢) أغفى: أغفى نام نوماً خفيفاً.
(٣) لا يحصُّ: لا يقطتع.
(٤) الرواحل: يريد الخشبة التي صلبوه عليها.
(٥) مشذبة: هي التي أزيلت أغصانها.

هكذا يكون المؤمن متمسكاً بإيمانه فإن فروة بن عمرو الجذامي رضي الله عنه قد ضحى بملكه وحياته وأهله وأعز عزيز لديه لأجل الإسلام، فلو أن المسلمين اليوم متمسكون بإسلامهم تمسك فروة بن عمرو رضي الله عنه لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التفكك والإنخذال بسبب تفريطهم في دينهم وجامعتهم الإسلامية، حيث أن التمسك بالإسلام لا يكون جعجعة باللسان، أو إرثاً عن الآباء والأجداد، أو تفوهاً مجرداً عن الإيمان الصحيح، أو أنه حبر على ورق كما هو المعروف عند بعض العصريين اليوم بل هو إيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ إيماناً صحيحاً قوياً ثابتاً كثبوته في قلب فروة بن عمرو رضي الله عنه ذلك الذي لا يرى شيئاً أعظم ولا أقدس من الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ، ذلك الإيمان الذي جعله يضحي بنفسه بسخاء وبأعز عزيز لديه من ملك وفخر وعز، وأهل، وولد، ووطن، ومال، وراحة، وهناء، في سبيله ولأجله.

فهذا الإيمان الصحيح وليس هو كما يظنه بعض العصريين أنه نفخة شدق وسفسطة، وخيال.

قدوم وفد بني الحارث بن كعب

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه في شهر ربيع الآخر سنة عشر من الهجرة إلى بني الحارث بن كعب بنجران[٢] وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما يدعو إليه، فأقام فيهم خالد

---

(١) نجران: بلد بين اليمن وهجر سمي بنجران بن زيد بن سبأ.

يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد. السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: يا رسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ وبعثت فيهم ركباناً قالوا يا بني الحارث أسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمر الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إلي رسول الله والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فكتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو الغصة، ويزيد بن عبد المدان، وعمرو بن عبد الله الضبابي، فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم قال: «من هؤلاء

القوم الذين كأنهم رجال الهند»؟ قيل يا رسول الله هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه وقالوا نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» ثم قال رسول الله ﷺ: «أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا» فسكتوا فلم يراجعه أحد، ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة فقال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أبع مرار، فقال رسول الله ﷺ لو أن خالداً لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم» فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، قال: «فمن حمدتم» قالوا: حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: «صدقتم». ثم قال رسول الله ﷺ: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية»؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً، قال: «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم» قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «صدقتم».

وأمَّر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية شوال فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم.

وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره فيه بأمره وهو «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا بيان من الله ورسوله.. يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.. عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن.. أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير

ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه. وينهى الناس فلا يمس[1] القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين في الحق ويشتد عليهم في الظلم فإن الله كره الظلم ونهى عنه فقال: ألا لعنة الله على الظالمين، ويبشر الناس بالجنة ويعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما أمر الله به. والحج الأكبر الحج الأكبر، والحج الأصغر هو العمرة، وينهى الناس أن يصلي أحدهم في ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوباً يثني طرفيه على عاتقه، وينهى الناس أن يحتبي أحدهم في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن لا يعقص أحد شعر رأسه في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى يكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ويأمر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله، وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ويغلِّس بالصبح، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمي، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل، وأمر بالسعي[2] إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها، وأمر أن

---

(١) فلا يمس القرآن إنسان إلا طاهر: أي من الحدثين الأصغر والأكبر ولقول الله تعالى ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ وهو خبر بمعنى النهي والمطهر بمعنى المتطهر. ذكره الإمام النووي في المجموع شرح المهذب وفي تفسير أبي السعود وقرىء (المطهرون) وفي أحكام القرآن لابن العربي بطلان القول بأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ قال: لأن الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال فلو كان المراد به ذلك لما كان للإستثناء فيه محل.

(٢) السعي إلى الجمعة إذا نودي لها: المراد بالسعي القصد والإهتمام في السير إلى =

يأخذ من المغانم خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جَذَع أو جَذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له، وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها؛ وعلى كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثياباً، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

= الجمعة وليس هو الجري والمشي السريع فإنه منهي عنه سواء في الجمعة وغيرها من الصلوات. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا والمراد بالنداء المذكور هو النداء الثاني أي عند جلوس الإمام على المنبر لأنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء غيره كان إذا جلس على المنبر أذن بلال رضي الله عنه. حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنه زاد النداء الأول على الزوراء أي الدار المسماة بالزوراء وكانت أعلى دار بالمدينة بقرب المسجد وذلك لكثرة الناس قال الإمام ابن تيمية في فتاواه. ولما اتفق المسلمون على هذا الأذان صار أذاناً شرعياً.

يقول العبد الراجي عفو ربه: لا زال هذا الأذان جارياً في البلدان الإسلامية إلى يومنا هذا حتى بالحرمين الشريفين لشرعته، وإن لم يكن زمن رسول الله ﷺ ولا زمن الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بدليل حديث العرباض بن سارية أنه ﷺ قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، اللهم وفقنا بالعمل بكتابك وبسنة رسولك ﷺ وباتباع سنة خلفائه الراشدين من بعده.

إن من تدبر هذا الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم يجده جامعاً لمبادىء الإسلام من توحيد وعبادات ومعاملات وهو المبدأ الأساسي الذي يسير عليه أمراء الإسلام في معاملة أهل الكتاب الذين لا يريدون الدخول في الإسلام ويختارون البقاء على مذهبهم من يهودية ونصرانية وعدم إجبار أحد منهم أو اكراهه على الدخول في دين الإسلام بالسيف كما يفتريه أعداء الإسلام على نبي الإسلام وأمراء الإسلام وأهل الإسلام، ويظهر له جلياً أنهم على الله وعلى رسوله وعلى المسلمين كاذبون مفترون، ويعلم علم اليقين أن الإسلام هو نور يستضيء به عموم البشر، وأن تشريعه أعدل تشريع على وجه الأرض وذلك أنه لم يفرض على كل شخص من أهل الكتاب في العام غير دينار واحد وهو لا يساوي أكثر من نصف جنيه، وإذا دفع ذلك الذمي الدينار يكون مصاناً في نفسه وأهله وولده وماله ومحمى من كل تعد أجنبي لا يطالب بالدفاع عن نفسه وأهله وولده وماله إذا داهم العدو، ولا يؤخذ منه فلس بإسم حرب أو دفاع، بل يبقى مصاناً في بيته مع أهل وذويه، والمسلمون هم الذين يقومون بالدفاع عنهم مقابل ذلك الدينار الذي لا يساوي مثقال ذرة أمام تلك الحماية العظمى.

فإذا قابلنا بين ذلك وبين ما هو جار على المسلمين اليوم من المستعمرين نجد أن المسلم الذي قد استعمرت بلاده يدفع ثلث إيراده لمن استعمر بلاده باسم حماية أو وصاية أو احتلال ومع ذلك فلا يسلم في حالة وقوع حرب من سلب ماله بل وتجنيده وتجنيد أولاده وسوقهم كرهاً إلى ميدان الوغى لا لمصلحته بل لمصلحة المستعمر لبلاده بإسم الدفاع عن وطنه المغتصب مع أنه لا وطن له بل الوطن أصبح للمستعمر وهو مسخر لذلك المغتصب لبلاده.

فليتأمل المنصف وليحكم بالحق بين حالة الإسلام في قوته، وبين حالة المستعمرين في قوتهم، حيث الأمر ظاهر.

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي الضبيبي

وفد على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد بن وهب الجُذامي في عشرة من قومه وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً أسود يقال له (مدعم) وأسلموا وحسن إسلامهم، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لرفاعة بن زيد إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين» فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ثم ساروا إلى الحَرة حَرة الرجاء[1] ونزلوها.

وفد همدان

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يُقفْل خالداً إلا رجلاً[2] ممن كان مع خالد أن يعقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا[3] فصلى بنا عليٌّ ثم صففنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً، فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان السلام على همدان» مرتين.

---

(١) الرجاء: في ابن هشام الرجلاء.

(٢) الا رجلا: أي رجل فكان البراء فيمن عقب معه.

(٣) خرجوا إلينا: مقاتلين فحمل عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا.

ثم قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ منهم مالك بن نمط وأبو ثور وهو ذو المشعار ومالك بن أيفع، وضمام بن مالك السلماني، وعمير بن مالك الخارفي، ونمط بن قيس، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحَبِرات ـ وهي الثياب المخططة من برد اليمن ـ والعمائم العدنية ـ نسبة إلى عدن ـ برحال الميس[1] على المهرية ـ الرواحل المهرية نسبة إلى قبيلة مهرة باليمن ـ والأرحبية، ومالك بن نمط يرتجز:

إليك جاوزن سواد[2] الريف في هبوات الصيف والخريف

مخطمات[3] بحبال الليف

فقام مالك بن نمط بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله نصية[4] من همدان من كل حاضر وباد، أتوك على قُلص[5] نَوَاج، متصلة بحبائل الإسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف[6]، خارف ويام شاكر، أهل السود[7] والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا آلهات الأنصاب[8]، عهدهم لا ينقض، ما أقامت لعلع[9]، وما جرى اليعفور بصلع.

---

(١) الميس: خشب تصنه منه الرحال التي تكون على ظهور الإبل.

(٢) سواد الريف: السواد هنا القرى الكثيرة الشجر والنخل. والريف: الأرض التي تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة. والهبوات: جمع هبوة وهي الغبرة.

(٣) مخطمات: الخطم الحبل الذي يشد في رؤوس الإبل على أنافها.

(٤) نصية: خيار القوم.

(٥) القلص: ككتب الإبل الفتية، الواحد قلوص كرسول، ونواج مسرعة.

(٦) من مخلاف: المدينة بلغة اليمن. وخارف، ويام، وشاكر، قبائل من اليمن.

(٧) السود: الإبل. والقود: الخيل.

(٨) الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها.

(٩) لعلع: جبل من جبال المدينة غربي سلع إلى جانبه مسجد القبلتين. واليعفور هو ولد الظبية، وصلع بضم المهملة وتشديد اللام ثم مهملة: الفضاء الواسع الأملس ويسمى السملق.

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد ﷺ لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف[1] الرمل مع وافدها ذي المشعار لمالك بن نمط، ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها[2] ووهاطها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها[3] ويَرْعَوْن عافيَها[4] لهم بذلك عهد الله وذِمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والأنصار». فقال في ذلك مالك بن نمط:

ذكرتُ رسولَ الله في فحمة[5] الدُّجى ... ونحن بأعلى رَحْرَحانَ وصَلْدد

وهن بنا خُوصٌ[6] طلائحُ تغتلي ... بركبانها في لاحبٍ متمدد

على كل فَتْلاء الذراعين جَسْرَة[7] ... تمرُّ بنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدد

حلفت برب الراقصات[8] إلى منى ... صوادرَ بالركبان من هَضْب قَردَد

بأنَّ رسولَ الله فينا مُصَدَّق ... رسول أتى من عند ذي العرش مهتدي

فما حملتْ من ناقة فوق رَحلِهَا ... أشَدَّ على أعدائه من محمد

وأعطى إذا ما طالِبُ العرف[9] جاءه ... وأمضى بحد المشرفي المهندي

---

(١) حقاف الرمل: جمع حقف بكسر المهملة وسكون القاف وهو ما استطال من الرمل.

(٢) الفراع: أعالي الأرض. والوهاط: ما انخفض من الأرض.

(٣) العلاف: ثمر الطلح.

(٤) عافيها: نباتها الكثير.

(٥) فحمة: الفحمة السواد. والدجى: الظلمة. ورحرحان، وصلدد: موضعان.

(٦) الخوص: الغائرة العيون، وطلائح معيية. وتغتلي (بالغين المعجمة) تشتد في سيرها. واللاحب الطريق البين.

(٧) جسرة: الجسرة الناقة القوية على المشي، الهجفّ: الذكر الضخم من النعام. والخفيدة بمعنى الهجف.

(٨) الراقصات: الإبل. وصوادر: رواجع. والقردد: ما ارتفع من الأرض.

(٩) العرف: المعروف. والمشرفي: من أسماء السيف.

فقال رسول الله ﷺ: «نعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد».

وفد تجيب[1]

تجيب قبيلة من كندة وكندة قبيلة من حضرموت كما قال ابن خلدون في تاريخه وقال القلقشندي في نهاية الأرب: وكان لكندة ملك بالحجاز واليمن، وفد على رسول الله ﷺ وفد تجيب وكانوا ثلاثة عشر رجلاً وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر رسول الله ﷺ بهم وأكرم مثواهم، فقالوا: يا رسول الله إنا سقنا إليك حق الله في أموالنا. فقال رسول الله ﷺ: «ردوها فاقسموها على فقرائكم» قالوا: يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد. فقال رسول الله ﷺ: «إن الهدى بيد الله عز وجل، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان».

وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله ﷺ فيهم رغبة وأرادوا الرجوع إلى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم؟ قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ وتلاقينا إياه وما ورد علينا، ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ فودَّعوه فأرسل بلالاً فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «هل بقي منكم أحد»؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً. قال: «فأرسلوه إلينا» فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي؟ قال له ﷺ: «وما حاجتك»؟ قال: تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غنائي في قلبي. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه» ثم أمر له ﷺ

---

(١) تجيب بضم التاء ويجوز فتحها.

بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه. ثم إنهم بعد ذلك وافوا رسول الله ﷺ بمنى في الموسم إلا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما فعل الغلام الذي أتاني معكم»؟ قالوا: يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعاً» فقال رجل منهم: أو ليس يموت الرجل جميعاً يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «تشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل الأجل يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك».

ولما توفي رسول الله ﷺ ورجع بعض أهل اليمن عن الإسلام قام ذلك الغلام في قومه فذكَّرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يذكر ذلك الغلام ويسأل عنه، ولما بلغه ما قام به كتب إلى زياد بن الوليد والي حضرموت يوصيه به خيراً.

وفد بني ثعلبة

وفد على رسول الله ﷺ مرجعه من الجعرانة، أربعة نفر من بني ثعلبة وهم مقروّن بالإسلام فإذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء، قال بعضهم: فرمى ببصره إلينا فأسرعنا إليه، وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يا رسول الله إنا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالإسلام وقد قيل لنا أن رسول الله ﷺ يقول لا إسلام لمن لا هجرة له، فقال رسول الله ﷺ: «حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم» ثم صلى رسول الله ﷺ بنا الظهر ثم انصرف إلى بيته فلم يلبث أن خرج إلينا فدعا بنا فقال: «كيف بلادكم»؟ فقلنا مخصبون، فقال الحمد لله. فأقمنا أياماً وضيافته ﷺ تجري علينا. ثم لما جاءوا يودعونه ﷺ قال لبلال: أجزهم فأعطى كل واحد منهم خمسة أواق فضة ـ والأوقية أربعون درهماً.

وفد بني سعد هذيم من قضاعة

عن النعمان رضي الله عنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد وجعلها موطوءة واستولى على العرب، والناس صنفهان إما داخل في الإسلام راغب فيه، وإما خائف، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه فنجد رسول الله ﷺ يصلي على جنازة[1] في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ﷺ ونبايعه، ثم انصرف رسول الله ﷺ فنظر إلينا فدعا بنا فقال: «ممن أنتم»؟ فقلنا من بني سعد هذيم، فقال: «أمسلمون أنتم»؟ قلنا: نعم، قال: «هل صليتم على أخيكم»؟ قلنا: يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك، فقال رسول الله ﷺ: «أينما أسلمتم فأنتم مسلمون» قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ بأيدينا على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلّفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا فأتي بنا إليه فتقدم صاحبنا فبايعه ﷺ على الإسلام فقلنا: يا رسول الله إنه أصغرنا وإنه خادمنا فقال ﷺ: «سيد القوم خادمهم بارك الله عليه» قال النعمان رضي الله عنه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ له ثم أمرَّه رسول الله ﷺ علينا فكان يؤمنا. ولما أردنا الإنصراف أمر بلالاً فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا، فرجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام.

---

(١) على جنازة: سهيل بن بيضاء.

وفد بني فزارة

لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن، والحرّ بن قيس بن أخي عيينة بن حصن وهو أصغرهم. وبنو فزارة هم من ذبيان من قبائل غطفان (مطير) من العدنانية، قال في العبر: كانت منازل فزارة بنجد ووادي القرى فنزلوا في دار بنت الحارث وجاءوا رسول الله ﷺ مقرّين بالإسلام وهم مُسْنتون[1] ـ مجدبون ـ على ركاب عجاف ـ هزال ـ فسأل رسول الله ﷺ عن بلادهم فقال أحدهم وهو خارجة: أسنتت بلادنا، وهلكت مواشينا، وجدب جنابنا وغرث عيالنا؛ جاعت ـ فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله ويلك هذا إنما شفعت إلى ربي عز وجل، فمن الذي يشفع ربنا إليه لا إله إلا هو العظيم وسع كرسيه السموات والأرض فهي تئط من عظمَته وجلاله كما يئط الرجل الحديد» وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليضحك من شفقكَم[2] وأزْلكم وقُرب غياثكم» فقال الأعرابي: يا رسول الله أويضحك ربنا عز وجل؟ قال: (نعم) فقال الأعرابي لن نَعْدمكَ من رب يضحك خيراً. فضحك النبي ﷺ من قوله، وصعد المنبر فتكلم بكلمات. وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا رفع[3] الاستسقاء فرفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه.

وكان مما حفظ من دعائه «اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلادك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريحاً مُرْبعاً[4] طبقاً واسعاً عاجلاً

---

(١) مستنون: ويروى مشتون أي داخلون في الشتاء.
(٢) شفقكم: أي خوفكم وأزلكم أي ضيقكم.
(٣) إلا رفع الإستسقاء: فنفي الرفع يحمل على الرفع البالغ وإلا فهو واقع أما هو فحاصل في الإستسقاء.
(٤) مربعاً: أي مسرعاً لإخراج الربيع. وطبقاً: أي مستوعباً للأرض منطبقاً عليها.

غير آجل نافعاً غير ضار، الهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء» كذا رواه ابن القيم في زاد المعاد.

والذي يلفت النظر هنا قول خارجة بن حصن الفزاري لرسول الله ﷺ: (وليشفع لنا ربك إليك) فأنكر عليه رسول الله ﷺ ذلك القول، واعلم أنه قول باطل لا يجوز التلفظ به لأن الله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده، وهو الشفوق على خلقه، وإليه المشتكى، وإليه وبإذنه تشفع الرسل عنده، وعليه: فينبغي لكل مسلم إذا رأى خطأ من بعض الناس أن يرده إلى الصواب وينبهه عن خطئه ولا يتركه يسبح في جهله، وإذا وجده ضالاً معانداً لا يريد الحق؛ فليشهر أمره بين الناس، ويظهر مضاره، ويرد عليه جهاراً حتى لا يتعدى تضليله إلى الغير.

وليحذر الناس شره حيث السكوت على أمثال هؤلاء مضر بالعقائد الإسلامية، وتضليل لبسطاء الناس، لكونهم يعتقدون أن كل قول لم ينبه عليه جائز، ولذلك تجد كثيراً من أقوال العوام ما هو مغاير للعقائد الإسلامية، ولم تجد أحداً من العلماء تصدى لتعليمه أو لتصحيح قوله، أو للتنبيه على أن أمثال هذه الأقوال باطلة ولا يجوز التكلم بها.

وهذا السكوت جعل البسطاء من العوام يعتقدون أن ما يتفوهون به من تلك الألفاظ المغايرة للعقائد الدينية جائزة، بل وإنها من الدين، لأنهم ما وجدوا من أرشدهم إلى الصواب، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفد بني أسد

وفد على رسول الله ﷺ رهط من بني أسد، منهم ضرار بن الأزور، وسلمة بن حبيش، وقتادة بن القائف، وأبو مكعب، ووابصة بن معبد وطلحة[1] بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن إسلامه، ومعاذة بن عبد الله بن خلف، وحضرمي بن عامر، وبنو أسد هم من خزيمة بن مدركة بن الياس، يمت نسبهم إلى عدنان، قال في «العبر»: كانت منازلهم بأرض نجد، في مجاورة طيء عند جبلي (أجا، وسلمى) التي صار اسم ذلك الإقليم اليوم (حايل)، وكان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد مع أصحابه فسلّموا عليه، فقال شخص منهم: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً، ونحن لمن وراءنا. وقال حضرمي بن عامر: أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهبا ذات قحط ولم تبعث إلينا، وأسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: **﴿يَمُنُّون عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلَامَكُم بل اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ للإيمَانِ إنْ كُنْتُم صادقينَ﴾** وسألوه ﷺ عما كانوا يفعلونه في الجاهلية[2] من (العيافة) وهي زجر الطير[3]، والتخرص على الغيب، و(الكهانة) وهي الإخبار عن الكائنات في المستقبل وضرب

---

(١) وطلحة عبد الله: في زاد المعاد. وطلحة بن خويلد، وفي المواهب وطليحة بن خويلد، وضبطهما الزرقاني بتصغيرهما. وقال: ابن نوفل بن نضلة الأسدي وقد أسلم ثم ارتد بعد النبي ﷺ، وادعى النبوة، فأمر أبو بكر خالد بن الوليد وأمره أن يصير في ضاحية مضر فيقاتل من ارتد ثم يسير إلى اليمامة، فسار فقاتل طليحة فهزمه وهرب إلى الشام ثم أسلم إسلاماً صحيحاً.

(٢) الجاهلية: أي جاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ.

(٣) زجر الطير: يقال عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحدس وظن.

الحصباء. فنهاهم[1] ﷺ عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله بقيت خصلة،

---

(١) فنهاهم ﷺ: وفي الحديث قال ﷺ: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت». قال عوف: العيافة زجر الطير. والطرق الخط يخط في الأرض. والجبت رنة الشيطان. وفي آخر عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً. (بعض أزواج النبي ﷺ هي حفصة رضي الله عنها). والعراف من أنواع الكهان واتيانهم منهي عنه كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي، قلت: يا رسول الله إنّ منا رجالاً يأتون الكهان. قال: «فلا تأتهم». قال أبو العباس بن تميمة: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم.

يقول العبد الراجي عفو مولاه الكريم: يتخذ بعض الناس عملية الحساب، وهي أنواع مختلفة، إذا أراد أن يتزوج أو يزوج من له الولاية عليها، وإذا ظهرت النتيجة غير حسنة بموجب الإجراءات المعمولة عدل عما يريده، لأن الخيرة، كما يسمونها، طلعت غير طيبة وبناء على إننا أخوة مسلمون يجب علينا أن نتناصح ونسترشد ونوضح لبعضنا بعضاً الطريق السوي من غيره، لأن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً كما هو الحديث الشريف، فيجب أن نشيع في الناس الخيرة النبوية التي أرشدنا إليها رسول الهداية إلى الحق والصراط المستقيم. وكتب الصحاح والسنن ليست بالبعيدة عنا وهي قد ضمت هذه الخيرة الجليلة المعتبرة. روي البخاري وغيره عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الإستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخيرحيث كان ثم رضني به». وبعدئذ كيف نؤثر عملاً أو خيرة حسابية، كما يقولون، هي من وضع أناس يطرقهم الخطأ على عمل، وخيرة صحيحة علمها سيد معصوم لا ينطق عن الهوى هو سيد الخلق أجمعين الصحابة رضي الله عنهم، وتلقاها من بعده الجيل بعد الجيل ومن وفقه الله تعالى إلى يومنا هذا. إذن في اختيار أحسن الأمور نعمل بهذه الخيرة النبوية ونعرض عن كل عمل سواها مما لم يرشدنا إليه حبيبنا رسول الله ﷺ سواء الحساب والسبحة =

قال: «ما هي» قالوا: (الخط) وهو: خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه، قال ﷺ: «علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم» وفي رواية لمسلم: «فمن وافق[1] خطه فذاك وإلا فلا» وأقاموا أياماً يتعلمون الفرائض، ثم جاءوا رسول الله ﷺ فودعوه، وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا إلى أهليهم.

وقد استهدى رسول الله ﷺ من معاذة بن عبد الله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب والحلب، من غير أن يكون لها ولد معها، فطلبها أي: بحث معاذة عنها، فلم يجدها إلا عند ابن عم له، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ فحلبها فشرب منها، ثم سقاه، ثم قال: «اللهم بارك فيها وفيمن منحها» فقال: يا رسول الله وفيمن جاء بها فقال: «وفيمن جاء بها» هذا ما كان من أمر وفد بني أسد ثم لما سألوا رسول الله ﷺ عن (العيافة) و(الكهانة) نهاهم عنها وذلك لأنه لا يعلم الغيب إلا الله[2]، ولا يزال هذا الأمر قديماً وحديثاً يستعمله كثير من الناس فبعضهم يعتقد وقوعه، وبعضهم يتفاءل به،

= والصحف، لأن عملاً ليس من ديننا في شيء مردود بقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد، ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، ومن رغب عن سُنتي فليس مني». نور الله قلوبنا لندرك الصواب صواباً والخطأ خطأ فنقدم الصواب ونترك الخطأ، اللهم آمين.

(١) فمن وافق خطه: قال الإمام النووي معناه أن من وافق خطه فهو مباح له لكن لا طريق لنا إلى العلم باليقين بالموافقة فلا يباح، والقصد أنه لا يباح إلا بيقين الموافقة وليس لنا يقين. وقال غيره: المراد به النهي عنه والزجر عن تعاطيه لأن خط ذلك النبي كان معجزة وعلماً لنبوته وقد انقطعت نبوته. ولم يقل فذلك الخط حرام دفعاً لتوهم أن خط ذلك النبي حرام. وقال القاضي عياض: المختار أن معناه من وافق خطه فذاك الذي يجدون اصابته فيما يقول لا أنه يباح لفاعله.

(٢) لا يعلم الغيب إلا الله: قال الله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾. وقال تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾.

وأما أهل اليقين من الناس فلا يرفع له رأساً، ولا يعيره التفاتة، لأنه خيال لا حقيقة له.

وقد ألف في هذا الفن كثير من الناس، وله سوق رائج عند أهل الأوهام من الناس وأصحاب الوسوسة، ويجادلون في صحة وقوعه، ومن المستحيل[1] إقناعهم لا عقلاً ولا نقلاً.

ولم يكن ذلك خاصاً بالمسلمين أو بأهل المشرق؛ بل له عند أهل الغرب من الإفرنج قبولٌ ورواجٌ أعظم مما هو عند الشرقيين، ولهم فيه تصانيف عديدة، وسوقه أشد رواجاً عندهم، وكأن هذا الفن ملازم لجميع العصور، والطبقات، والشعوب، والملل، والنحل، غير أن لكل زمان ولكل أمة فيه صفة، وصيغة وشكل وطريقة خاصة تتلائم مع تلك العصور.

وفد بني عذرة

قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عُذْرَة[2] في صفر سنة تسع؛ إثنا عشر رجلاً فيهم جمرة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: «مَن القوم»؟ فقال متكلمهم: مَنْ لا تنكره. نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمِّه نحن الذين عضدوا قصياً، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر ولنا قرابات وأرحام، قال رسول الله ﷺ: «مرحبا بكم وأهلاً ما أعرفني بكم». فأسلموا وبشّرهم رسول الله ﷺ بفتح الشام، وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده، ونهاهم رسول الله ﷺ عن سؤال الكاهنة، وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية، فأقاموا أياماً بدار رملة[3] ثم انصرفوا

(١) ومن المستحيل: لأنه وقر في قلوبهم فلا ينفعهم إلا هدى الله الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وما أحوجنا إلى هداه، اللهم اهدنا فيمن هديت ونور قلوبنا لندرك الحق حقاً والباطل باطلاً.

(٢) بني عذرة: قبيلة في اليمن من قضاعة.

(٣) بدار رملة: أي بنت الحارث النجارية كانت دارها تنزل فيها الوفود.

وقد أجيز وأعطي كل منهم بردة.

جاء في هذه القصة نهي النبي ﷺ عن سؤال الكاهنة، وعن الذبائح. أما الذبائح فجاءت مطلقة سواء لصنم، أو لقبر، أو لأي شي، سوى[1] الولائم، والأضحية، والهدى، وهذه المسألة من المسائل التي ابتلي بها كثير من الناس في كل العصور قديماً وحديثاً، والمانعون لها لا يزالون يشددون النكير على فاعلها، وفاعلها يلتمس لنفسه عذراً بأنه ما قصد بذبحها إلا تقرباً إلى الله تعالى، مع أن ظاهر فعله يدل على أن القصد غير الله تعالى وصار من الصعب تفهيم كثير من الناس أن ذلك يخالف الشريعة الإسلامية. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفد بهراء

قالت كريمة بنت المقداد[2]: سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن

---

(١) سوى الولائم: أي فإن الذبح لها جائز شرعاً كالهدى والأضحية والعقيقة، أما الذبح الممنوع فهو ما لم يأذن به الله. كالذبح للجن والقبور، والدليل قوله تعالى: ﴿**قل أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾. وقوله تعالى: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾. والحديث الصحيح: «لعن الله من ذبح لغير الله».
قال الإمام النووي في شرح مسلم: المراد أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى ﷺ أو للكعبة ونحو ذلك وكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه الشافعي. واتفق عليه أصحابنا فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً.
يقول العبد الراجي عفو ربه: إن اتخاذ الطرق الملتوية والتوجيهات الغير الصحيحة لا تبرر تلك الأعمال التي يقدم عليها الجهال مما لا يتلائم مع سماحة الدين الإسلامي وتعاليمه التي من تمسك بها كان ناجحاً ومن حاد عنها خسر الدنيا والآخرة؛ فاحذر أيها الأخ المسلم من تلبيسات إبليس واتبع طريق الخير وابعد عن الشر تسلم، والسعادة في السلامة. أسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق ويوفقنا للأعمال التي تقربنا إليه.

(٢) بنت المقداد ابن الأسود وكنيته أبو معبد.

عبد المطلب تقول: قدم وفد بهراء[1] من اليمن على رسول الله ﷺ وهم ثلاثة عشر رجلاً، فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهـوا إلى باب المقـداد ونحن في منازلنا ببني حديلة[2] فخرج إليهم المقداد فرحب بهم فـأنزلهم وجاءهم بجفنة[3] من حَيْس[4] قد كنا هيأناها قبل أن يحلوا لنجلس عليها، فحملها المقداد وكان كريماً على الطعام، فأكلوا منها حتى نهلوا وردت إلينا القصعة وفيها أكل. فجمعنا تلك الأكل في قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها إلى رسول الله ﷺ مع سدرة مولاتي. فوجدته في بيت أم سلمة فقال رسول الله ﷺ: «ضباعة أرسلت بهـذه»؟ قالت سـدرة: نعم يـا رسول الله، قـال: «ضعي». ثم قال: «ما فعل ضيف أبي معبد»؟ قلت: عنـدنا. فقـالت: فأصاب منها رسول الله ﷺ أكلاً هو ومن معه في البيت، حتى نهلوا وأكلت معهم سدرة ثم قال: «اذهبي بما بقي إلى ضيفكم» قالت سدرة: فرجعت بما بقي في القصعة إلى مولاتي قالت فأكل منها الضيف ما أقاموا، نرددها عليهم ما تغيض حتى جعل القوم يقولون يا أبا معبد إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا ما كنا نقدر على مثل هذا إلا في حين، وقد ذكر لنا أن الطعام ببلادكم إنما هو العلق ونحوه، ونحن عندك في الشبع. فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ أنه أكل منها أكلاً ثم ردّها فهذه بركة أصابع رسول الله ﷺ فجعل القوم يقولون: نشهد إنه رسول الله وازدادوا يقيناً وذلك الذي أراد رسول الله ﷺ. وتعلموا الفرائض وأقامـوا أيامـاً ثم جاءوا رسـول الله ﷺ يودعونه، وأمر لهم بجوائزهم وانصرفوا إلى أهلهم.

كذا في زاد المعاد، وهذه القصة تعد من ضمن معجزاته ﷺ.

---

(١) بهراء: قبيلة من قضاعة.

(٢) حديلة: بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وتحتية: بطن من الأنصار.

(٣) بجفنة: بفتح الجيم القصعة.

(٤) حيس: هو تمر يعجن بسمن واقط.

وفد بلي

قدم وفد بلي، وهم من قضاعة، على رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة تسع، فأنزلهم رويفع بن ثابت البلوي عنده، وقدم بهم على رسول الله ﷺ وقال: هؤلاء قومي، فقال له رسول الله ﷺ: «مرحباً بك وبقومك» فأسلموا، وقال لهم رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار».

فقال له أبو الضبيب شيخ الوفد: يا رسول الله إني رجل في رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر؟ قال: «نعم وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة» قال: يا رسول الله ما وقت الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحلّ للضيف أن يقيم عندك فيحرجك» قال: يا رسول الله أرأيتَ الضالةَ من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض؟ قال: «هي لك أو لأخيك أو للذئب» قال: فالبعير؟ قال: «مالك وله، دعه حتى يجده صاحبه» قال رويفع: ثم قاموا فرجعوا إلى منزلي فإذا رسول الله ﷺ يأتي منزلي يحمل تمراً فقال: «استعن بهذا التمر» وكانوا يأكلون منه ومن غيره. فأقاموا ثلاثاً ثم ودّعوا رسولَ الله ﷺ فأجازهم ورجعوا إلى بلادهم.

جاء في هذه القصة فضل الضيافة وكونها من أجلّ مكارم الأخلاق وذلك لأنها من ضمن أسباب الروابط الاجتماعية، حيث إن الإنسان إذا أكرم ضيفه أوجد له عنده منزلة ومكانة ومودة لا ينساها مدى الدهر، ويرى المضاف نفسه أنه مدين لمضيفه بما قلد به عنقه من مكارم الأخلاق، فتراه إذا كان من ذوي الأخلاق الفاضلة يترقب الفرص لأجل أن يقوم له بالمثل أو بأفضل منه.

والضيافة هي من سنن الأمة العربية جاهلية وإسلاماً، وهي من أجلّ ما يتنافسون فيها ويتبارون عندها، فلا تجد أمة من الأمم قديماً وحديثاً من يجاريهم في ذلك ولهم في الضيافة حوادث كثيرة سجلها لهم علماء الأدب

في دواوينهم. وجاء في هذه القصة أيضاً حكم الضالة من الغنم والإبل فأعلمهم رسول الله ﷺ جواز أكل الضالة(١) من الغنم لأنه إذا تركها ولم يستفد منها أكلها الذئب، لأن الذئاب والوحوش المفترسة لا تترك الشاة تمر أمامهم بدون اقتناصها والتلذذ من لحمها، ولذلك لا يمكن لصاحبها العثور عليها إلا نادراً، وأما لو جاء صاحبها ووجد شاته عند رجل وجدها ضالة فله أخذها. وأما الإبل فأعلمهم رسول الله ﷺ أنها لا تحل(٢) لهم لأنها قادرة على السير، ولا يتنسى لذئب أن ينال منها شيئاً، فهي تبقى ضالة حتى يجدها صاحبها.

وفد بني مرة

وفد على رسول الله ﷺ وفد بني(٣) مرة وهم ثلاثة عشرة رجلاً، رأسهم الحارث بن عوف، فقال: يا رسول الله إنا قومك وعشيرتك. نحن قوم من بني لؤي بن غالب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال للحارث: «أين تركت أهلك»؟ فقال بسلَاح(٤) وما والاها، فقال: «كيف البلاد»؟ قال: والله إنا لمسنتون(٥) وما في المال مخ(٦) ـ أي صوت يردده ـ فادع الله لنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقهم الغيث» فأقاموا أياماً، ثم أرادوا الإنصراف إلى بلادهم فجاءوا رسول الله ﷺ مودعين له فأمر بلالاً أن يجيزهم، فأجاز

---

(١) أكل الضالة من الغنم: وإذا ظهر مالكها غرم الآكل قيمتها له. وله تعريفها وتملكها بيعها وحفظ ثمنها وتملكه.

(٢) ولا تحل لهم: وللقاضي أن يحفظها لمالكها لا للتملك وكذلك غيره.

(٣) بني مرة: ابن كعب بن لؤي وذلك سنة تسع.

(٤) سلاح: موضع أسفل من خيبر، وماء أيضاً لبني كلاب.

(٥) لمسنتون: أي أصابتهم سنة وقحط.

(٦) وما في المال مخ: أي المواشي كني بنفي المخ عن شدة هزالها وقوله أي صوت يردده. يوافقه ما في إنسان العيون.

كـل واحد بعشـرة أواق من الفضة، وفضّـل الحـارث بن عـوف فـأعـطاه إثني عشر أوقية، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة، فسألوا قومهم متى مطرتم، فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ وأخصبت لهم بعد ذلك بلادهم.

وفد خولان

قدم على رسول الله ﷺ وفد خولان، وهي قبيلة من اليمن، في شهر شعبان سنة عشر، وهم عشرة، فقالوا: يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل، ومصدِّقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وقد ركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا ما ذكرتم من مسيركم إليّ فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة، وأما قولكم زائرين فـإنه من زارني بالمدينة كان بجواري يوم القيامة» قالوا: يـا رسول الله هـذا السفر الذي لا تَوَى عليه ـ التوى هلاك المال ـ ثم قال رسول الله ﷺ: «ما فعل عم أنس»؟ وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه، قالوا: بشر. بدلنا الله به ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به، ولو قدمنا عليه لهدمناه إن شاء الله، فقد كنا منـه في غرور وفتنـة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «وما أعظم ما رأيتم من فتنته»؟ قالوا: لقد رأيتَنَا اسنتنا حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا به مائة ثور ونحرناها (لعم أنس)، قرباناً في غداة واحدة؛ وتركناها تـردها السبـاع، ونحن أحوج إليهـا من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا (عم أنس).

ذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمـون لصنمهم هذا من أنعـامهم وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءاً له وجزءاً لله بزعمهم، قالوا:

كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعاً آخر حجرة[1] الله، فإذا مالت الريح فالذي سميناه لله جعلناه (لعم أنس)، وإذا مالت الريح فالذي جعلنا (لعم أنس) لم نجعله لله، فذكر لهم رسول الله ﷺ أن الله أنزل عليّ في ذلك ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إليه شركائهم ساء ما يحكمون﴾. قالو: وكنا نتحاكم إليه، فيتكلم فقال رسول الله ﷺ: «تلك الشياطين تكلمكم» وسألوه عن فرائض الدين فأخبرهم وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار لمن جاوروا، وأن لا يظلموا أحداً، ثم قال ﷺ: «فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» ثم ودّعوه بعد أيام وأجازهم[2] فرجعوا إلى قومهم، فلم يحلوا عقدة حتى هدموا (عم أنس). كذا في زاد المعاد.

هذا ما ذكره وفد خولان عن صنمهم (عم أنس)، وما كانوا فيه من الضلال والعبث بأموالهم نحوه، ولما أن هداهم الله تعالى إلى الإسلام، ودخل الإيمان في قلوبهم آبوا إلى رشدهم وهدموه بأيديهم، وعلموا أنه لا يضر ولا ينفع، بل إن ضرره كان عائداً عليهم من جهة الاعتقاد فيه من كونه إلهاً يعبد.

وإذا تأمل الإنسان في هذه العقائد يظهر له أنها مضرة بمعتقديها من عدة وجوه، منها أنهم يتركون عبادة الخالق جلّ وعلا الذي بيده الأمر كله، ويعتقدون في سواه من مخلوقاته النفع والضر، ومنها ضياع الأموال في سبيل الوهم والزيغ بما لا فائدة ترتجى منه، وغير ذلك، فقد جاء الإسلام هادماً لكل ذلك، وأزال حجب الوهم عن معتنقيه، وأنار لهم السبيل إلى

(١) حجرة الله: أي ناحية الله.
(٢) وأجازهم: أي أعطى كل واحد منهم اثنتي عشرة أوقية ونصفاً.

مقر السعادة ومستودع الخير والفلاح، وأطلق مساعيهم من قيود الزيغ والوهم والضلال، وجعلهم أئمة الهدى والصلاح، حيث أن الإسلام هو نبراس الحقائق ومعراج السعادة، وسبيل الهدى والرشاد.

وفد بني محارب

قدم على رسول الله ﷺ وفد بني محارب عام حجة الوداع، وهم كانوا أغلظ العرب وأفظهم على رسول الله ﷺ في تلك المواسم، أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله، وذلك قبل الهجرة كما جاء موضحاً في الجزء الأول من هذا المؤلف.

وبنو محارب هم بطن من هيب بن بهثة من سليم، و(سليم) هم قبائل حرب الذين يقطنون نجد ومنازلهم شرق المدينة. فجاء منهم عشرة نائبين عمن وراءهم من قومهم فأسلموا، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله ﷺ يوماً من الظهر إلى العصر فعرف رجلاً منهم يقال له خزيمة بن سواد، فأمده النظر فلما رآه خزيمة يديم النظر إليه قال: كأنك يا رسول الله توهمتني؟ قال: «لقد رأيتك». قال خزيمة: أي والله لقد رأيتني وكلمتني وكلمتك بأقبح الكلام، ورددتك بأقبح الرد (بعكاظ) وأنت تطوف على القبائل. قال رسول الله ﷺ: «نعم» ثم قال خزيمة: يا رسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني فأحمد الله الذي أبقاني حتى صدقت بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم. فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل» فقال المحاربي: يا رسول الله استغفر لي في مراجعتي إياك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر»، ومسح رسول الله ﷺ وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفود، ثم انصرفوا إلى أهليهم.

فيعلم مما تقدم أن الإنسان يخطىء الحق في كثير من أعماله وهو محل الزيغ والزلل، ولكنه إذا آب إلى رشده وفطن للحق والصواب ينبغي عليه الإسراع إليه والتمسك به، والتجرد مما كان فيه، والإعتراف بما صدر منه والإلتجاء إلى الله تعالى والتقرب إليه بالعبادة وفعل الخير، ولا يتمادى في غيه وضلاله فإن فيه الهلاك.

وفد صداء

قدم على رسول الله ﷺ وفد صداء، وهم بطن من كهلان من القحطانية، وصداء هو ابن يزيد بن حرب بن غلة، يمت نسبه إلى كهلان ومنازلهم باليمن وسبب ذلك أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من الجعرانة بعث بعوثاً وهيأ بعثاً استعمل عليه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنهما، وقد عقد له لواءً أبيض ودفع إليه رايةً سوداء، وعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء. فقدم على رسول الله ﷺ زياد بن الحارث الصدائي وقد علم بالجيش فأتى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله جئتك وافداً على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي.

فردّ رسول الله ﷺ قيس بن سعد من صدر قناة وخرج زياد إلى قومه فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم، فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا رسول الله دعهم ينزلون عليّ، فنزلوا عليه فحياهم وأكرمهم وكساهم، ثم راح بهم إلى رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام، فقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا. قال زياد بن الحارث الصدائي: فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك»؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله من منّ الله عز وجل ومنّ رسوله.

وكان زياد مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، قال زياد: فاعتشى رسول الله ﷺ - أي سار ليلاً - واعتشينا معه، وكنت رجلاً قوياً. قال:

فجعل أصحابه يتفرقون عنه ولزمت غرزه ـ أي ركابه ـ فلما كان السحر قال: «أذِّن يا أخا صداء». فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى ذهبنا فنزل لحاجته ثم رجع فقال: «يا أخا صداء هل معك ماء»؟ قال: قلت معي شيء في الأداوة. فقال: «هات»: فجئت به فقال: «صب» فصببت ما في الأداوة[1] في القعب فجعل أصحابه يتلاحقون، ثم وضع كفه على الإناء فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عيناً تفور، ثم قال: «يا أخا صداء لولا أني أستحي من ربي عز وجل سقينا وأسقينا» ثم توضأ وقال: «أذن في أصحابي: من كانت له حاجة بالوضوء فليرد».

قال فوردوا عن آخرهم ثم جاء بلال يقيم، فقال: «إن أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم»[2] فأقمت، ثم تقدم رسول الله ﷺ فصلى بنا وكنت سألته[3] قبل أن يؤمّرني على قومي ويكتب لي بذلك كتاباً ففعل، فلما فرغ من صلاته قام رجل يشتكي من عامله فقال يا رسول الله إنه أخذنا بذحول ـ أي عداوة ـ كانت بيننا وبينه في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في الإمارة لرجل مسلم» ثم قام آخر فقال: يا رسول الله أعطني من الصدقة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يكل قسمتها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت جزأ منها أعطيتك وإن كنت غنياً عنها فإنما هي صداع في الرأس، وداء في البطن» فقلت في نفسي هاتان خصلتان حين سألت الإمارة وأنا رجل مسلم وسألته في الصدقة وأنا غني

---

(١) الأداوة: إناء صغير من جلد. والقعب: بفتح القاف وإسكان المهملة وموحدة، هو القدح الكبير.

(٢) ومن اذن فهو يقيم: قال ابن القيم: السنة أن يتولى الإقامة من تولى الآذان ويجوز أن يؤذن واحد ويقيم آخر.

(٣) وكنت سألته: يعني الأمارة، وتولية الطالب لها جائزة للكفء إذا دعت المصلحة لذلك ومحل منع إجابة السائل للوظائف الحساسة كالقضاء مثلاً: إذا كان يرمي من وراء ذلك حظ نفسه لا مصلحة الأمة.

عنها، فقلت يا رسول الله هذان كتاباك فاقبلهما فقال رسول الله ﷺ: «أما ان الذي قلت كما قلت» فقبلهما رسول الله ﷺ ثم قال لي: «دلني على رجل من قومك أستعمله»؟ فدللته على رجل منهم فاستعمله، قلت: يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كانه الشتاء كفانا ماؤها وإذا كان الصيف قلّ علينا فتفرقنا على المياه والإسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ناولني سبع حصيات»؟ فناولته فعركهن بيده ثم دفعهن إليّ وقال: «إذا انتهيت إليها فالق فيها حصاة، حصاة، وسم الله» قال ففعلت فما أدركنا لها قعراً حتى الساعة. إنتهى.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد عن المعجزة: والمعجزة الظاهرة بفوران الماء من بين أصابعه لما وضعها فيه أمده الله به وكثر حتى جعل يفور من خلال الأصابع الكريمة، والجهال تظن أنه كان يشق الأصابع ويخرج من خلال اللحم والدم، وليس كذلك وإنما بوضعه أصابعه الكريمة فيه حلت فيه البركة من الله والمدد، فجعل يفور حتى خرج من بين الأصابع وقد جرى له هذا مراراً عديدة بمشهد أصحابه، ثم قال ومنها جواز الوضوء بالماء المبارك وإن بركته لا توجب كراهة الوضوء منه وعلى هذا فلا يكره الوضوء من ماء زمزم ولا من الماء الذي يجري على ظهر الكعبة والله أعلم. إنتهى.

وفد ملك حضرموت

وفد على رسول الله ﷺ وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي، يكنى أبا هنيدة، كان قيلاً[1] من أقيال حضرموت، وقد بشر رسول الله ﷺ أصحابه قبل قدومه وقال: «يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله ورسوله، وهو بقية أبناء الملوك»

---

(١) قيلا: مر بأنه الملك دون الأكبر.

فلمّا دخل عليه رحّب به، وأدناه من نفسه، وقرّب مجلسه وبسط له رداءه فأجلسه عليه مع نفسه على مقعده وقال: «اللهم بارك في وائل وولده ولد ولده» فأسلم واستعمله النبي ﷺ على أقيال من حضرموت وكتب معه ثلاثة كتب منها كتاب إلى المهاجر ابن أبي أمية، وكتاب إلى الأقيال والعباهلة وأقطعه أرضاً، وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فخرج معاوية راجلاً معه، ووائل بن حجر على ناقته راكباً، فشكا إليه معاوية حرّ الرّمضاء فقال له: انتعل ظل الناقة أي استظل بظلها حال سيرك، فقال له معاوية: وما يغني ذلك عني لو جعلتني ردفك؟ فقال وائل اسكت فلست من أرداف الملوك. وعاش وائل بن حجر حتى ولي معاوية الخلافة فدخل عليه وائل بن حجر فعرفه معاوية وأذكره بذلك ورحب به وأجازه لوفوده عليه، فأبى من قبول جائزته وحبائه، وأراد أن يرزقه فأبى من ذلك، وقال يأخذه من هو أولى به مني فإني في غنى عنه.

وكان وائل بن حجر زاجراً أحسن الزجر، خرج يوماً من عند زياد بالكوفة وأميرها المغيرة فرأى غراباً ينعق فرجع إلى زياد، فقال له: يا أبا المغيرة هذا غراب يرحلك من هنا إلى خير فقدم رسول معاوية من يومه إلى زياد أن سر إلى البصرة والياً.

هذا ما رواه الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب. وزاد الحافظ ابن حجر في الإصابة قال أبو نعيم: أصعده رسول الله ﷺ على المنبر وأقطعه وكتب له عهداً وقال: «هذا وائل سيد الأقيال»، ثم نزل وائل الكوفة وعقبه بها ومات وائل في خلافة معاوية. إنتهى.

وفد غسان

قدم على رسول الله ﷺ وفد غسان في شهر رمضان سنة عشر، وهم ثلاثة نفر فأسلموا، وقالوا: لا ندري أيتبعنا قومنا أم لا، وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر، فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم وكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان على الإسلام وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام اليرموك فلقي أبا عبيدة فخبره بإسلامه فكان يكرمه.

وفد سلمان

سلمان ـ بطن من مراد من القحطانية، وتنسب إليه ثلاثة بطون من العرب وهم الأزد وطيء، وقضاعة، وبنو سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد. فوفد منه على رسول الله ﷺ سبعة نفر من سلمان[1] فيهم حبيب بن يعمر السلاماني. وكان قدومه في شوال سنة عشر من الهجرة؛ فأسلموا. قال حبيب: صادفنا رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها فقلنا: السلام عليك يا رسول الله فقال: «وعليكم السلام من أنتم»؟ قلنا نحن من سلامان قدمنا إليك لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا. فالتفت ﷺ إلى ثوبان غلامه فقال: «أنزل هؤلاء» قال حبيب فقلت: أي رسول الله ما أفضل الأعمال؟ قال: «الصلاة في وقتها». ثم صلوا معه يومئذ الظهر والعصر، قال: فكانت صلاة العصر أخف من القيام في الظهر. ثم شكوا إليه جدب بلادهم فقال رسول الله ﷺ بيده: «اللهم اسقهم الغيث في دارهم» فقلت: يا رسول الله ارفع يديك فإنه أكثر وأطيل،

---

(١) من سلمان: وفي الزاد لابن القيم: وقدم عليه ﷺ وفد سلامان سبعة نفر فيهم حبيب، وعنونه بقوله: «فصل في قدوم وفد سلامان»، وضبطه في السيرة الشامية بقوله: سلامان (بفتح السين المهملة وتخفيف اللام) فليتأمل.

فتبسم رسول الله ﷺ، ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قام وقمنا عنه، فأقمنا ثلاثاً وضيافته تجري علينا، ثم ودّعناه وأمر لنا بجوائز فأعطانا خمس أواق لكل رجل منا واعتذر إلينا بلال وقال ليس عندنا اليوم مال. فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا إلى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ في تلك الساعة.

وفد بني عبس

بنو عبس بطن من غطفان (مطير) وهم من العدنانية، وعبس هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان، قال في العبر: وليس بنجد الآن أحد من بني عبس. وقد قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عبس وهم ثلاثة نفر فقالوا: يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواشي وهي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له، فلا خير في أموالنا ومواشينا، بعناها وهاجرنا عن آخرنا، فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم[1] الله من أعمالكم شيئاً» وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سنان هل له عقب؟ فأخبروه أنه لا عقب له، كانت له إبنة فانقرضت، وأنشأ رسول الله ﷺ يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال: «نبي ضيعه قومه»[2].

---

(١) يلتكم: ينقصكم.

(٢) نبي ضيعه قومه: وورد ليس بيني وبين عيسى نبي، وعليه إذا صح شيء من الأحاديث التي ذكر فيها خالد بن سنان فمعناه ليس بيني وبينه نبي مرسل فلا ينافيه إن خالداً نبي غير مرسل.

وفد غامد

قدم على رسول الله ﷺ وفد غامد[1] سنة عشر وهم عشرة، فنزلوا ببقيع[2] الغرقد وهو يومئذ أثل وطرفة، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ، وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سناً، فنام عنه وأتى السارق فسرق عيبة لأحدهم فيها أثواب له، وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، وأقروا له بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع من شرائع الإسلام، وقال لهم: «من خلفتم في رحالكم»؟ فقالوا: أحدثنا سناً يا رسول الله، قال: «فإنه قد نام عن متاعكم، حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله ما لأحد من القوم عيبة غيري، فقال رسول الله ﷺ: «فقد أُخذت ورُدَّت إلى موضعها».

فخرج القوم سراعاً حتى أتوا رواحلهم فوجدوا صاحبهم، فسألوه عما أخبر رسول الله ﷺ، قال: فزعت من نومي ففقدت العيبة، فقمت في طلبها فإذا رجل قد كان قاعداً فلما رآني صار يعدو مني فانتهيت إلى حيث انتهى، فإذا أثر حفر وإذا هو قد غيّب العيبة فاستخرجتها، فقالوا: نشهد أنه رسول الله، فإنه قد أخبرنا بأخذها وأنها قد ردت فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، وجاء الغلام الذي خلفوه فأسلم، وأمر النبي أبي بن كعب

---

(١) غامد: بطن من الازد نسبة إلى جدهم غامد واسمه عبد الله سمي غامداً لأنه وقع شر بين عشيرته فتغمد ذنوبهم أي غطاها وقيل غير ذلك.

(٢) بقيع الغرقد: أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه اروم الشجر من ضروب شتى. والغرقد كبار العوسج كان نباتاً به فقطع. والبقيع هو مقبرة المدينة المنورة ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد النبوي. وفي الجهة الشرقية للمدينة المنورة، ويذكر أن فيه ما يقرب من عشرة آلاف صحابي كعثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجات رسول الله ﷺ ما عدا خديجة فإنها دفنت بمكة، وميمونة فإنها دفنت بسرف، وأولاده ﷺ إبراهيم، ورقية، وفاطمة. وفيه من التابعين نافع شيخ الإمام مالك ومن تابعي التابعين مالك.

فعلمهم قرآناً وأجازهم كما كان يجيز الوفود وانصرفوا. وقبيلة غامد هي من قبائل الحجاز ومنازلهم جنوب الطائف.

وفد الأزد

الأزد هم حي من كهلان من القحطانية، وهم من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً، وقد قسم الجوهري الأزد إلى ثلاثة أقسام، **أحدها**: (أزد شنوءة) وهم بنو نصر، وهو الملقب بشنوءة، **الثاني**: (أزد السراة) وهو موضع بأطراف اليمن نزلت به فرقة من الأزد فعرفوا به، **الثالث**: (أزد عمان) بإضافة أزد إلى عمان، وهي الواقعة بين حضرموت والاحساء.

وقد قدم على رسول الله ﷺ وفد الأزد وهم سبعة منهم سويد بن الحارث الأزدي. قال سويد: فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا[1] وزينا فقال: «من أنتم»؟ قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم»؟ قلنا: خمس عشرة خصلة خمس منها أَمَرَتْنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الآن إلا أن تكره منها شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها»؟ قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، قال: «وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها»؟ قلنا: أمرتنا أن نقول أن لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً، فقال: «وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية»؟ قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضاء بمرّ القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء، فقال رسول الله ﷺ: «حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء» ثم

---

(١) سمتنا: سكينتنا ووقارنا. وقوله زينا بكسر الزاي: الهيئة يعني حسن الهيئة.

قال رسول الله ﷺ: «وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقومون وفيه تخلدون» فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها.

روى هذه القصة الحافظ ابن القيم في زاد المعاد ولم يعلق عليها لأن هذه العشرين خصلة واضحة لا تحتاج إلى بيان وتشريح بل الواجب على كل إنسان أن يعمل بها ويثابر على فعلها إلى الممات ويكون بذلك من أسعد الناس حياة وأرفعهم مكانة وأشرفهم موقعاً وأحسنهم عاقبة وأهنئهم عيشاً وأعظمهم منزلة عند الله تعالى في الدنيا الفانية، والآخرة الباقية الخالدة.

وفد بني المنتفق

قدم على رسول الله ﷺ لقيط بن عامر بن صَبِرَة ونَهِيْك بن عاصم بن المنتفق، فوافى رسول الله ﷺ حين انصرافه من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فوعظ وأرشد، وذكر البعث والنشور والجنة والنار، ـ والحديث بأكمله موضح في زاد المعاد ـ ومنه قال لقيط: يا رسول الله عَلَىَ مَا[1] أبايعك؟ فبسط ﷺ يده وقال: «على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله شيئاً» الحديث. وهؤلاء القادمون هم وفد المنتفق من جهة العراق.

---

(١) (على م) حق كتابة (على) بالألف الممدودة لأنها وصلت بما الإستفهامية المحذوفة الألف جرياً على قاعدة الخط. وإلى ذلك أشار ابن مالك في ألفيته فقال: «وما في الإستفهام أن جرت حذف ألفها».

وفد بني نهد

قدم على رسول الله ﷺ وفد بني نهد، ونهد بطن من قضاعة، منزلهم اليمن، فقالوا: يا رسول الله ؛ من غور تهامة - أي غرب تهامة - بأكوار الميس - أي سرعة السير - ترمي بنا العيس - أي تسير سيراً عنيفاً - وشكوا له جدب بلادهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لبني نهد في محضها - أي الحليب - ومخضها - أي اللبن بعد إخراج زبدته - ومذقها - أي اللبن المخلوط بالماء - وابعث راعيها في الدثر - أي المال الكثير - وافجر لهم الثمد - الماء القليل - وبارك لهم في المال والولد. من أقام الصلاة كان مسلماً، ومن آتى الزكاة كان محسناً، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً، لكم يا بني نهد ودائع الشرك - أي أموال المشركين - ووضائع الملك لا تلطط - أي لا تمنع - في الزكاة ولا تلحد في الحياة - أي تميل - ولا تتثاقل عن الصلاة. إنه كتب لكم في الوظيفة العريضة، ولكم الفارض والفريش - أي كبار الإبل وصغارها - وذو العنان الركوب والفلو الضبيس، لا يمنع سرحكم ولا يعد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق - تخلعوا الإسلام من رقابكم - من أقرَّ فله الوفاء بالعهد والذمة، ومن أبى فعليه الربوة» أي زيادة في الفريضة الواجبة عقوبة عليه.

وكان رسول الله ﷺ يخاطب كل وفد باصطلاحه اللغوي ويجيبهم على مقتضى بلاغتهم في ذلك، ولذلك حصل التفاهم بينه وبين وفود العرب وأقوامهم ودخلوا في الإسلام أفواجاً أفواجا، إلا من كان ذا حسد، وعناد، وغاية فاسدة، فقد تفاهم معه بالسيف، لأنه لغة الحسود المعاند، والفاسد الغادر، والأرعن المراوغ.

وفد النخع

النَخَع إسم قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود[1]. بعثت قبيلة النخع رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، وهما أرطاة بن شرحبيل من بني حارثة، والأرقم من بني بكر، فلما قدموا على رسول الله ﷺ بايعاه بالإسلام عن قومهما، وأعجب رسول الله ﷺ شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما رسول الله ﷺ: «هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما»؟ قالا: يا رسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء ما يشاء، فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير، وقال: «اللهم بارك في النخع».

وعقد ﷺ لأرطأة لواء على قومه فعادا إلى قومهما، ثم قدم جمع كبير من النخع في نصف المحرم سنة إحدى عشرة وهم مائتا رجل فنزلوا دار الضيافة[2] ثم جاءوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو: يا رسول الله إني رأيت في سفري[3] هذا عجباً، قال: «وما رأيت»؟ قال: أتاناً[4] تركتها في الحي كأنها وَلَدت جدياً أسفع أحوى - أي أسود مشرباً بحمرة - فقال له رسول الله ﷺ: «هل تركت أمة لك مصرة على حمل»؟ قال: نعم، قال: «فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك» قال: يا رسول الله فما باله أسفع أحوى؟ فقال: «أدن مني»[3] فدنا منه فقال: «هل بك من برص تكتمه»؟ قال: والذي بعثك بالحق ما علم به أحد ولا طلع عليه غيرك، قال ﷺ: «فهو

---

(١) آخر الوفود: قدوماً فقد وفدوا سنة إحدى عشرة من الهجرة.
(٢) دار الضيافة: هي دار رملة بنت الحارث النجارية الصحابية زوجة معاذ بن عفراء.
(٣) رأيت في سفري: وفي رواية رأيت في طريقي رؤيا هالتني.
(٤) أتانا: حمارة أنثى. والجدي الذكر من أولاد المعز.
(٣) ادن مني: للستر عليه لأنه يخفيه.

ذلك» قال: يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان[1] ودُمْلُجان ومُسْكتان قال: «ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته» قال: يا رسول الله ورأيت عجوزاً شبمطاء[2] قد خرجت من الأرض قال: «تلك بقية الدنيا» قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول لظى، لظى، بصير، وأعمى، أطعموني، آكلكم وأهلكم، ومالكم. قال رسول الله ﷺ: «يقتل الناس إمامهم ويشتجرون[3] إشتجار أطباق الرأس» وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه ثم قال: «يحسب المسيء فيها أنه محسن ويكون دَم المؤمن فيها أحلى من الماء، إن مات إبنك أدركت الفتنة، وإن مت أنت أدركها إبنك» فقال: يا رسول الله أدع الله أن لا أدركها؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا يدركها» فمات وبقي ابنه[4] وكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين.

فقوله ﷺ: «ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته» قد وقع ذلك فعلاً وبلغ ملك العرب شرقاً بعض بلاد الصين وغرباً إسبانيا، والبرتغال، والمغرب الأقصى، وشمالاً إلى بولونيا وما وراء النهر، وجنوباً إلى رأس الرجاء الصالح (الكيب) ولما حاد العرب وعموم المسلمين عن الطريقة التي كان عليها سلف الإسلام تمزق ملكهم شر ممزق، ولا شك أنهم إذا تمسكوا بمنهاج سيد العرب وتتبعوا طريقه وسلكوا سبيله فسيرجع إليهم كل سؤدد ومجد وفخار وملك وسلطان فقدوه، وكلما كان لآبائهم في صدر الإسلام من عز ورفعة لأنهم بلا ريب هم أحفاد أولئك الأبطال

---

(١) قرطان: تثنية قرط وهو ما يعلق في شحمتي الأذن، وقوله دملجان هو شيء يشبه السوار ومسكتان السواران من ذهب.

(٢) شمطاء: شعر رأسها أبيض.

(٣) يشتجرون: يشتبكون. واطباق الرأس عظامه.

(٤) وبقي ابنه: عمرو بن زرارة.

العظماء، والأماجد الفضلاء، الذين تربعوا في دست الملك وأحسنوا سياسته، وأظهروا للملأ عدلاً ما كانوا ليحلموا به، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك، وسيأتي كل ذلك موضحاً في الأجزاء الآتية إن شاء الله تعالى.

إسلام جرير بن عبد الله البجلي

كان إسلام سيد بجيْلة أبو عبد الله البجلي الأحمسي في رمضان سنة عشر[1] من الهجرة. وبجيلة قبيلة من أنمار بن أراش من كهلان من القحطانية، وبجيلة إسم أمهم غلب عليهم اسمها وهي بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، وكانت بلادُهم مع إخوتهم خثعم في (سروات اليمن وبالحجاز).

ثم افترقوا أيام الفتح الإسلامي في الآفاق، فلم يبق منهم في مواطنهم إلا القليل. قال جرير رضي الله عنه: بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وعلى السمع والطاعة. قال: ما حَجَبَني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك[2]. وكان عمر رضي الله عنه يسميه يوسف هذه الأمة لفرط جماله، وكان طوالاً يقتحم في ذروة[3] البعير، ومع تأخر إسلامه فقد أخذ في نصر الإسلام بحظ وافر، وكان رسول الله ﷺ يغزيه مرة ويبعثه أخرى فقال له رسول الله ﷺ: «يا

---

(١) في رمضان سنة عشر: وهذا ماجزم بع ابن حبان والبغوي وغيرهما.

(٢) ولا رآني إلا ضحك: أي تبسم، وفي هذا إظهار البشاشة واللطف وإكرام الوارد، وما أثقل من يعكس الأمر فيقطب جبينه للوارد عليه وينتفخ كالهرة لا لشيء. إنما هو الغرور والعنجهية واللامبالاة بغيره، ولو دري أن ذلك يبعده عن الناس بمراحل ويقلل من شأنه في عين ذوي الأخلاق الفاضلة، والنعوت الجميلة، ممن عرفوا الناس وعرفهم الناس، لما ارتكب ذلك ولما هان عليه أن يظهر بسمات لا ترفع مكانته، وثق أيها الأخ الكريم أنه كلما تواضع الشخص كبر في أعين الناس، وإن كان صغيراً. اللهم اجعلني في أعين الناس كبيراً وفي عيني صغيراً.

(٣) ذروة بعير: اعلا سنام البعير.

جرير ألا تريحني من ذي الخَلَصة» وهو بيت لخثْعَم من بلاد دوس، كان يدعى كعبة اليمانية وكانوا يحجون إليه ويطوفون به وينحرون عنده يشبهونه بالكعبة المشرفة، والكعبة الشمرفة تسمى الكعبة الشامية، وقال جرير: فنفرت إليه في خمسين ومائة فارس وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب بيده في صدري وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» قال ﷺ: «فانطلق فحرقها بالنار».

ثم بعث جرير إلى رسول الله ﷺ رجلاً يبشره يكنى أبا أرطأة فأتى رسول الله ﷺ فقال له يا رسول الله ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات. ثم بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قبل موته فلقي بها ذا كلَاع[1]، وذا عمرو، قال جرير: فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال لي ذو عمرو لئن كان الذي تذكره من أمر صاحبك لقد مر على أجله منذ ثلاث، قال وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق، رفع لنا ركب من قبل المدينة، فسألناهم، فقالوا: قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس صالحون، فقالا أخبر صاحبك إنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله ورجعا إلى اليمن، فأخبرت أبا بكر بحديثهم قال أبو بكر أفلا جئت بهم؟ قال: فلما كان بعد قال لي ذو عمرو يا جرير إن لك علي كرامة وإني مخبرك خبراً إنكم يا معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا ما هلك أمير تأمرتم في آخر فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يغضبون غضب الملوك ويرضون برضا الملوك. ولجرير بن عبد الله البجلي حوادث ذات شأن ستأتي في الأجزاء الآتية إن شاء الله تعالى. مات جرير سنة إحدى وخمسسن بقِرقِيْسيا من الجزيرة.

---

(١) ذا كلاع وذا عمرو: اسلما وأسلمت زوجة ذي الكلاع ضريبة بنت ابرهة بن الصباح النويري.

بعثة أبي موسى ومعاذ إلى اليمن

بعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، كلّ واحد منهما على مخلاف. وكان اليمن مخلافين والمخلاف. الإقليم بلغة أهل اليمن، ثم قال لهما رسول الله ﷺ: «يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا» وقال ﷺ لمعاذ: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، كل يوم وليلة، فإذا هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنه قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وأصل هذا الحديث في البخاري وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن، وكانت جهة أبي موسى السفلى، هكذا كانت وصاية رسول الله ﷺ لعماله، وأمرائه، وقواده، يأمرهم باللين والعطف، والإنصاف، وعدم الجحف على الرعية، ولذلك استقام الحال وأطاعت الأمم لأمراء المؤمنين ودخلت في الإسلام أفواجاً ابتغاء العدل، والإنصاف، والمساواة، فلو أن الأمر سار على ذلك السير لما تمزق شمل المملكة الإسلامية ولما صار المسلمون إلى هذا التمزق، اللهم ألهم المسلمين رشدهم.

بعثة أسامة بن زيد إلى الحرقات

بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات[1] من جهينة، قال

---

(١) الحرقات: نسبة إلى حرقة واسمه خميس بن عامر بن ثعلبة بن مودعة بن جهينة.

أسامة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار[1] رجلاً منهم فلما غشيناه قال: «لا إله إلا الله فكفّ الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله»؟ قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. هذه رواية البخاري.

وفي سيرة سبيل الهدى والرشاد: قال رسول الله ﷺ: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»؟ قال: يا رسول الله استغفر لي إنما قالها خوفاً من السلاح، إنما كان يتعوذ من القتل. قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أصادق هو أم كاذب»؟ قال أسامة فتمنيت أني لم أقتله.

فمن ذلك يعلم شدة حرص رسول الله ﷺ على دخول الناس في الإسلام كافة سواء كانوا من الأقارب أو الأباعد أو من الأصدقاء أو من الأعداء وجل قصده ﷺ أن يدرأ القتل عن المقاتل إذا رؤي منه رغبة في الدخول في الإسلام طوعاً ولو بالتألف فلذلك اشتد على أسامة بن زيد الذي هو حب رسول الله ﷺ لأن الإسلام ما جاء إلا لمنع التعديات وأخذ الخاطر وتأليف القلوب وجمعها على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد تكررت هذه الشدة منه على أمرائه وقواده عندما تصدر غلطة منهم مثل ما وقع لخالد بن الوليد وغيره.

بعثة علي بن أبي طالب إلى اليمن

بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة، وعقد له لواء، وعمّمه بيده الشريفة. قال رضي الله عنه: فقلت يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسنّ مني وأنا حديث

---

(١) ورجل من الأنصار: قيل هو أبو الدرداء والرجل منهم هو مرداس بن مهيك.

السن لا أبصرُ القضاء؟ قال عليّ: فوضع يده على صدري وقال: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه»، ثم قال: «يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما[1] حتى تسمع من الآخر الحديث».

فخرج علي رضي الله عنه في ثلاثمائة فارس ففرق أصحابه فأتوا بنهب، وغنائم، ونساء، وأطفال، ونعم، وشاء، وغير ذلك، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل ثم حمل عليهم رضي الله عنه بأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام ثم قفل فوافى النبي ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر. روى ذلك أحمد وأبو داود والترمذي.

وفي سبيل الهدى والرشاد أنه لما بايع علي رضي الله عنه النفر من رؤسائهم قالوا: نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى. وجمع عليّ ما أصاب من تلك الغنائم فجزّأها خمسة أجزاء ثم أقرع فكتب في سهم منها لله فخرج أول السهام منهم الخمس وقسم على بقية أصحابه المغنم ولم ينفل أحداً من الناس شيئاً، وكان من كان قبله يعطون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخمس ثم يخبرون رسول الله ﷺ بذلك فلا يرده عليهم، فطلبوا ذلك من عليّ فأبى وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه. وأقام فيهم يقرئهم القرآن ويعلمهم الشرائع، وكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزني يخبره الخبر، فأتى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ أن يوافيه الموسم، فانصرف عبد الله بن عمرو بن عوف إلى عليّ رضي الله عنه بذلك فانصرف علي راجعاً، فلما كان بالفتق تعجل إلى رسول الله ﷺ يخبره

---

(١) فلا تقض بينهما: وفي رواية فلا تقض لأحدهما.

الخبر، وخلف على أصحابه وعلى الخمس أبا رافع فوافى رسول الله ﷺ بمكة قد قدمها للحج وكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال معكومة ونعم وشاء مما غنموا ونعم من صدقة أموالهم، فسأل أصحاب علي أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يحرمون فيها فكساهم منها ثوبين ثوبين، فلما كانوا بالسدرة داخلين خرج علي رضي الله عنه ليتلقاهم ليقدم بهم فرأى على أصحابه الثياب فقال لأبي رافع ما هذا؟ فقال: كلموني ففرقت من شكايتهم وظننت أن هذا يسهل عليك. وقد كان من قبلك يفعل هذا بهم، فقال قد رأيت امتناعي من ذلك ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفت فتعطيهم، ونزع عليّ الحلل منهم فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه فدعا علياً فقال: «ما لأصحابك يشكونك»؟ قال: ما أشكيتهم قسمت عليهم ما غنموا وحبست الخمس حتى يقدم عليك فترى فيه رأيك فسكت رسول الله ﷺ.

حجة الوداع

هذه الحجة هي حجة رسول الله ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة الأولى والأخيرة وأما قبل الهجرة فكان يحج كل سنة مع قريش ويقف بعرفة ويفيض إلى مزدلفة خلافاً لمشركي قريش، فإنهم كانوا لا يخرجون من حدود الحرم[1] ويرون أن ذلك خاص بهم لكونهم أبناء إبراهيم ﷺ وأهل الحرم وولاة البيت وعاكفو مكة فليس لأحد من العرب منزلتهم، وأما باقي العرب فكانوا يقفون بعرفة.

وتسمى هذه الحجة حجة البلاغ[2]، وحجة الإسلام، وحجة الوداع،

---

(١) في حدود الحرم: ويوجد الآن علمان قائمان علامة لحدود الحرم وهما فاصلان عن نمرة وعرنة وقبل العلمين اللذين وضعا حداً لعرفة الموقف المعروف. ورأيت بتاريخ ٥/ ٦/ ١٣٨٨ هـ مكتوباً على هذين العلمين هذه العبارة بدون تاريخ: «إلى هنا منتهى الحرم وضع في عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود». وفي القرب من أحدهما مما يلي يمين الصاعد لعرفة علم قائم أبيض وآخر مما يلي اليسار مهدوم والحجارة باقية لقدم عهد بنائهما، فقد قال الفاسي: عمرا في سنة ٦١٦ هـ من قبل المظفر صاحب إربل وعمرا في سنة ٦٣٨ من قبل المظفر صاحب اليمن، ولهذا بادر جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى بإقامة علمين جديدين محاذيين للقديمين فجزى الله المحسنين أحسن الجزاء. وكان موقف المشركين بالمزدلفة وهم الحمس سموا بذلك لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا حتى كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون.

(٢) حجة البلاغ: لأنه بلغ الناس الشرع قولاً وفعلاً، وتسمى حجة الإسلام لأنه ﷺ لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها. وقوله لأنه ودع الناس فقال: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». وتسمى أيضاً حجة التمام =

لأنه ودَّع الناس فيها وذكر لهم ما يحل وما يحرم وقال لهم: هل بلغت. ولما أراد رسول الله ﷺ الحج أنذر الناس وخرج معه من المدينة من أصحابه أربعون ألفاً[1] وتخلف أناس عنه لأنهم أُصيبوا بمرض الجُدَرِي فقال لهم ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي» تطييباً لخواطرهم.

واستخلف على المدينة أبا دجانة الأنصاري رضي الله عنه، وكان خروجه يوم السبت لخمس بقين من شهر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة، فصلَّى الظهر بالمدينة وصلى العصر ركعتين بذي الحليفة[2] ـ وهو الموضع الذي يسمى الحسا أو أبيار علي ـ وخرج معه كل نسائه التسع في الهوادج وبات بذي الحليفة، وصلى بها صبح الأحد والظهر ثم دخل عند أم المؤمنين رضي الله عنها بطيب إسمه (ذريرة) وهو مجموع من أخلاط الطيب وفيه المسك. ثم اغتسل ﷺ وأحرم في إزار ورداء، ولم يغسل الطيب[3] بل كان يرى وبِيْص المسك في مفارقه ولحيته الشريفة.

= والكمال لنزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. والنبي ﷺ واقف بعرفة.

(١) أربعون ألفاً: بل مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ويقال أكثر من ذلك كما حكاه البيهقي.

(٢) ذي الحليفة: ميقات أهل المدينة ومن يمر عليها، والاتباع خير من غيره فهذا رسول الله ﷺ ترك الأحرام من مسجده مع كمال شرفه وأحرم من ذي الحليفة، ونرى بعضاً من إخواننا المكيين وغيرهم إذا أراد التوجه إلى مكة المكرمة يلبس رداء وازاراً قبل الميقات المذكور ويأتي إلى المسجد النبوي لابساً لهما فإن كان هذا هو مجرد التجرد بدون التلبس بالنسك فذاك. جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: انطلق النبي ﷺ من المدينة بعدما ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه، وأما إذا تلبس به من هناك فقد جانبه الأفضل لأنه عليه الصلاة والسلام أحرم من ذي الحليفة.

(٣) ولم يغسل الطيب: وهذا دليل استحباب التطيب عند إرادة الإحرام، ولا تضر استدامته بعده. والمحرم إنما هو في الإخرام وسواء في حرمته الرجل وغيره. وفي رسالتي الخاصة بمحرمات الإحرام المسماة بهذا الإسم زيادة إيضاح.

ثم ركب راحلته (القصواء) وأَهَلّ حيث انبعثت به[1] راحلته وقال: «اللهم اجعله حجاً مبروراً لا رياء فيه ولا سمعة». ثم استقبل القبلة وقال: «لبّيك اللهم لبيك لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» والناس معه يزيدون فيها وينقصون ولا ينكر عليهم، فكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها: لبّيك لبّيك وسعديك والخير في يديك، لبّيك والرغباء إليك والعمل: وأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية من شعائر الحج وولدت أسماء بنت[2] عميس زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنه له محمداً في ذي الحُليفة.

ثم توجه ﷺ فلما أتى العَرج[3] فقد البعير الذي عليه زاده وزاد أبي بكر، وكان ذلك البعير مع غلام لأبي بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه للغلام: أي بعيرك؟ قال: ضللته البارحة، فقال أبو بكر وقد اعترته حدّة: بعير واحد تضله؟ فضربه بالسوط فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع» ويتبسم لا يزيد على ذلك. وبلغ بعض أصحابه

---

(١) حيث انبعثت به راحلته: وهذا ما قال به الجمهور. والآخر أهل في مصلاه بذي الحليفة وعلى أيهما فقد حصل الإهلال. والخلاف إنما هو في الأفضل. ويستحب صلاة ركعتين عند إرادة الإحرام ويصليهما قبل الإحرام نافلة في الأوقات غير المكروهة المنصوص عليها ومنها بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ولهذا نلفت انتباه أولئك الأخوة الذين يعتمرون في شهر رمضان المبارك فإنا نشاهد بعضهم يصلي العصر بالمسجد الحرام. ثم يذهب إلى التنعيم ويصلي ركعتي الإحرام بمسجد عائشة رضي الله عنها فيحرم بعد الصلاة هناك، وهاتان الركعتان لا تنعقد النية بهما لأنها وقعت في وقت كراهة وكان سببها متأخراً وهو الإحرام، أي التلبس بالنسك.

(٢) ولدت أسماء بنت عميس: واستفرت من الرسول ﷺ عما تعمل والحالة هذه فأرشدها ﷺ بأن تغتسل وتحتجز بثوب تشده على موضع الدم لتمنع سيلانه وتحرم.

(٣) العرج: بفتح العين وإسكان الراء المهملتين وجيم (قرية).

أن زاملة رسول الله ﷺ ضلّت فجاء بحيس ووضعه بين يديه ﷺ، فقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وهو يغتاظ على الغلام «هوّن عليك يا أبا بكر فإن الأمر ليس لك ولا إلينا وقد كان الغلامخ حريصاً على أن لا يضل بعيره، وهذا غذاء طيب قد جاء الله به وهو خلف عما كان معه» فأكل ﷺ وأبو بكر ومن كان يأكل معهما حتى شبعوا.

ثم أقبل صفوان بن المعطل رضي الله عنه، وكان على ساقة القوم والبعير معه وعليه الزاد حتى أناخه على باب منزله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «انظر هل تفقد شيئاً من متاعك»؟ فقال: ما فقدت شيئاً إلا قعباً كنا نشرب فيه. فقال الغلام هذا القعب معي. ولما بلغ سعد بن عبادة الأنصاري وابنه قيساً رضي الله عنهما أن زاملته ﷺ قد ضلت جاءا بزاملة وقالا: يا رسول الله بلغنا أن زاملتك ضلّت الغداة وهذه زاملة مكانها، فقال رسول الله ﷺ: «قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله لكما». ثم قدم رسول الله ﷺ مكة ونزل بذي طوى[1] فبات بها تلك الليلة وصلى بها الصبح واغتسل منها ثم سار ونزل بالمسلمين ظاهر[2] مكة ودخل مكة نهاراً[3] وقت الضحى من الثنية العليا وهي كداء ـ وتسمى الآن ربع

---

(١) ونزل بذي طوى: بفتح الطاء ويجوز ضمها وكسرها والفتح أفصح قاله الكرماني. وفي التعليق على الجزء الثالث صفحة ٢٢٨ ذكرنا أنها واد به البئر الموجودة بحي «جرول» مكتوب عليها (بئر طوى) تقع على يمين المار من الشارع العام إلى مستشفى الولادة ولعل المؤلف أراد بقوله واغتسل منها أي (بها) وليست البئر كما قاله بعضهم في تعليقه على شفاه المرام لأن مبلغ علمي ان الإغتسال بماء البئر المسماة (طوى) خاصة لم يرد بل الذي وقفت عليه أن الغسل بمطلق ماء، نعم رأيت في التحفة لابن حجر المكي تخصيصه حيث قال: (بذي طوى) أي بماء البئر التي فيه عندها، أي يغتسل عندها، ولم يذكر له دليلاً والله أعلم.

(٢) ظاهر مكة: أي بالأبطح.

(٣) دخل مكة نهاراً: قال العسقلاني ولم يقع أنه ﷺ دخل مكة ليلاً إلا في عمرة الجعرانة فإنه ﷺ أحرم من الجعرانة ودخل مكة ليلاً فقضى أمر العمرة ثم رجع ليلاً =

الحجون[1] ـ وكان ذلك يوم الأحد لأربع مضين من ذي الحجة بعد أن مضى عليه في الطريق ثمانية أيام، ودخل المسجد الحرام صباحاً من باب عبد مناف وهو (باب[2] بني شيبة) وكان رسول الله ﷺ إذا الضعيف إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر».

= فأصبح بالجعرانة كبائت، رواه أصحاب السنن الثلاثة. وعن عطاء قال: إن شئتم فادخلوها مكة ليلاً إنكم لستم كرسول الله ﷺ إنه كان إماماً فأحب أن يدخلها نهاراً ليراه الناس. رواه النسائي.

(١) الحجون: بفتح الحاء وضم الجيم، وسمي بالحجون لإعوجاجه لأن الحجن الإعوجاج.

(٢) باب بني شيبة: هو باب بني عبد مناف، ويسن الدخول منه لكل قادم بخلاف الدخول من الثنية العليا فإنه يسن منها لمن كانت في طريقه كأهل المدينة وإلا فلا يسن كأهل الطائف لئلا يشق الدوران على العادل عن طريقه إليها ولا كذلك الدخول في المسجد الحرام، وهل العقد الذي كان خلف المقام وأزيل لتوسعة المطاف هو باب بني شيبة أو هو شيء آخر، أنقل إليك، أيها القارىء الجليل، ما تعلم به ذلك. ففي حاشية الصاوي، ج ١، ص ٢٧٣، على بلغة السالك قال: وفي الحقيقة باب السلام المعروف الآن موصل إليه فإنه الآن قوصرة بوسطه صحن الحرم يمر منها الداخل من باب السلام القاصد للكعبة، فلو دخل شخص من أي باب وتوصل للكعبة من تلك القوصرة فقد أتى بالمندوب اهـ. وفي كتاب عمارة المسجد الحرام للمؤلف رحمه الله تعالى قال: وباب بني شيبة هو العقد وكان بجوار هذا الباب دار شيبة بن عثمان الحجبي سادن الكعبة وكان يقال له باب السلام.

يقول العبد الراجي عفو مولاه الكريم: تبين من النصين أن العقد هو باب بني شيبة ويقال له باب السلام، وهو جهة باب الكعبة خلف المقام وليس هو باب السلام الذي هو مجموع ثلاثة أبواب على يمين السالك إلى هذا الباب، وحدوث هذه الأبواب الثلاثة التي يطلق عليها باب السلام كان في زمن الخليفة المهدي سنة ١٦٠ هـ في عمارته للمسجد الحرانم لأنه كان في موضعه قبل التوسعة زمن المهدي دور أهل مكة ثم جددت عمارته بأمر السلطان سليمان خان بن سليم خان العثماني، وهذا يوجه ما قاله الصاوي وغيره حيث إن المسجد كان مقدار المطاف ويحده العقد وبئر زمزم من الجهة الشرقية. وفي الدخول من باب بني شيبة حكمة =

ثم أتى رسـول الله ﷺ مقام ابـراهيم عليه الصـلاة والسلام فقـرأ: «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»[1] وجعل المقام بينه وبين الكعبة وصلى ركعتين.قـرأ فيهما مـع أم القرآن ـ أي فـاتحـة الكتـاب ـ ﴿قـل يـا أيهـا الكافرن﴾، ﴿وقل هو الله أحد﴾، ودخل ﷺ زمزم فنزع له دلو، فشرب منه ثم مج فيه ثم أفرغها في زمزم ثم قال: «لولا أن الناس يتخـذونه نسكـاً لنزعت» ثم رجع ﷺ إلى الحجر الأسود فاستلمه.

ثم خرج إلى الصفا وقرأ: (إن الصفا[2] والمروة من شعائر الله) ثم قال: «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا فرقي[3] عليه حتى إذا رأى البيت

= توجهه أيضاً قد تعرض لها في المواهب فقال: والمعنى فيه إن باب الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من أبوابها وأيضاً فلأن جهة باب الكعبـة أشرف الجهات الأربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد اهـ.

(١) فبدأ بالحجر الأسود: أي أنه لم يركع عليه الصلاة والسلام تحية المسجد إنما بدأ بالطواف تحية البيت، والرمل الإسراع في المشي بدون جري فهو وإن زال سببه وهو إظهار القوة للمشركين في عمرة سنة سبع ولكنه باقٍ اتباعاً لرسـول الله ﷺ ولذلك هم عمر رضي الله عنه أن يتركه ثم رجع وقال شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه.

(٢) فلما فرغ ﷺ قبل الحجر: أخرج الحاكم وصححه أنه ﷺ لما فرغ من طوافه قبله ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه.

(٣) لا تزاحم على الحجر، فاحذر أيها الأخ الطائف بالبيت العتيق أن تزاحم عباد الله، وامشِ بسكينة وتؤدة ووقار تنـل أجرك من الـرب الكريم، فبينمـا تريـد الثواب فبالمزاحمة آذيت فأثمت فارحم ترحم. ولك إن أبصرت زحمة عند الحجر الأسود أن تستلم بيدك وتقبلها فقد طاف النبي ﷺ واستلمه وقبل يده. وإن لم تتمكن من استلامه فأشر إليه بيدك أو بغيرها كالعصا وامشِ في سبيلك ولا تقبل ما أشرت لعدم وروده. قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا وجدت على الركن زحاماً فلا تؤذ ولا تؤذى وقال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أبا حفص إنك رجل قوي فلا تزاحم على الركن فإنك تؤذي الضعيف ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فكبر وامضِ.

أبصر البيت رفع يديه وقال: «اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابة وبراً وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً».

فلما أتى باب المسجد أناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ[1] بالحجر الأسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء، ثم رمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، فلما فرغ ﷺ[2] قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه، وقال: «بسم الله والله أكبر» وكان إذا استلم الحجر يقول ذلك، ولم يستلم الركنين الشاميين، اللذين يليان حجر إسماعيل واستلم الركن اليماني، وقال بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنك رجل قوي لا تزاحم[3] على الحجر، تؤذي فاستقبل القبلة فوحد الله وكبر وقال:

---

(١) واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى: تعرضنا بالكلام على المقام في الجزء الثالث صفحة ٢٤٠ ووجهة إزالة ما أحيط به وأفيد القارىء الكريم بأنه لم يأت موسم عام ١٣٨٧ هـ، إلا وقد أزيلت بقية القبة والعواميد والمقصورة وبقي المقام بموضعه لم يصبه شيء وحفظ في بلور سميك قوي داخل هيكل من نحاس في شكل خلاب بحيث يراه الناظر بعينيه، وبذلك تيسر للطائفين طوافهم، وحمد الناس ما قد حصل لمصلحة المسلمين من المسلمين، وسبب نزول قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾. أن النبي ﷺ أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال: هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله: أفلا نتخذه مصلى فقال ﷺ: «لم أؤمر بذلك» فلم تغب الشمس حتى نزلت وهذا من جملة موافقات عمر رضي الله عنه.

(٢) إن الصفا والمروة: الصفا جمع صفاة وهي الحجر العريض الأملس والمراد به هنا طرف جبل أبي قبيس يصعد إليه بدرجات سابقاً. والمروة في الأصل واحدة المرو وهي الحجارة البيض والمراد به هنا أنف جبل قعيقعان يصعد إليه بدرجات سابقاً والطريق بينها هو المسعى وقوله من شعائر الله، أي من علامة التدين بدين الله لأن السعي بينهما من أعمال الحج والعمرة المأمور بها.

(٣) فرقى على الصفا: أي صعد على جبل الصفا حتى رأى البيت وذلك يوم لم يكن المسجد محاطاً وأما الآن فالجدران قائمة تحول بين رؤية الكعبة من المروة ويرى =

(جبل الرحمة) في العصر الحاضر وهو متوسط ساحة عرفة، واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس فنزل عليه ﷺ في ذلك الموقف قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ وكان نزولها بعد عصر يوم الجمعة والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء، فحين نزولها كاد عضد الناقة أن يندق من شدة ثقلها فبركت.

فلما نزلت هذه الآية بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عمر»؟ فقال: إنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص. قال ﷺ: «صدقت» فلما غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، أردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك[1] رجله ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس السكينة، السكينة»، وكلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بآذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر فصلّى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة.

ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر[2] الحرام فاستقبل القبلة، وأردف

---

(١) مورك رجله: بالجيم وفي رواية رحله بالحاء والمورك الموضع الذي في مقدم الرحل يجعل الراكب رجله عليه إذا مل الركوب وضبطه القاضي عياض بفتح الراء وهو قطعة جلد يتورك عليها الراكب يجعل في مقدم الرحل يشبه المخدة.

(٢) المشعر الحرام: وهو جبل صغير في آخر المزدلفة سمي بذلك لأن الجاهلية كانت تشعر عنده الهدايا أي تضربها في صفحة سنامها حتى يسيل منها الدم ويسمى قزح - وتسمى به المزدلفة. تسمية للكل باسم البعض. . قال في التاريخ القويم: (وأما منزله ﷺ بمزدلفة ففي موضع من مسجد مزدلفة على ما يظهر أي عند المحراب الذي بوسط جدار المسجد القبلي).

الفضل[1] بن العباس رضي الله عنهما خلفه وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت[2] به ظُعُن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده الكريمة على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر لينظر حتى أتى بطن محسر[3] فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى[4] التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة[5] فرماها بسبع[6] حصيات يكبر مع كل

---

(١) اردف الفضل: فيه جواز ركوب شخصين على الدابة إذا كانت تطيق ذلك.

(٢) ظعن بضم الظاء والعين، ويجوز إسكان العين بمفردها ظغينة هي المرأة على الهودج ويؤخذ منه غض البصر عن النساء الأجنبيات غضهن عن الرجال وحسن الدعوة إلى الخير كفعله ﷺ.

(٣) محسر: بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة، موضع بين المزدلفة ومنى ولهذا لا يصح المبيت به وفي صحيح مسلم والنسائي عن الفضل بن عباس ـ أن محسراً من منى ويؤيد القول المعتمد ما أخرجه الإمام أحمد عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: (وارتفعوا عن محسر) وقوله (من منى) أي متصل بها قاله شيخ سيدي الوالد الشيخ محمد حسب الله المكي. وسمي محسر لأن الفيل حسر فيه أي أعيا وكل. وهذا على القول بأنهم دخلوا الحرم والأصح خلافه وأنهم أهلكوا بمحل محاذ لعرفة يسمى المغمس بفتح الميم الثانية، وأهل مكة يسمونه وادي النار لأن رجلاً اصطاد فيه فنزلت نار فأحرقته وإسراع السير كان من عادته ﷺ في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه، وكذلك فعل في سلوكه الحجر وديار ثمود تقنع بثوبه وأسرع السير، قاله ابن القيم رحمه الله.

(٤) الطريق الوسطى: أي طريق المأزمين وهو غير طريق ضب الذي سار منه إلى عرفة، وضب اسم الجبل الذي مسجد الخيف في أصله والطريق الوسطى الآن هو الطريق المسمى سوق العرب. لكثرة بيعهم وشرائهم في هذا المحل، وقد أدركنا فيه حركة قوية في البيع والشراء.

(٥) الشجرة: لا شجرة الآن وقوله (حصى الخذف) بفتح الخاء والذال المعجمتين، قدر حبة الفول.

(٦) فرماها: التقطها له ﷺ الفضل بن عباس، وهل هذا الالتقاط من مزدلفة أم من =

بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله[1]، ولكم عليهم أن لا يوطئن[2] فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف[3]، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وسنة نبيه، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون»؟.

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحت، فقال باصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكسها إلى الناس: «اللهم اشهد» ثلاثق مرات ثم قال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه لا يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر يضلُّ به الذين كفروا يحلُّونه عاماً ويحرِّمونه عاماً ليواطئوا عدَّة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متوالية، ورجب مفرد الذي بين جمادى وشعبان، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه: تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة لا يحل لأمرىء من

---

(١) بكلمة الله: قال الله تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكن من النساء﴾.

(٢) لا يوطئن فرشكم أحدا: أي فليس للزوجة أن تمكن أحدا يدخل بيت زوجها بدون إذن منه أو ظن رضاه. سواء المرأة أو المحرم وغيرهما وقوله: غير مبرح، أي شاق وشديد لأن الغاية تنبيهها لا الانتقام منها.

(٣) بالمعروف: فقراً وغنى: قال تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله﴾.

أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت»؟ قالوا: اللهم نعم. قال: «أيها الناس إن الله قد أدّى إلى كل ذي حق حقّه وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادّعى إلىّ غير أبيه أو تولى غير مواليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

وكان ربيعة[1] بن أمية بن خلف واقفاً تحت صدر ناقته ﷺ يصرخ بأعلى صوته يبلغ الناس خطبة النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يقول له يا ربيعة قل: «يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول كذا» فصار ينادي بما يمليه عليه، وكان ربيعة ذا صوت جَهُوري.

وبعثت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما لبناً في قدح فشربه أمام الناس، فعلموا أنه ﷺ لم يكن صائماً. ثم أمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلِ بينهما شيئاً.

ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات[2] وجعل جبل المشاة بين يديه وهذا الجبل هو المسمى

---

(١) وكان ربيعة يصرخ بأعلا صوته: يمكن أن يستدل بهذا على اتخاذ الميكروفونات ومكبرات الصوت للإمام وخطيب الجمعة وفي الاجتماعات العامة ليبلغ صوت الخطيب ونحوه جميع الحاضرين فتعم الفائدة المرجوة من الخطبة ويسمع قراءة الإمام مرتلة واضحة من كان بعيداً عنه.

(٢) الصخرات المفترشات في أسفل جبل الرحمة: بأن تقف في أسفله في جهته الجنوبية وجبل الرحمة تجعله عن يمينك وأنت مستقبل القبلة وفي هذه الحالة تشاهد المشاة وهم يمشون بين يديك، وقوله جبل المشاة بالجيم وفتح الباء وروى حبل المشاة بفتح المهملة وسكون الموحدة، الطريق يسلكه في الرمل أي جعل النبي ﷺ طريق المشاة الذي يسلكونه في الرمل أي أمامه والأول وهو جبل بالجيم بمعناه وليس كما قال المؤلف بأن الجبل هو جبل الرحمة وإن سمي الجبل الرابض وسط عرفة به.

هذا أم للأبد؟ فشبك رسـول الله ﷺ أصابعـه واحدة في الأخـرى وقال: «دخلت العمرة في الحج مرتين ثلا بل لأبد الأبد».

وقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن بدن[1] رسول الله ﷺ فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: أبي أمرني بهذا: فذهب إلى رسـول الله ﷺ محرشاً على فاطمة الذي صنعت مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه وأخبره أنه أنكر ذلك عليها فقال ﷺ: «صدقَت، ماذا قُلْتَ حين فـرضت الحج»؟ قال قلت: «اللهم إني أهل بما أهل به رسولك» قال: «فإن معي الهدى فلا تحل» وكان جميع الهدي الذي قدم به على من اليمن والذي أتى به رسول الله ﷺ مائة بدنة، فحـل الناس كلهم فحلقـوا وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، وكان جملة من ساق الهدي أبا بكر، وعمر، وطلحة، والزبير، وعلياً.

فلما كان يوم التروية ـ وهو ثامن يوم من شهر ذي الحجة ـ إلى منى فأهلوا بالحج فركب النبي ﷺ فصلى بهـا الظهـر، والعصر، والمغـرب، والعشاء، والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر ضربت له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز[2] رسول الله ﷺ

---

(١) بدن رسول الله ﷺ: البدن بضم فسكون جمـع بدنـه واحدة الإبـل وتطلق على الجمل والناقة، وقد تطلق على البقرة وكان عددها سبعاً وثلاثين بدنـة، وأصبح الجميع مائة بدنة.

(٢) فأجاز: أي تجاوز النبي ﷺ المزدلفة لأن الله أمره بذلك قال تعالى ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾. أي سائر العرب غير قريش وقولـه حتى أتى (عرفـة) أي قاربها لأن نمرة قبل عرفة وقيل عرنة. فنزل في القبة المعدة له. ولا ينافيه ما ذكره الارزقي من قوله وتحت جبل نمرة غـار أربعة أذرع في خمسـة أذرع ذكروا أن النبي ﷺ كان ينزله يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف، وليراجع كتـاب التاريـخ =

حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زالت الشمس، أمر بناقته (القصواء) فرحلت فأتى بطن الوادي أي وادي[1] عرنة وهو الفاصل بين عرفة والحرم فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم[2] وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث[3] ـ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ـ وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، وإن كلّ ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا، فاتقوا[4] الله في النساء، فإنكم أخذتموهن

= القويم للعلامة الشيخ محمد طاهر كردي المكي الخطاط، فقد بحث وحقق بحثه عن الغار والجبل الذي هو فيه، ولم يسبق لأحد أن تطرق لهذا البحث بالصفة التي قام بها فقد جاب تلك الجهة مع خبيرين من العرب يعرفان الأماكن والغيران الموجودة فيها وذلك بعد النصف الثاني من شهر شوال ١٣٧٦ هـ، أطال الله في عمره ليتحفنا بتحقيقاته وتجواله لضبط الحقائق وتحديد الأماكن لتعرفها الأجيال المتعاقبة.

(١) وادي عرنة: قد مر البحث في هذا عند الكلام على حد عرفة من الجهة الغربية.

(٢) دماءكم وأموالكم حرام: أي سفك بعضكم دم بعض وأخذ بعضكم أموال بعض عدواناً حرام عليكم دائماً فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه وبطريق من الطرق لأنه سطو على الآمنين دماً ومالاً بغير حق.

(٣) ابن ربيعة: اختلف في اسمه فهو أياس عند الجمهور وقيل حارثة وقيل تمام وكان طفلاً مسترضعاً يحبو بين بيوت بني سعد فأصابه حجر في حرب كانت بين بني سعد وبني هذيل فمات.

(٤) فاتقوا الله في النساء: فيه مراعاة حق المرأة ومعاملتها معاملة حسنة حيث لها وعليها.

كان آخر طوافه على المروة قال: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت

= المساجد والمشاعر العظام ولقد كان أول وزير للحج والأوقاف سنة ١٣٨٢ هـ وهو معالي الشيخ حسن عرب قام بأعباء تلك الأعمال الهامة بجهود عظيمة ونظم الأمور الملائمة للوزارة من مديرية إلى وزارة. ولاعتلال صحته تنحى عن العمل طلباً للراحة والاستجمام، وخلفه بالنيابة معالي وزير المواصلات الشيخ محمد عمر توفيق، والوكيل في العهدين سعادة السيد أحمد مجاهد، وكلاهما حريصان على تحقيق الرغبة الملكية الفيصلية في الحفاظ على ما يجب، لحرمة البيت الحرام ولأنه خادم الحرمين الشريفين. والمسجد الحرام هو مهوى أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وقبلتهم التي يتوجهون إليها ليلهم ونهارهم في عبادة الخلاق العليم الرب العظيم يقصدونه من كل فج عميق استجابة لقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ وهكذا بقية المشاعر يتفقدانها لتظهر في مظهر يليق بكرامتها ولأوقاف العاصمة سعيها المشكور في عهد مديرها الحالي سعادة الشيخ (عبد الله أزهر) فقد كانت هي الأخرى تسعى جاهدة بنشاط ملموس فيما تزاوله من اختصاصاتها ومن ذلك المسجد الحرام وما تشرف عليه من المساجد الكثيرة البالغ عددها الآن نحو ٦٠٠ مسجد وما تحت يدها من الأوقاف الخيرية وفقها الله تعالى لمجريات أمورها على الوجه المطلوب وما يطابق نصوص واقفيها يقيناً في إدارة الحرم المكي الشريف فإنها المشرف المباشر قال فيها الشيخ باسلامه في كتابه عمارة المسجد الحرام يقوم بها في العصور المتقدمة أمراء مكة وولاتها وذلك في عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء الأمويين والعباسيين وسلاطين الجراكسة، ولما آل أمر الحرمين الشريفين إلى يد سلاطين آل عثمان عهدوا بذلك إلى ولاتهم على مكة المكرمة وأعطوهم لقباً خاصاً هو شيخ الحرم وجعلوا لهم نائباً ينوب عنهم وفي عهد صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود جعل للمسجد الحرام إدارة الحرم وجعل رئيسها نائب الحرم وسميت هذه الإدارة مجلس إدارة الحرم.

وأقول إن هذه الإدارة تأسست عام ١٣٤٦ هـ ونالت حظها وتقديرها من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود كما عطف عليها ابن جلالته الملك فيصل المعظم، وهذه الإدارة تتمثل اليوم في مديرها السيد حسن بن سليمان أحمد نائب الحرم «وهو أخ شقيق لرئيسها السابق السيد هاشم نائب الحرم المتوفى بمكة سنة ١٣٧٤ هـ» وفي مساعدة ابنه السيد عبد القادر نائب الحرم وفي أعضائها المحترمين. وهي تقوم بإدارة شئون المسجد الحرام مع مراقبة عموم خدمته من =

لم أسق الهدي ولجعلتها[1] عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة» فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله ألعامنا

= مؤذنين (في عام ١٣٨٦ هـ انضم المؤذنون إلى الإشراف الديني للمسجد الحرام برئاسة صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الله بن حميد المدرس بالمسجد الحرام وفقه الله تعالى) ومن فراشين وكناسين وقمامين. وغسالين وجنود ومحافظين للمصاحف الشريفة. ومراقبين. والقائمين على بئر زمزم وقد بلغ الموظفون التابعون لهذه الإدارة إلى تاريخ كتابة التعليق نحو (٦٥١) موظفاً رواتبهم من مديرية الأوقاف ويتقاضونها شهرياً من إدارة الحرم المكي - وفي التحقيق الصحفي الذي أعده مكتب (البلاد) المنشور بعدد ٢٨٩٧ وتاريخ ٢٨/٥/٨٨ هـ أدلى مدير أوقاف العاصمة سعادة الشيخ عبد الله أزهر بحديث قيم عن إدارة الحرم يشكر عليه. أنقله بنصه لأنه ينطبق عليه المثل المعروف وهو (اعط القوس باريها) حيث قال)

إدارة الحرم المكي الشريف تتألف من جهازين، ويتكون منه أعضاء مجلس الإدارة وهم نخبة من المواطنين المخلصين ومن ذوي السمعة الحسنة والخلق الكريم، ويتولى مجلس إدارة الحرم أكثر المهام كالإشراف على أعمال المراقبين وأعمال النظافة والإشراف إدارياً على أعمال الحرم والموظفين الإداريين، هذا بالإضافة إلى قيامه بإعداد كل الترتيبات والإستقبالات لكبار الضيوف من الدول العربية والإسلامية القاصدين إلى هذه الأماكن المقدسة. ولا تقتصر أعمال إدارة الحرم على الإستقبالات فقط بل وتهيئة كل أسباب الراحة والهدوء التام والعناية بتحقيق رغبة الضيوف الكرام بالأماكن والمشاعر المقدسة بمكة المكرمة. ويبلغ عدد الموظفين الإداريين والخدم والجنود وحراس الأبواب نحو (٦٠٠) موظف وفيما ذكرته من عدد الموظفين زيادة (٥١) موظفاً لأنني باعتباري عضواً بإدارة الحرم أخذت ذلك من جدول الرواتب لتقدم التحقيق وتأخير التعليق والوضع الراهن للمسجد الحرام والمشعر يقبل المزيد من الموظفين وتصرف رواتبهم جميعاً من إدارة الأوقاف شهرياً حيث تتولى تسليمها إليهم إدارة الحرم.

(١) ولجعلتها عمرة: فيه دليل على جواز فسخ الحج إلى العمرة لمن لم يكن معه هدي، والمسألة فيها خلاف بين الأئمة ما بين قائل بجوازه باستمرار كالإمام أحمد حتى قال ابن القيم بلزوم ذلك تفادياً من غضب رسول الله ﷺ. وبعدمه كالأئمة الثلاثة. ولكل دليله تكلفت به الكتب الإسلامية المعتبرة وأطال النفس في هذا الخصوص صاحب الزاد فليراجع لمعرفة التبسط في الموضوع.

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات.

ثم نزل إلى المروة حتى انصبت[1] قدماه في بطن الوادي رَملَ حتى

= بعضها من باب الصفا وهل الصعود على الجبل واجب أو سنة؟ ذهب ابن الوكيل من الشافعية إلى الوجوب لا يصح السعي بدونه. وقال الجمهور هو سنة فقط. يدل عليه حديث جابر رضي الله عنه قال: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة ليراه الناس وليشرف وليسألوه فإن الناس غشوه، وذلك لأن الراكب لا يصعد الصفا. وجمع ابن القيم بين هذا الحديث وحديث ثم نزل ماشياً إلى المروة: بأنه سعى ماشياً أولاً ثم أتم سعيه راكباً كما قد جاء ذلك مصرحاً به، قال ابن قدامة في المغني: فإن لم يرق يعني الساعي على الصفا فلا شيء عليه لكن يجب عليه أن يستوعب ما بين الصفا والمروة فليلصق عقبيه بأسفل الصفا ثم يسعى إلى المروة فإن لم يصعد عليها الصق أصابع رجليه بأسفلها والصعود عليها أفضل اقتداء بالنبي ﷺ. يقول العبد الراجي عفو مولاه: لا حاجة الآن إلى إلصاق عقب لأن الصعود حاصل سواء الراكب والماشي لأن الدرج التي كانت سابقاً يصعد بها إلى الجبل قد دنت واعتلى مكانها وسهل الصعود.

(١) انصبت قدماه بشد الباء أي انحدرت بسهولة في بطن الوادي أي ما انخفض منه وقوله: رمل أي أسرع المشي وهذا قبل الميلين الأخضرين. وأما الآن بعد وجودهما فيسعى الرجل عند الميل الأول إلى الميل الثاني ثم يمشي على هيئته إلى المروة ويتركه أو فعله في كل مسعى تفوته الفضيلة. واليوم قد علا الوادي بحيث يرى من المسجد الحرام وكان نازلاً كما قال ابن حجر المكي في شرح الإيضاح حتى أن الشخص كان يصعد درجاً كثيرة ليرى البيت بل قيل إن الفرسان كانت تمر في المسعى والرماح قائمة فلا يرى من بالمسجد إلا رؤوسها يقول العبد المفتقر إلى رحمته تعالى: من نعم الله على عباده المسلمين إن وفق ملك البلاد العربية السعودية جلالة الملك فيصل المعظم، بأن وجه أنظاره إلى هذا المشعر العظيم الذي أنزل فيه قول الله عز وجل: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾؛ فاهتم جلالته كل الاهتمام وعمل عملاً خالداً يشكره عليه المسلمون، وقد تمت فرحتهم شرقاً وغرباً، وكيف لا يفرحون بما قد حصل. فها هو المسجد =

إذا صعد مشى حتى إذا أتى المروة فعل كما فعل على الصفا، حتى إذا

= الحرام تزداد توسعته من جميع الجهات طبقة فوق طبقة أضعاف ما كان عليه وكذلك المسعى فقد كانت تخترقه عدة طرق للمشاة وسير الإبل والدواب والعربات سابقاً والسيارات فيسع مئات الألوف ما بين حجاج ومواطنين كما كان مسعى يسعى فيه الناسكون. ولكنه في نفس الوقت كان أشبه بمعارض تجارية تحيط به الحوانيت والدكاكين الواقعة تحت القصوى والعمارات المفتحة أبوابها على المشعر تعرض فيه السلع وصنوف البضائع، بينما يتجمع فيه الحلاقون وبائعو المشروبات الباردة المثلجة. حتى صرافي النقود، وحركة البيع والشراء كانت في ذلك الحين على قدم وساق خصوصاً العشر الأواخر من شهر رمضان فإن بروز البائعين ببضائعهم أكثر عرضاً للعيد السعيد. وفي هذه الحالة يشق الساعون طريقهم بجهد وتعب لكثرة الناس ويلاقون تشويشاً ومضايقات لا حيلة لهم في كل ذلك سوى أن يتضرعوا إلى المولى الكريم بأن يحسن الحال إلى أحسن منه.
والحمد لله حمداً كثيراً على نعائمه. فاليوم كل ذلك قد أزيل وأصبح في خبر كان.
فلا عمارات ولا دكاكين ولا بيع ولا شراء سوى عبادة الله تعالى في هذا المشعر العظيم فالساعي يمشي وقلبه مطمئن فقد صين واحيط ببناء شامخ جميل جداً.
جعل له مداخل عديدة بأبواب مصفحة بالنحاس المنقوش ونوافذه وضع لها شبابيك حديدية نحاسية. وارتفعت أرضه بحيث يرى الساعي الكعبة من الأبواب ويبصر الطائفين والمصلين وفرشت بحجر المرمر وحجز وسطه لمرور العربات الخاصة لركوب الطاعنين في السن والمرضى وجعل على جانبيه حاجز مكين من الألمنيوم جميل الصنع في ارتفاع سبعين سنتمتراً وبينها فاصل من حجر المرمر في ارتفاع ثمانين سنتمتراً لتسير العربات الواحدة إثر واحدة يدفعها الآدميون لتسير في انتظام يؤمن معه ضرر الماشين. وهذا الذي ذكرنا هو قليل من كثير لا يسعه مثل هذا التعليق دعانا إلى ذكره ما قر في قلوبنا من فرح بتحسين الأوضاع التي كانت تحز في نفوسنا ألماً مريراً. اللهم وفق عبادك المخلصين لما ينفع المسلمين وزد وبارك في كل من يرعى مقدسات المسلمين وأمده بمددك يا رب العالمين. اللهم اغفر لي ذنبي وادخلني في زمرة الصالحين واغفر لوالدي وارحمهما بفضلك وإحسانك يا أرحم الراحمين آمين.
وبمناسبة ذكر المسجد الحرام والصفا والمروة وهما من شعائر الله فلا نغفل وزارة الحج والأوقاف فإن جلالة الملك فيصل المعظم قد أولاها ثقته، وجعلها تتبنى كل ما له علاقة بالحج والحجاج الوافدين إلى بيت الله الحرم. وكذلك الأوقاف وعموم =

رضي الله عنه ولما نزل ﷺ بالمحصب صلى به الظهر، والعصر،

= محمد علي بن حسن المالكي مفتي المالكية وهي بالهامش بقسم فتاوى المالكية.

ثانياً: ما قد يقع لبعض العوائل فإن أحد أجدادها قد ينزح من بلده ويستقر بإحدى البلدان ويتوالد النسل هناك وصار معروفاً بالبلد الذي استقر جده فيها، فهل معنى ذلك أن نسبته الأصلية قد تلاشت، إنها لا تزال باقية، ذكر الأستاذ الفاضل أحمد سباعي في تاريخ مكة أن عائلة المفتي من العوائل القديمة بمكة المكرمة وجدهم الشيخ أبو بكر بن عبد القادر بن صديق كان من الهنود (الفتن) وفي بيتهم العلماء ومن تولى الإفتاء على مذهب أبي حنيفة في مكة المكرمة، وآل المفتي يذكرون أنهم من ذرية أبي بكر الصديق. قال: وقد أطلعني أحدهم على نسبتهم وفيها ذكر الشيخ عبد القادر بن صديق المفتي وبذلك لا يستبعد أن يكونوا من آل الصديق رحلوا إلى فتن، ثم عادوا إلى مكة.

وكذلك لا يستبعد أن أحد أجداد آل الريس هاجر من مكة إلى أن عاد إليها علي بن محمد، ومما يطمئنني على صحة تلك النسبة ما ذكره أيضاً الأستاذ السباعي في تاريخه أن الشيخ أسعد ريس وهو من أحفادهم في هذا العصر أطلعه على وثيقة تثبت انتسابه لآل الزبير - (والمرء مؤتمن على نسبه) قلت: وأنا الثاني قد أطلعني حضرة الفاضل الشيخ أسعد المذكور على شجرة أنساب آل الريس إلى جدهم الأعلى عبد الله بن الزبير بن العوام وإلى جدهم الأدنى المجتمعين عنده وهو عبد السلام بن أحمد بن محمد الريس. وهذه الشجرة منقولة من شجرة بقلم عبد الرحمن ابن شافعي سنة ١٢٨٢ وهي منقولة من شجرة بقلم الشيخ محمد صالح الريس المذكور سنة ١٢٢٨ هـ.

ثالثاً: ما وقفت عليه من اتصال النسب إلى أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير في ترجمة حافلة للعلامة الشيخ محمد صالح الريس الزمزمي وهو من هذه العائلة وضعها له تلميذه العلامة الشيخ محمد ابن خضر المصري ونقلها عنه تلميذه العلامة السيد يوسف البطاح المكي صاحب إفهام الأفهام بشرح بلوغ المرام في مجلدين في شرحه على إرشاد الأنام على منسك شيخه المترجم، فذكر فيها تاريخ ولادته بمكة سنة ١١٨٩ ووفاته سنة ١٢٤٠ هـ بمكة وكيف كانت نشأته الصالحة في طلب العلوم ومتابعة السنة النبوية ومباشرته للتدريس بالمسجد الحرام في فنون عديدة ولما عرض عليه الإفتاء امتنع ولم يقبله إلا بشروط قبلت منها عدم حضوره المجالس التي تحصل في أثناء السنة بالمسجد الحرام وأنه لا يلبس الكوديان وهذه سلسلة نسبه: هو أبو عبد الله جمال الدين محمد صالح بن إبراهيم بن محمد بن =

والمغرب، والعشاء، ورقد رقدة، واعتمرت عائشة رضي الله عنها من التنعيم[1]. وأمر ﷺ الناس أن لا ينصرفوا إلى بلادهم حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت الذي هو طواف الوداع. ثم نهض رسول الله ﷺ إلى مكة فطاف للوداع سَحَراً ولم يرمل في هذا الطواف.

وخرج ﷺ بعد طوافه من المسجد سحراً، وكان خروجه من الثنية السفلى (ثنية كدى) من جهة الشبيكة متوجهاً إلى المدينة، فلما وصل ﷺ إلى غدير خم بقرب رابغ، جمع أصحابه وخطبهم فقال: «أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فما أنتم قائلون»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً. فقال ﷺ: «أليس تشهدون أن لآ إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق، بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور»؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد».

ثم سار رسول الله ﷺ حتى أتى المدينة، ولما رأى المدينة كبَّر ثلاث

= عبد اللطيق بن عبد السلام بن أبي بكر بن عبد العزيز بن أبي عبد الله ابن أبي المعالي بن محمد بن الحسين بن عبد المؤمن بن محمد بن ذاكر بن عبد المؤمن بن أبي المعالي بن أبي الخير بن ذاكر بن أحمد بن الحسن بن علي بن ابي المعالي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ذاكر بن علي بن عبد الله بن يحيى بن عباد بن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ابن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أهل الشورى.

(١) واعتمرت عائشة رضي الله عنها من التنعيم: وهذا دليل على أن ميقات العمرة المكاني لمن كان بمكة أدنى الحل. وكذلك فعل من جاور بها من الصحابة، ثم تتابع التابعون وتابعوهم وهو إجماع في كل عصر أنظر (القرى لقاصد ام القرى) ويدل على ذلك أيضاً أمر ابن الزبير بالخروج إلى التنعيم لما فرغ من بناء البيت وقال: من كانت له علية طاعة فليعتمر من التنعيم شكراً لله عز وجل وخرج ماشياً حافياً وخرج معه رجال من قريش مشاة منهم عبد الله بن صفوان وعبيد ابن عمير.

أوعى له من بعض من سمعه» ثم قال: «ألا هل بلغت»؟ مرتين.

وكان ﷺ يزور البيت ليلة من ليالي منى، وقد وقف ﷺ بمنى على راحلته يسألونه، فجاء رجل فقال: يا رسول الله لم أشعر أن التحلل قبل النحر فحلقت قبل أن أنحر؟ فقال ﷺ: «اذبح ولا حرج».

ثم جاءه رجل آخر فقال: يا رسول الله لم أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل أن أرمي؟ فقال: «ارم ولا حرج» وجاءه آخر فقال: إني أفضت إلى البيت قبل أن أرمي؟ فقال: «إرم ولا حرج». فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج. وأقام ﷺ بمنى ثلاثة أيام يرمي الجمار ماشياً في ذهابه وإيابه، وأمر ﷺ شخصاً أن ينادي في الناس بمنى أنها أيام أكل وشرب وباءة. ورمى لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال سبع حصيات، واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة: «الله أكبر»، يبدأ بالتي تلي مسجد الخيف ويقف عندها للدعاء، ثم التي تليها وهي الوسطى ثم يقف للدعاء، ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعاء.

وكان أزواجه ﷺ يرمين بالليل، ويسمى اليوم الأول من أيام منى (يوم القر) والثاني: (يوم النفر الأول) والثالث: (يوم النفر الأخير) وقد خطب رسول الله ﷺ في الحج خمس خطب، الأولى: يوم السابع من ذي الحجة بمكة، والثانية: يوم عرفة، والثالثة: يوم النحر بمنى، والرابعة: يوم القر، والخامسة: يوم النفر الأول بمنى.

ثم نهض ﷺ من منى في اليوم الثالث الذي هو يوم النفر الأخير ونفر معه من المسلمين بعد الزوال وبعد الرمي. واستأذن عمُّه العباس رضي الله عنه في عدم المبيت بمنى في الليالي الثلاث من أجل السقاية[1] فرخص له

---

(١) السقاية: أي سقاية الحجاج من زمزم تولاها العباس من بعد عبد المطلب فلم تزل في يده وأقره النبي ﷺ عليها. وآل الزبير كانوا يتولون التوقيت للصلاة في المسجد =

في ذلك. وضربت له ﷺ قبة بالمحصب (هو الأبطح) ضربها له أبو رافع

= وأضاف أولاد العباس إليهم خدمة زمزم لاشتغالهم بالخلافة كما أفاده الشيخ رشدي في تعليقه على كتاب أخبار مكة للازرقي وهو مطبوع متداول واليوم كما هو في السابق يتولى التوقيت والسقاية عائلة الريس وهي عائلة قديمة بهذه البلدة المقدسة ومن بينهم العلماء الفضلاء أمثال العلامة الشيخ عبد العزيز الرئيس الزمزمي وكان رئيس علماء مكة المكرمة وله اليد الطولى في الأدب فقد شرح مقامات الحريري وله منظومة في أصول التفسير، وتوفي عام ٩٧٦ هـ بمكة والعلامة الجليل الشيخ محمد صالح الزمزمي مفتي مكة المكرمة وصاحب الفتاوى المشهورة وكفضيلة العلامة الشيخ عبد الرؤوف بن يحيى الزمزمي تلميذ العلامة ابن حجر الهيثمي المكي صاحب التحفة المعروفة ورئيسهم الحالي في زمننا الشيخ محمد شافعي بن محمد بن الريس. وتنتسب هذه العائلة إلى عبد الله بن الزبير، ذكر شيخنا العلامة الجليل الشيخ عبد الستار الدهلوي المكي من مواليد ١٣١٨ في كتابه الديني «أزهار البستان» كما أفاده الشيخ رشدي في تعليقه على كتاب أخبار مكة للأزرقي وهو مطبوع متداول ان جد بيت الريس علي بن محمد البيضاوي الشيرازي قدم رحمه الله من شيراز إلى مكة في سنة ٧٣٠ عام قدمها الفيل من العراق في قصة ذكرها المؤرخون فباشر الشيخ سالم بن ياقوت المؤذن في خدمة بئر زمزم ثم زوجه ابنته فأنجب منها أحمد وإخوته وما زالوا يتوالدون ـ وعلى ما ذكره فضيلة شيخنا قد انقطع نسب هذه العائلة إلى الزبير عند الشيخ سالم المؤذن المذكور، ولكنه في نفسي منه شيء وتتأكد صحة النسبة واتصالها بأمور كما ظهر عندي.

أولاً: ما قرأته في مقدمة كتاب فتاوى على مذهب الشافعية لأحد آل الريس وهو العلامة المدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد صالح الريس المتوفي بمكة المكرمة ١٢٤٠ فإن تلميذه الشيخ حسن بن عبد الرحمن أبو راس الدوعني نسبه إلى الزبير وقال إنه جمع هذه الفتاوى بأمر شيخه عام ١٢٢٦ هـ. ثم ترجمه يقوله: التقي الزاهد والورع العابد العالم العلامة الحبر الفهامة المجمع على جلالة قدره في جميع الأقطار من شرقه وغربه ذو الفضائل والمكارم الذيث لا تأخذه في الله لومة لائم: محمد صالح ابن الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد السلام الزمزمي المكي الزبيري نسباً الشافعي مذهباً. ولولا صحة هذه النسبة إلى الزبير لما أقرها فضيلته من تلميذه وهو الآمر له بجمع فتاواه وهو بذلك الورع الزاهد والعالم الضليع. وهذه الفتاوى طبعت عام ١٣٥٦ هـ بإشراف فضيلة شيخنا العلامة =

حصاة وهي مثل حصى الخذف، يرمي من بطن الوادي[1]، ثم انصرف إلى المنحر[2] فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما بقي، وهي سبعة وثلاثون تمام المائة، وأشركه في هديه ثم أمر أن يؤخذ من كل بدنة قطعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، وقسم جميع اللحم وجلود عموم الهدي بين الناس، وأخبر ﷺ إن منى كلها منحر، وإن فجاج مكة[3] كلها منحر.

= مكان آخر، ففي رواية الفضل بن عباس قال قال رسول الله ﷺ غداة العقبة، وفي رواية غداة النحر وفي أخرى غداة جمع وهو على راحلته، إشعار بأنه كان عند جمرة العقبة على الروايتين الأولى والثانية، قال ابن قدامة في مغنيه؛ وكان ذلك بمنى، وللحجاج أن يلتقطوا من غير المزدلفة وهم محصلون للسنة خصوصاً وفي التقاطها منها وقت نزول السيارات خطورة عظيمة وشاهدت بعيني متعني الله بهما، أن بعض الحجاج يمكث على قارعة الطريق يحفر الأرض بيده وبخشبة صغيرة ليستخرج الجمرات منها. وما أدري هل ضاقت عليه المزدلفة محصياتها حتى يؤدي بنفسه للهلاك في أشد الزحام ودين الله يسر. ولم نؤمر بمثل هذا.

(١) بطن الوادي) أي من أسفله بحيث تكون منى عن يمينه ومكة عن يساره فلو رمى من فوقها إلى الجمرة صح وكيف رمى أجزأه. والمعتمد أن جمرة العقبة حد لمنى والحد لا يدخل في المحدود ولهذا لا يصح المبيت ليالي منى فيها وبما قاربها كما يفعله اليوم بعض الحجاج فتجد خيامهم منصوبات واصلة إلى البستان الواقع على يسار الصاعد إلى منى.

(٢) المنحر: هو مكا بين الجمرة الأولى والوسطى وفي الحديث كل منى منحر له فله أن ينحر في أي جهة.

(٣) فجاج مكة منحر: الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع، وفي هذا توسعه للناس حيث يجوز النحر بكل أرض مكة كسائر الحرم، ولو فهم الحجاج هذا الجواز لما قدم جميعهم مئات الألوف للذبح في منى خاصة ولو ذبح منهم في مكة وقسم لحم ذبيحته على أهلها لكان في ذلك نوع من القضاء على بقاء اللحم مطروحاً بأرض منى. على أن المرمى من اللحوم هو من النوع الذي لا يرغب فيه الناس لكونه هزيلاً شديد الهزال أو كبيراً في السن إلى الغاية التي لا تحبب الناس فيه. أو صغيراً لم يستوف سن الذبح ولم يكتس الشحم. أما السمين المرغوب المستوفي لشروط الذبح فيطارده الراغبون فيه لتحصيله وقلما يجدونه بسهولة لكثرة =

ثم أمر بإحضار الحلاق معمر بن عبد الله بن حنظلة بن عوف فحلق رأسه الشريف وبدأ بالشق الأيمن وقسم شعره للناس، ثم أعطى شعر شق رأسه الشريف الأيسر لأبي طلحة الأنصاري زوج أم سليم رضي الله عنهما، وأعطى شعر ناصيته الشريفة لخالد بن الوليد رضي الله عنه، ثم طيبته عائشة رضي الله عنها بطيب فيه مسك قبل أن يطوف طواف الإفاضة.

وحلق بعض أصحابه وقصّر بعضهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: والمقصرين فأعاد ﷺ ذلك ثلاث مرات وفي الرابعة قال: «والمقصرين» ثم ركب ﷺ، فأفاض إلى البيت فطاف في يومه ذلك طواف الإفاضة قبل الظهر وشرب من ماء زمزم أتى له به العباس رضي الله عنه، ثم صب منه على رأسه الشريف، ثم رجع إلى منى فصلّى الظهر وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيُّ شهر هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظن أصحابه أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة» قالوا: بلى، قال: «فأي بلد هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البلدة»[1] قالوا: بلى، «فأي يوم هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس يوم النحر»؟ قالوا: بلى، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، وفي بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم. ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، إلا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون

= طلابه فعلى الذابح اختيار ذبيحته كما ينبغي ليتناولها الطاعمون بالهناء وله من الله الكريم خير الجزاء.

(١) أليس البلدة: لفظ البخاري في الحج قال: أليست بالبلدة الحرام، ولفظه في الإضاحي قال أليس البلدة بالتأنيث أي مكة.

مرات وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم دخل ﷺ المدينة نهاراً من طريق المعرس.

وكان مجموع من وقف معه بعرفة في حجة الوداع مائة وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة وأربعة وعشرين ألفاً، ويروى ذلك عن البيهقي.

هذا حاصل حجة الوداع قد لخصتها من كتب الحديث عن جملة روايات، وكل كتب المناسك مبنية على حجة الوداع، غير أن الفقهاء قد جمعوا عموم ما وقفوا عليه من روايات الصحابة عن رسول الله ﷺ في كتب مناسك الحج وبوبوا حاصل تلك الروايات على أبواب وفصول وجعلوا لكل مسألة من مسائل الحج فصلاً، وفرَّعوا لها فروعاً، فبعضهم لخص، وبعضهم توسّع في البحث، فجزاهم الله عن أعمالهم خير الجزاء، وقد اقتصرت هنا في حجة الوداع على ما يناسب المقام وتركت للقارىء التوسع في ذلك من كتب المناسك وبالله التوفيق. وقد استوعبت خطبة النبي ﷺ في يوم عرفة إذ هي الخطبة العصماء الشاملة لكل ما يحتاجه المسلم في دينه ودنياه وآخرته، فلو أن الخطباء يحفظونها ويلقونها يوم عرفة على الحاج لكانت أفْقَه، وأبْرَكَ وأجْمَعَ من كلّ ما يتكلفون من الخطب، فعسى الله أن يرشدهم إلى ذلك.

سرية أسامة بن زيد
إلى ابني

بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه، فندب النبي ﷺ الناس لغزو الروم في آخر شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة ودعا أسامة بن زيد فقال له: «سر إلى

موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش وأغِرْ صباحاً على (ابنى) وحرِّق عليهم وأسرع المسير تسبق الخبر، فإن ظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم».

وابني موضع بقرب (مؤتة) التي قتل عندها زيد بن حارثة رضي الله عنه، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة فدفعه إلى بريدة، وعسكر بالجرف، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وسعد، وسعيد، من المهاجرين وقتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم، من الأنصار فتكلم في ذلك قوم منهم عياش بن ربيعة المخزومي، فردَّ عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخبر النبي ﷺ أن الناس طعنوا في إمارة أسامة بن زيد فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليها قطيفة، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم عن تأميري أسامة، إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وإيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ من بعده، وإنهما مظنة لكل خير، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم» وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة، أي قبل وفاته بيومين، وجاء المسلمون الذين هم جيش أسامة يودعون رسول الله ﷺ ويخرجون إلى العسكر بالجرف، وقد ثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول: «أرسلوا بعث أسامة».

فلما كان يوم الأحد اشتد على رسول الله ﷺ وجعه، فدخل أسامة من عسكره والنبي ﷺ مغمور فطأطأ رأسه ثم قبَّله وهو ﷺ لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة رضي الله عنه. قال أسامة: فعرفت أنه ﷺ يدعو لي، ورجع أسامة إلى عسكره ثم دخل عليه يوم الاثنين فقال

له رسول الله ﷺ: «أغد على بركة الله تعالى» فودّعه أسامة وخرج إلى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب إذ رسول أمه أم أيمن رضي الله عنها قد جاء يقول: إن رسول الله ﷺ يموت، فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت، فتوفي رسول الله ﷺ حين زاغت الشمس ودخل المسلمون الذين كانوا معسكرين بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بلواء أسلامة حتى أتى به إلى رسول الله ﷺ فغرزه عند بابه.

فلما بويع لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة وأن يمضي أسامة لما أُمر به، وكان ذلك بعد ارتداد العرب ومنعهم الزكاة، وحصل ذلك منهم في اليوم الذي بلغهم فيه وفاة رسول الله ﷺ وسيأتي ذلك مفصلاً في الجزء الخامس إن شاء الله؛ فخرج أسامة بالناس عند الخندق، ثم قال لعمر بن الخطاب: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه أن يأذن لي أن أرجع بالناس فإن معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وثقله المسلمين أن يتخطفهم المشركون.

وقالت الأنصار رضي الله عنهم: فإن أبى أبو بكر إلا أن يمضي الجيش فأبلغه منا السلام واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة. فقدم عمر على أبي بكر رضي الله عنهما وأخبره بما قال أسامة، فقال أبو بكر: والله لو تخطفني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ. قال عمر: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة. فوثب أبو بكر وكان جالساً بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه. فخرج عمر إلى الناس فقال أمضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله ﷺ خيراً.

فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى الجرف ليودع الجيش، وسار من

الجرف في هلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة تحت قيادة أسامة بن زيد رضي الله عنهما. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه سائراً إلى جانب أسامة ماشياً على قدمه وأسامة راكباً وعبد الله بن عوف يقود راحلته، ومكث أبو بكر رضي الله عنه نحو ساعة ماشياً على قدمه يودعه ويوصيه على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل؟ فقال: والله لستَ بنازل، ولستُ براكب، ثم قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك. ثم طلب منه أن يأذن لعمر بن الخطاب في التخلف، ففعل. وكان الجيش ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس.

فلما وصل أسامة رضي الله عنه إلى ابنى شن عليهم الغارة وفرق الناس وأحاط بهم من كل جانب. وكان شعارهم (يا منصور أمت) فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرق أرضها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد. وكان أسامة على فرس أبيه فَقَتَل قاتل أبيه رضي الله عنهما وأسهم للفرس سهمين وللفارس سهماً وأخذ لنفسه مثل ذلك، فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشراً إلى المدينة بسلامتهم، وخرج أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين والأنصار يتلقونهم وسروا بسلامتهم سروراً عظيماً، ودخل أسامة رضي الله عنه واللواء بين يديه حتى انتهى إلى باب المسجد ثم انصرف إلى بيته.

هذه سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما قد أكملناها هنا. وبما أنها لم تقع في حياة رسول الله ﷺ. فقد ذكرها المؤرخون في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، والذي دعاني إلى ذكرها هنا هو لكون أن رسول الله ﷺ هو الذي جيّش الجيش في حياته وأمرّ عليه أسامة بن زيد رضي الله عنهما وحرّض على غزوه في مرضه حسبما تقدم، فلذلك أتيت بها في القسم الأول من هذا المؤلف. وهذه السرية قد أجريت بهمة أبي بكر الصديق

رضي الله عنه رغماً عن الموقف الحرج الذي كان فيه أبو بكـر بعد وفـاة النبي ﷺ من ارتداد معظم قبائل العرب. وكان في بعث هذه السرية إقدام عظيم، وقوة إرادة فائقة، وسياسة نادرة، من أبي بكر الصـديق رضي الله عنه، وكانت هي أول عمل عمله في خلافته بعد عقد الخلافة له، ولم يكن لأحد مشاركـة معه في هـذا الإقدام العـظيم حتى ولا عمر بن الخـطاب رضي الله عنه.

وقد ظهر للملأ من غزو جيش أسامة الخير العظيم والفوائد الجمة للإسلام والمسلمين حيث قد نتج من بعث تلك السرية اشتهار كبير بين الناس دلّ على أن أصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لا يزالون في عز ومنعة وكان موقع ذلك أعظم عند كثير من قبائل العرب، لكونهم لما علموا بإرسال تلك السرية لم يرتدّوا عن الإسلام وقالوا: لولا قدرة أصحاب محمد ﷺ ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على إسـلامهم. وسيأتي تفصيل ذلك في الجزء الخامس.

ولما تولى عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه الخلافـة بعد أبي بكـر رضي الله عنه، كان إذا قابل أسامة رضي الله عنه قال: السلام عليك أيها الأمير. فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا. فيقول: لا أزال أدعوك ما عشت الأمير، مات رسول الله ﷺ وأنت علي أمير يقول ذلك عمر بن الخطاب وهو الخليفة العظيم لأسامة اعترافاً بالحقيقة وتقديراً للأعمال، وبياناً للواقع، ولم يستنكف من ذلك لكونه صار أمير المؤمنين أن يخاطب ابن مولى رسول الله ﷺ بالأمير، لأن تلك هي الحقيقة فقد ولاه رسول الله ﷺ عليه وعلى غيره من كبار المهاجرين والأنصار كما تقـدم، وهو ﷺ يعلم أن أسامة من أبناء المـوالي وأنّ في الجيش أعاظم رجـال الإسلام.

ولكن الغرض من ذلك هو (الديمقراطية) الإسلامية التي تساوي بين

الناس في كل شيء، وليريض نفوس أعـاظم الناس على تقـدير بعضهم بعضا، واحترام شخصياتهم، والرضوخ لأمر الآمر كيفما كانت شخصيته، وهذه الحادثة من ضمن الأسباب التي جعلت الإسلام يتقدم بمعتنقيه على غيرهم من الأمم، وجعلت تلك الأنوف الشـامخة من العـرب أن تخضع لسلطان الإسلام، وتلتف حول رايته وتسود على غيرهم من الأمم التي لا تملك من تلك المزايا شيئاً.

فلا تكون الأمة سعيدة قوية ما لم تحترم أميـرها، وتـوقر كبيـرها، وترحم صغيرهـا، وتواسي ضعيفهـا، وتعضد نـوابغها، وتقـدر أفاضلهـا، وتعطف على المنكوبين منها. اللهم أعد للإسلام مجـده، وألهم معتنقيه رشدهم، واعطف عليهم. ولُمَّ شملهم، واردُدْ عليهم إلفتهم، وأنزل عليهم عطفك، ورحمتك، وسعادتك، ورأفتك، إنك بالإجابة جدير وعلى ما تشاء قدير.

وهنا انتهت بهذه السرية عموم الغزوات والسريات والبعوث التي قام بها رسول الله ﷺ في حال حياته إلى آخر نسمة تنسمها قبل الوفاة فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.



الشمائل المحمدية
أسماؤه

ذكر أصحاب السير أن لرسول الله ﷺ أسماء كثيرة جداً وذلك من شأن الأعاظم تكثر أسماؤهم بسبب ما امتازوا بـه عن غيرهم من المـزايا الكريمة والصفات الحميدة ومكـارم الأخلاق المتعـددة، فمنهم من جعل أسماءه ﷺ تسعة وتسعين، وقال القاضي عياض، وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائـه الحسنى بنحو من ثـلاثين اسماً. وقـال ابن دحية: إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفت الثلاثمائة.

ونقل أبو بكر بن العربي[1] حافظ الأندلس عن بعض الصوفية قال: لله تعـالى ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم. وقال الحـافظ ابن القيم في زاد المعاد في أسماء رسول الله ﷺ: كلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال، فمنها (محمد) وهو أشهرها وبه سمي في التوراة صريحاً، والمقصود ان اسمه محمد في التـوراة صريحـاً يوافق عليـه كل عـالم من مؤمني أهل الكتـاب، ومنها (أحمـد)، وهو الاسم الـذي سماه بـه المسيـح، ومنهـا المتوكل، ومنها الماحي، والحاشر، والعـاقب، والمقفي، ونبي التوبـة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة، والفاتـح، والأمين، ويلحق بهذه الأسمـاء

---

(١) ونقل ابن العربي: في كتابه (الأحوذي شرح جامع الترمذي) ولـلإمام السيـوطي رسالة في الأسماء النبوية سماها البهجة السنية. والمقصود أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

الشاهد، والمبشر، والبشير، والنذير، والقاسم، والضحوك، والقتال، وعبد الله، والسراج المنير، وسيد ولد آم، وصاحب لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، وغير ذلك من الأسماء، لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم.

لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم وبين الوصف المشترك، فلا يكون له اسم يخصه. وقال جبير بن مطعم: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، والعاقب الذي ليس بعدي نبي، وأسماؤه ﷺ نوعان: أحدهما خاص لا يشركه فيه غيره من الرسل كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفي، ونبي الملحمة. والثاني ما يشركه في معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله فهو مختص بكماله دون أصله كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، وأما ما جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق، والمصدوق، والرؤوف، والرحيم، إلى أمثال ذلك. وفي هذا قال من قال من الناس: إن لله ألف إسم وللنبي ﷺ ألف اسم قاله أبو الخطاب بن دحية، ومقصوده الأوصاف. إنتهى.

وقال القسطلاني في المواهب: والمراد الأوصاف، فكل الأسماء التي وردت أوصاف مدح وإذا كان كذلك فله ﷺ من كل وصف اسم ثم قال: والذي رأيته في كلام شيخنا - يعني الحافظ السخاوي - في القول البديع، والقاضي عياض في الشفاء، وابن العربي في القبس والأحكام له، وابن سيد الناس، وغيرهم يزيد عن أربعمائة، وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم وهي: (أ) الأبر بالله، الأبطحي، أتقى الناس، الأجود، أجود الناس، الأحد، الأحسن، أحسن الناس، أحمد، أحيد، الآخذ

بالحجزات، آخذ الصدقات، الآخر، الأخشى لله، اذن خير، أرجح الناس عقلاً، أرحم الناس بالعباد، أشجع الناس. الأصدق في الله، الأزهر، وهو النير المشرق الوجه، أطيب الناس ريحاً، الأعـز، الأعلى، الأعلم بالله، أكثر الناس تبعاً، الأكرم، أكرم الناس، أكرم ولد آدم، المص، إمام الخير، إمـام الرسـل، إمام المتقين، إمـام النبيين، الإمام، الآمـر، الآمن، أمنة أصحابه، الأمين، الأمي، أنعم الله.

الأول: أول شافع، أول المسلمين، أول مشفع، أول المؤمنين، أول من تنشق عنه الأرض. (ب) البر، البار، البرهان، بشر، بشـرى عيسى، البشير، البصير، البليـغ، بالـغ، البينة. (ت) التـالي، التذكـرة، التقي، التنزيل، التهامي. (ث) ثاني اثنين. (ج) الجبار، الجد، الجواد، جامع. (ح) حاتم. حزب الله، الحاشر، الحافظ، الحاكم بما أراده الله، الحامد، حامد لـواء الحمد، الحـائد لأمتـه عن النار، الحبيب، حبيب الـرحمن، حبيب الله، الحجـازي، الحـريص على الإيمـان، الحسيب، الحـافظ، الحق، الحكيم، الحليم، حمـاد، حمـطايـا، حمعسق، حق، الحـد، الحنيـف، (خ) الخبير، خاتم النبيين، خاتم المرسلين، الخـاتم، الخازن لمال الله، الخاشع، الخاضع، الخالص، خطيب الأنبياء، خطيب الأمم، خطيب الوافدين على الله، الخليل، خليل الرحمن، خليل الله، الخليفة، خير الأنبياء، خير البرية، خير خلق الله، خير العالمين طرا، خير الناس، خيـر هذه الأمـة، خيـرة الله. (د) دار الحكمـة، الـداعي إلى الله، دتـوة إبراهيم، دعوة النبيين، دليل الخيرات. (ذ) الذاكر، الذكر، ذكر الله، ذو الحوض المورود، ذو الخلق العظيم، ذو الصراطالمستقيم، ذو القوة، ذو مكـانة، ذو عـزة، ذو فضل، ذو المعجـزات، ذو المقـام المحمـود، ذو الوصيلة. (ر) الراضغ، الراضي، الراغب، الرافع، راكب البراق، راكب البعير، راكب الجمل، راكب الناقة، راكب النجيب، الرحمة، رحمة الله، رحمة العالمين، رحمة مهداة، الرحيم، الرسول، رسول الرحمة، رسول

الـراحة، رسـول الله، رسول المـلاحم، الرشيـد، الرفيـع الذكـر، رافع الرتب، رفيع الدرجات، الرقيب، روح القدس، روح الحق، الرؤوف. ركن المتواضعين. (ز) الزاهد، زعيم الأنبياء، الزكي، الزمزمي، زين من أوفى القيامة. (س) السابق، السابق بالخيرات، سابق العرب، الساجد، سبيل الله، السراج المنير، السراط المستقيم، السعيـد، سعد الله، سعـد الخلائق، السميع، السلام، السيد، سيد ولد آدم، سيد المرسلين، سيد الناس، سيد الكونين، سيد الثقلين، سيف الله المسلول. (ش) الشارع، الشـافـع، الشـاكـر، الشـاهـد الشكـور، الشكـار، الشمس، الشهيـد. (ص) الصابر، الصاحب، صاحب الآيات، صاحب المعجزات، صاحب البرهان، صاحب البيان، صاحب التاج، صاحب الجهاد، صاحب الحجة، صاحب الحطيم، صاحب الحوض المـورود، صاحب الخـاتم، صاحب الخيـر، صـاحب العليـة الـرفيعـة، صـاحب الـرداء، صـاحب الأزواج الطاهرات، صاحب السجود للرب المعبـود، صاحب السـرايا، صـاحب السلطان، صاحب السيف، صاحب الشرع، صاحب الشفـاعة الكبـرى، صاحب العطايا، صاحب العلامات الباهرة، صـاحب العلو والدرجـات، صاحب الفضيلة، صاحب الفـرج، صاحب القضيب، صـاحب القضيب الأصفر، صاحب قول لا إله إلا الله، صاحب القدمخ، صاحب الكـوثر، صـاحب اللواء، صاحب المحشـر، صاحب المـدينة، صـاحب المغفر، صاحب المغنم، صاحب المعراج، صاحب المـظهر المشهـور، صاحب المقـام المحمود، صـاحب المنبر، صـاحب المئـزر، صـاحب النعلين، صاحب الهراوة، صاحب الوسيلة، الصادع بما أمر، الصادق، الصبـور، الصـدق، صراط الله. صـراط الـذين أنعمت عليم، الصـراط المستقيم، الصفـوح، الصفـوح عن الـزلات، الصفـوة، الصفي، الـصـالـح. (ض) الضارب بالحسام المتكوم، الضحاك، الضحكوك. (ط) طاب طاب، الطاهر، الطيب، طسّم، طس، طه، المطيب. (ظ) الظاهر، الظفور، (من

الظفر وهو الفوز)، (ع) العابد، العادل، العظيم، العاني، العاقب، العالم، علم الإيمان، علم اليقين، العالم بالحق، العامل، عبد الله العبد، العدل، العربي، العروة الوثقى، العزيز، العفو، العليم، العطوف، العلي، العلامة، عين العزى، عبد الكريم، عبد الجبار، عبد المجيد، عبد الحميد، عبد الوهاب، عبد القاهر، عبد الرحيم، عبد الخالق، عبد القادر، عبد المهيمن، عبد القدوس، عبد الغياث، عبد الرزاق، عبد السلام، عبد الغفار. (غ) الغالب، الغفور، الغني، الغني بالله، الغوث، المغيث، الغياث. (ف) الفاتح، الفارق، فارق، المفتاح، الفجر، الفرط، الفصيح، فضل الله، فواتح النور. (ق) القاسم، القاضي، القانت، قائد الخير، قائد الغر المحجلين، القائل، القائم، القتال، القتول، قثم، القثوم، قدم صدق، القرشي، القريب، القمر، القيم (ومعناه الجامع الكامل) وصوابه القثم، القوي. (ك) كافة الناس، الكفيل، الكامل في جميع أموره، الكريم، كهيعص. (ل) اللسان. (م) الماجد، ماذ ماذ، المؤمل، الماحي، المأمون، المانح، الماء، المعين، المبارك، المبتهل، المبرأ، المبشر، مبشر اليائسين، المبعوث بالحق، المبعوث، المبلغ، المبيح، المبين، المتين، المتبتل، المتبسم، المتربص، المترحم، المتضرع، اغلمتقي، المتلو عليه، المتهجد، المتوسط، المتوكل، المتثبت، مجاب، مجيب، المجتبى، المجبر، المحرض، المحرم، المحفوظ، المحلل، محمد، المحمود، المخبر، المختار، المخصوص بالشرف، المخصوص بالعز، المخصوص بالمجد، المخصوص، المدثّر، المدني، مدينة العلم، المذكور، المذكر، المرتضى، المرتل، المرسل، المرتجي، المرحوم، المرتفع الدرجات، المرء. (وهو الكامل المرؤة المزكي)، المزمل، المسيح، المستغفر، المستغني، المستقيم، المسرى به، المسعود، المسلّم، المسلْم، المشاور، المشفع، المشفوع، المشقح، المشهور، المشير، المصباح، المصارع، المصافح، مصحح

الحسنات، المصدوق، المصطفى، المصلح، المصلى عليه، المطاع، المطهر، المظهر، المطلع، المطيع، المظفر، المعزز، المعصوم، المعطي، المعقب، المعلم أمته، المعلم، المعلن، المعلى، المفضال، المفضل، المفتاح، مفتاح الجنة، المقتصد، المقتفي، المقدس، المقرىء، المقسط، المقسم، المقصوص عليه، المقفى، مقيل العثرات، مقيم السنة بعد الفترة، المكرم، المكتفي، المكفي، المكين، المكي، الملاحمي، ملقي القرآن، الممنوح، المنادي المنتظر، المنجي، المنذر، المنزل عليه، المُنْحَمِنّا. (قال القسطلاني معناه بالسرياني محمد). المنصف، المنصور، المنيب، المنير، المهاجر، المهتدي، المهدي، المهيمن، المؤتمن، المؤتي جوامع الكلم، الموحى إليه، الموصل، الموقر، المولى، المؤمن، المؤيد، الميسر، (ن) النابذ، الناجز، الناس، لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِدُونَ النَّاسَ﴾ المفسر به ﷺ، الناسخ، الناشر، الناصح، الناضر، الناطق بالحق، الناهي، نبي الأحمر، نبي الأسود، نبي التوبة، نبي الحرمين، نبي الراحة، نبي الرحمة، النبي الصالح، نبي الله، نبي المرحمة، نبي الملحمة، نبي الملاحم، النبي، النجم، النجم، الثاقب، نجي الله، النذير، النسيب، نصيح، ناصح، النعمة، نعمة الله، النقيب، النقي، النور، نور الأمم (أي الهادي لها). (هـ) الهادي، هدى، هدية الله، الهاشم. (و) الوجيه، الواسط، الواسع، الواصل، الواضع، الواعد، الواعظ، الورع، الوسيلة، الوفي، الوافي، ولي الفضل، الولي. (ي) اليثرب، يس.

هذا ما رواه القسطلاني في المواهب اللدنية وكنيته المشهورة (أبو القاسم) ويكنى (بأبي إبراهيم) وهذه الأسماء معظمها صفات، ولها معان تدل على إنها من صفاته ﷺ، وقد شرح بعضها القسطلاني في المواهب، وقد اكتفينا بما نقلناه حيث أن مقصدنا في هذا الكتاب الخلاصة لا الإسهاب، لأنه لو تمشينا على الإسهاب لطال البحث.

صفة خلقه
صلى الله عليه السلام

ورد في كثير من الأحاديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم صفته ﷺ وشمائله، فممن ورد عنهم عليّ بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، والبراء، وعائشة، وابن أبي هالة، وأبو جحيفة، وجابر بن سمرة، وأم معبد، وابن عباس، ومعرض بن معيقيب، وأبو الطفيل، والعداء بن خالد، وحذيم بن فاتك، وحكيم بن حزام، رضي الله عنهم أجمعين. وقد جعلت صفته ﷺ بين قوسين وشرحت بعض الصفات اللازم شرحها، وها هي ملخصة من روايات كثيرة عن متون ثابتة، وحفاظ عظام قديرين.

كان رسول الله ﷺ (ربعة) متوسطاً (من القوم ليس بالطويل البائن) الخارج في الطول عن حد الاعتدال (ولا بالقصير المتردد) الداني وليس بالأبيض الأمهق) الناصع البياض كلون البرص (ولا بالآدم) الأسمر (أزهر اللون) مشرقاً (أبيض مشرباً بحمرة، وسيماً، قسيماً) حسناً جميلاً (وفي عينيه دعَج) شدة سواد الحدقة (وفي بياضهما عروق حمر، أنجل) واسع العينين حسنهما (أهدب الأشفار) كثير الأهداب وهو الشعر النابت على حرف العين (أبلج) مشرق الوجه نقي الشعر بين الحاجبين (ازج الحواجب سوابغ من غير قرن) غزيز الحواجب مقوسهما مع طول فيها وغير مقرونة (بينهما عرق يدرُّه الغضب) يظهره (أقنى الأنف) في وسط الأنف اعتلاء بسيط (أفلج) متباعد ما بين الثنايا (أشنب) أبيض الفم نيّره (سهل الخدين) أملسهما ليس فيهما نتوء ولا انخفاض (مدوَّر الوجه، واسع الجبين، ظاهر الوضاءة) الحسن والجمال (معتدل الأجزاء ليس بمطهم) المنتفخ الوجه والفاحش السمن (ولا مكلثم) القصير الحنك، الناتىء الجبهة (كث اللحية تملأ صدره، عظيم الهامة رجل الشعر) مسترسل الشعر (كأنه مشط متكسر

قليلاً يبلغ مرة إلى منكبيه، ومرة إلى أصول أذنيه، ومرة إلى فروعهما، ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء يواريهن الدهن) أي أنه لا يتجاوز الشعر الأبيض العشرين شعرة ويسترهن بالدهن (في صوته صحل) بحة (وفي عنقه سطع) ضوء (كأنه جيد دمية) الصورة من العاج وهو سن الفيل (في صفاء الفضة، بادناً متماسكاً) ليس بعظيم الجسم ولا بالهزيل معتدلاً في العظم (ويفتر عن مثل سنا البرق) إذا ابتسم تبدو أسنانه مثل ضوء البرق من صفائها ونظافتها (أو عن مثل حبِّ الغمام) البَرَدُ (يخرج نور من بين ثناياه، إذا تكلم ثلألأ وجهه نوراً تلألؤ القمر ليلة البدر، وإن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل) سريع الفهم والإدراك (لا نذر ولا هذر) ليس بقليل الكلام ولا كثيره (كأن منطقه خرزات نظمن، دقيق المسربة) أي حبات الشعر التي في صدره (من لبته إلى سرته كالخط أو كالقضيب، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، سواء البطن والظهر) مستويهما (مسيح الصدر) أي مستويه (ضخم العظام، عبل) ضخم (العضدين والذراعين والأسافل) أي الفخذين والساقين (بعيد ما بين المنكبين، طويل الزندين، رحب الراحة) واسع الراحة (شثن الكفين والقدمين واسعهما) معناه أن فيهما غلظة وذلك محمود في الرجل (مسيح القدمين) أملسهما (ينبو عنهما الماء، إذا زال) أي مشى (زال تقلّعاً) أي إذا رفع رجله بقوة (ويخطو تكفؤاً) أي يميل إلى الأمام إذا مشى (ويمشي هونا، ذريع المشية) واسع الخطو (إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب) أي المكان المرتفع.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أنا لنجهد أنفسنا وإنه غير مكترث. نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، وإذا التفت التفت جميعاً، وإذا عرق انحدر مثل الجمان) أي حب اللؤلؤ (في رائحة المسك، من رآه بديهة هابه وفرق لرؤيته، ومن خالطه معرفة أحبه)،

يقول ناعته: (لم أر قبله ولا بعده مثله).

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: ما رأيت ذا لمة ـ الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن ـ سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ. كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك تلألأ وجهه كالبدر.

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: قال رجل كأن وجهه ﷺ مثل السيف ـ يقصد بريقه ـ فقال جابر: لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديراً.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما مَسَسْتُ ديباجاً ولا حريراً الينَ من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط كانت أطيب من رائحة رسول الله ﷺ. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينشد عند رؤيته:

أمين مصطفى بالخير يدعو ... كضوء البدر زايله الظلام

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لو لم يكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره يأتيك بالخبر

وقالت عائشة رضي الله عنها: بأبي وأمي أنت لو رآك الشاعر لعلم أنك أحق بقوله:

ومبرأ من كل غبّر حيضة ... وفساد مرضعة وداء معضل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كمثل البارق المتهلل

فهذا بعض ما ورد في صفة خلقه ﷺ عن إجلاء أصحابه من أهل بيته ومن المهاجرين والأنصار ملخصاً، ولو أردت أن أستوعب كل ما جاء في ذلك لضاق بنا المقام لأن ذلك يحتاج إلى أجزاء منفردة مستقلة.

أخلاقه
صلى الله عليه وسلم

كان ﷺ المصدر لمكارم الأخلاق، وقد أوردت في هذا الكتاب كثيراً من مكارم أخلاقه ﷺ في كثير من المواضع التي مرت بنا. وإليك ملخصاً بعض ما ورد في القرآن والحديث والسير، فقد جاء في القرآن المجيد ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ فكان ﷺ سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب. وكان ﷺ يمازح أصحابه وقال: «إن الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق من مزاحه». وقال بعض الصحابة: ما رأيت أحداً أكثر مزحاً من رسول الله ﷺ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت في النبي ﷺ دعابة.

وقال بعض السلف: كان للنبي مهابة، فكان يباسط الناس بالدعابة. وقال ﷺ لعمته صفية: «لا تدخل الجنة عجوز» فولّت، فقال لها وهو يضحك: «الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، فَجَعَلْنَاهُنَّ أبكاراً، عرباً أتْراباً﴾». وجاءه ﷺ رجل وطلب أن يحمله على بعير فقال له: «إني حاملك على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق»؟

وكان رجل من البادية يقال له (أزيهر) يهدي عند قدومه لرسول الله ﷺ الهدية فيجهزه رسول الله ﷺ عند خروجه، وكان يحبه، فجاء يوماً وهو يبيع متاعه في السوق وكان رجلاً دميماً فاحتضنه رسول الله ﷺ من خلفه، فقال أزيهر: أرسلني من هذا؟ وجعل رسول الله ﷺ يقول: «من يشتري العبد» فقال: يا رسول الله تجدني كاسداً. فقال رسول الله ﷺ: «ولكنك عند الله لست بكاسد».

وقالت عائشة رضي الله عنها: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره

وأنا جارية لم أحمل اللحم ـ أي لم أكن سمينة ـ فقال ﷺ للناس: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال لي: «تعاليْ حتى أسابقك» فسابقته فسبقته فسكت حتى إذا حملت اللحم ـ أي سمنت ـ وكنا في سفرة أخرى قال ﷺ للناس: «تقدموا» ثم قال لي: «تعاليْ حتى أسابقك» فسابقته فسبقني فجعل ﷺ يضحك وهو يقول: «هذه بتلك».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل ﷺ على أمي فوجد أخي أبا عمير حزيناً فقال: «يا أم سليم ما بال أبي عمير حزيناً»؟ فقالت: يا رسول الله مات نُغَيْره، تعني طيراً كان يلعب به، فقال ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل النغير»؟ وكان كلما رآه قال له ذلك. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ بخريزة طبختها فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها: كُلي فأبت فقلت: كلي أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي فيها فطليت وجهها فضحك ﷺ فأرخى فخذه لسودة وقال: «ألطخي وجهها» فلطخت وجهي فضحك النبي ﷺ. وقال يوماً لعائشة: «ما أكثر بياض عينيك». وكان ﷺ يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاثة: الرياء والإكبار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم ذواقاً، أي لا يذم ما يذوقه من طعام ولا يمدحه.

روى عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه عن رجل من العرب قال: زاحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فنفحني نفحة بسوط في يده، وقال: «بسم الله أوجعتني» قال فبت لنفسي لائماً أقول: أوجعت رسول الله ﷺ فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان؟ فانطلقت وأنا متخوف فقال لي رسول الله ﷺ: «إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني، فنفحتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها».

فكان من مكارم أخلاق رسول الله ﷺ أن يعطيه رغم تعديه عليه

ثمانين نعجة إرضاء له وجلباً لخاطره. ولما نزل قوله تعالى: ﴿خُذِ العَفوَ وأْمُرْ بِالعُرْف وَأعْرِضْ عنِ الجاهِلِينَ﴾ قال له جبريل عليه السلام: إن ربك عز وجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وفي الحديث: «لا ينال عبد صريح الإيمان حتى يكون كذلك» وكان ﷺ لا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق والمسئلة، لا يقطع على أحد حديثه، ولا يتكلم في غير حاجة، يعظم النعمة وإن دقت، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، وإنما يغضب إذا تعرض للحق بشيء، وعند غضبه لذلك لا يثنيه شيء عن الانتصار له، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده، ويسأل الناس عما الناس فيه، أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة، لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو نادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، عنده الناس في الحق سواء. مجلسه مجلس حلم وحياء، لا ترفع فيه الأصوات. ولا يتنازعون عنده الحديث، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير في غاية من السكون والوقار، وإذا تكلم عنده أحد انصتوا له حتى يفرغ من حديثه، يضحك مما يضحكون، ويعجب مما يعجبون.

وكان ﷺ دائم البشر، ضحوك السن، وقال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال» فكان متصفاً بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له، والانقياد لأمره، والشدة على أعدائه، والتواضع لأوليائه، ومواساة عباده، وإرادة الخير لهم والحرص على كمالهم، والاحتمال لأذاهم، والقيام بمصالحهم، وإرشادهم إلى ما يجمع لهم خيري الدنيا

والآخرة، مع التعفف عن أموالهم.

وكان ﷺ أشد الناس خشية وخوفاً من الله: قالت عائشة رضي الله عنها: أتاني رسول الله ﷺ ليلة فدخل معي في لحافي ثم قال: «ذريني أتعبد لربي» فقام ﷺ فتوضأ ثم قام فصلّى فبكى حتى سال دمعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال رضي الله عنه فآذنه بالصلاة. فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم عن ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم لا أفعل وقد أنزل الله تعالى عليَّ في هذه الليلة ﴿إنَّ في خَلقِ السّماوَاتِ وَالأرضِ وَاخْتلافِ الليْلِ والنّهَارِ لآيات لأولي الألْبَابِ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَاب النّار﴾ وما ضرب ﷺ بيده الشريفة امرأة ولا خادماً من أهله، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي في شيء صنعته لم صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا.

وقال أنس: أرسلني رسول الله ﷺ في حاجة يوماً فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أني أذهب فخرجت على صبيان يلعبون في السوق، وإذا رسول الله ﷺ قد قبض ثيابي من ورائي فنظرت إليه ﷺ وهو يضحك فقال: «يا أنيس اذهب حيث أمرتك» فقلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله.

وكان ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وأرجح الناس حلماً، وأعظم الناس عفواً، وأسخى الناس كفاً. وكان أجود بالخير من الريح المرسلة. وقال ﷺ يوماً لأصحابه وقد اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه الشريف فوقف ثم قال: «أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم» - وكان ذلك بالجعرانة في تقسيم غنائم حنين - وكان ﷺ أشجع الناس قلباً. وأشدهم بأساً، وأشد الناس حياء وكان أشد حياء من البنت البكر في خدرها، وكان إذا فرح غض طرفه، وإذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه على فيه،

وخفض صوته، وربما غطى وجهه بيده أو ثوبه. وكان يحب الفأل الحسن، ويغير الإسم القبيح بالحسن. وكان يشاور أصحابه في الأمور.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أكثر مشاورة للرجال من رسول الله ﷺ، فدل هذا على فائدة الاستشارة في كل شيء، فإذا كان رسول الله ﷺ الذي ينزل عليه الوحي من رب العزة جل جلاله وقال في حقه المولى جل وعلا: «﴿وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوىَ﴾ أكثر مشاورة للرجال، فما بالك بغيره مع أنه يجب على كل واحد من الناس إذا رابه أمر أن يستشير أهل الرأي، والعلم، والدراية، والاختصاص.

وإننا نرى كثيراً من أهل الغرور يرون الاستشارة حطة مع أن الاغترار بالنفس ضرب من الجنون والحماقة، لأن الاستشارة تفيد من وجهين:

الأول: إذا كان الإنسان متردداً بين أمرين فبالاستشارة يترجح عنده أحدهما.

والثاني: إنه إذا أراد عمل شيء يجهله كلياً فبالاستشارة من أرباب الاختصاص يعلم ما كان يجهله. وليس على المستشير أن يعمل بكل ما أُشير عليه، فلربما أن رأيه كان أصوب من المستشار، فبالاستشارة يظهر له أن رأيه كان أحسن وأولى ويكون قدومه على ذلك العمل بقدم ثابتة.

وكان ﷺ أكثر الناس إغضاء عن العورات. وكان وإذا كره شيئاً عرف في وجهه، ولم يشافه أحداً بمكروه، حتى إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقلل ما بال فلان يقول أو يفعل كذا، بل يقول ما بال أقوام يقولون أو يفعلون كذا. وكان لا يجزي بالسيئة السيئة وكان يعفو ويصفح. وكان ﷺ أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته إلا قال لبيك، يخالط أصحابه

ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره الشريف، فقد كان ﷺ يصف أولاد عمه العباس ﷺ وعبيد الله وغيرهما رضي الله عنهم ويقول: «من سبق إلي فله كذا» فيستبقون إليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم ويلتزمهم، ويجيب دعوة الحر والعبد، والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويشهد الجنائز، ويقبل عذر المعتذر. وما وضع أحد فمه في أذنه إلا استمر صاغياً له حتى يفرغ من حديثه ويذهب، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده منه حتى يكون الآخذ هو الذي يرسلها.

وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يُرَ قَطُّ مادّاً رجليه بين أصحابه، ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها إن أبى، ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم، ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وإذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي يتجوَّزُ فيها أي يخففها، وكان ﷺ أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالمينَ﴾.

وكان يقول ﷺ: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وكان يركب الحمار وربما ركبه عرياناً ويردف خلفه. وكان يجلس على الأرض، ويشرب قائماً وقاعداً، ويصلي منتعلاً وحافياً.

وكان ﷺ يحب التيامن في شأنه كله، وكان يحب السواك، وكان يكتحل بالأثمد، ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويخدم نفسه، ويعلف ناضحه ـ وهو الجمل الذي يسقي عليه الماء ـ ويقمُّ البيت ـ أي ينظفه من القمائم بنفسه ـ قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يعمل عمل البيت، وأكثر ما يعمل الخياطة، وما يرى فارغاً قط في بيته، إما يخصف نعلاً لرجل مسكين، أو يخيط ثوباً لأرملة. وكان يأكل مع

الخادم. ويحمل بضاعته من السوق، ويحب الطيب ويأمر به، وكان يتطيب بالمسك والغالية، ويتبخر بالعود والعنبر والكافور، ويأمر أصحابه بالمشي أمامه.

وكان زاهداً في الدنيا ما ترك درهماً ولا ديناراً، توفي ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير لنفقة عياله وقال ﷺ: «ما أبالي بما رددت به عني الجوع» ولم ينخل له ﷺ دقيق الشعير، قالت عائشة رضي الله عنها: والذي بعث محمداً بالحق ما رأى منخلاً، ولا أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله تعالى إلى أن قبض.

وقال ﷺ: «مالي وللدنيا!! إنما أنا في الدنيا كرجل سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفيء فتركها ولم يرجع إليها» وجاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز إلى النبي ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة، فقال ﷺ: «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام». قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان يمر هلال ثم لا يوقد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار لا الخبز ولا الطبخ. فقيل له: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ فقال بالأسودين الماء، والتمر. وقال ابن عباس رضي الله عنهما والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عشاء. وقالت عائشة رضي الله عنها: أهدى لنا أبو بكر شاة فإني لأقطعها مع رسول الله ﷺ في ظلمة البيت. فقال لها قائل: أما كان لكم سراج؟ فقالت: لو كان لنا ما نسرج به أكلناه. وذلك لأنهم كانوا يسرجون مصابحهم بالدهن. وكان ﷺ لا يجمع في بطنه بين طعامين، إن أكل لحماً لم يزد عليه، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه.

هذا بعض ما ورد في مكارم أخلاق رسول الله ﷺ، وحسن عشرته، وصبره، وملاطفته، ورايته، وتسامحه، وغير ذلك مما هو متصف به من

أجل الفضائل، قد لخصته من أصح المصادر حيث إن مكارم أخلاقه أكثر من أن تحصر؛ فعلم من ذلك أن رسول الله ﷺ كان لا يهمه من أمر الدنيا وملاذها شيء، ولا يكترث لبهجتها، ولا يتطلع إلى شنشنتها، وإنما كانت جهوده منحصره في دعوة الناس إلى الله تعالى، وجمع كلمتهم على توحيده، والنهوض بهم إلى سلوك سبيل الهدى والرشاد، وحثهم على مكارم الأخلاق التي عليها مدار سعادة الإنسان، والأخذ بأيديهم إلى أوج السعادة والارتقاء، وكم قد تحمل في سبيل التفاهم مع قومه، وأهله، وعشيرته، وبالأخص مع أولئك الأعراب الجفاة، ذوي الطباع الشاذة، والأفكار المتحجرة، والأدمغة الصلدة، والآراء المتباينة، والأخلاق المتنافرة، وكم قد صبر على جفائهم، وإيذائهم، ومقاطعتهم، وحروبهم، وغاراتهم، وغدرهم، إلى أن توصل بحكمته الباهرة إلى تعليمهم، وإصلاحهم، وإرشادهم، وتطهيرهم من ظلمات الشرك، والجهل، والغباوة، والمكر، والخديعة، والطغيان، حتى صار الرجل منهم بعد ذلك يفتدي دينه، ونبيه، وقومه، وأمته، ووطنه، ووحدته العربية، وجامعته الإسلامية، بكل ما أوتي من قوة، وبأعزّ عزيز لديه، وحتى بروحه ودمه، حيث قد فقهوا من تعاليمه ﷺ إن مقصده الوحيد والهدف الذي يرمي إليه هو توحيد المشرب النقي من كل غطرسة، وجمود، لأن يكونوا أمة واحدة، وعلى مبدأ واحد، كي يصونوا أنفسهم من كل ما يعتريهم من تعدي المعتدين على وطنهم، وأموالهم، وأنفسهم، وأهليهم بحيث يصيرون صفاً واحداً أمام من يريد استبعادهم، وإرهاقهم، فقد أبعدهم عن الشقاق والبغضاء، وكل ما كانوا فيه أيام جاهليتهم السحيقة.

إذ أن رسول الله ﷺ قد مثّل للعالم أجمع معنى مكارم الأخلاق على أجلى مظاهرها. وأظهر للملأ أنه القدوة لما فيه سعادة الدنيا والآخرة، فقد شرع لنا السياسة الحكيمة العادلة، والاجتماع القوي المصان من كل تفكك وتخاذل، ومكارم الأخلاق القويمة، وليس على الإنسان العاقل المريد

للخير إلا الاقتداء به ﷺ في كل أحواله، وأعماله، وأفعاله، وأخلاقه، حيث لا حياة، ولا سعادة، ولا راحة، للإنسان بغير مكارم الأخلاق الفاضلة، فالأخلاق هي الحية، وهي السعادة، وهي المجد، وهي السؤدد، وهي الفخار، وهي كل شيء، فلا تتبارى الأمم، والشعوب والقبائل، إلا بمكارم الأخلاق، فيها يتفاخرون، وبها يتفاضلون، وفيها يتنافسون، ومنها يغذون أرواحهم، وكل أمة متى فسدت أخلاقها[1] فمصيرها إلى الدمار، ويتكالب عليها التفكك، ويتألب عليها الخزي والخسران. وهذا ظاهر من حالة الأمم.

فالشقي منها من فسدت أخلاقه، والسعيد فيها من حاز على مكارم الأخلاق، ولذلك تجد تلك الشرذمة المنبوذة من الإنسانية والأخلاق الفاضلة، الذين سموا أنفسهم المشككين والمجددين للبذاءة ولكل حطة ورذيلة، فقد نبذوا الفضيلة ومكارم الأخلاق، إذ يرون في مكارم الأخلاق حطة، وفي الفضيلة خمولاً، وفي الآداب تأخراً، وفي البذاءة حرية، وفي التطاول على الأفاضل من الناس إقداماً، وفي التعرض للشخصيات جراءة، وفي الدناءة والتتبع لسفاسف الأمور بحثاً، وفي الجعجعة بلاغة، وفي الوقاحة تقدماً، وفي السخرية نقداً، ولا يخجلون من تسمية أنفسهم أنهم المجددون للآداب، ولو كانوا يملكون من العقل مثقال ذرة لعلموا أنهم هم المجددون للبذاءة الممقوتة، وللوقاحة المنبوذة، ولفساد الأخلاق المنحطة، ولفقهوا أنهم من نسل القردة المنسوبين إليها لتبرأت منهم إذ أنها تراهم أحط منها قدراً، وأعمق من الغباوة منها جهلاً، وتراهم بذلك فرحين، ومن

---

(١) كل أمة متى فسدت أخلاقها.
فتقدم كل أمة في مضمار حياتها على قدر ما تتحلى به من الأخلاق الفاضلة، وهي إلى الحضيض بتدهور تلك الأخلاق وحقاً ما قاله شوقي بك.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أحـوالهم الممقـوتـة عنـد ذوي العقـل مبتهجين، ومن مقت النـاس لهم مسرورين، لأنهم لا يسمعون، ولا يعقلون، ولا يفهمون، وهم في ظلمات الجهل يسبحون، صُمٌّ، بكمٌ، عميٌ، فهم لا يرجعون إلى الصواب ولا يعودون إلى رشدهم، حيث قد أصمّهم الله وأعمى أبصارهم: ﴿**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً**﴾، لأن شهوتهم البهيمية قد جعلت على أبصارهم غشاوة فلا يرون الأشياء إلا على عكسها، فالخير عندهم شر، والسعادة شقاء، والعلم جهل، والجهل علم، والتنطع فلسفة، والغباوة فقه، والثرثرة بلاغة، فمثلهم ﴿**كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث**﴾، وقد أصبح أمـرهم معلوماً عنـد كل من لـه مسكة من العقل.

ولـولا أننا رأينـا أن هنا بعض الشبيبـة الجاهليـة تميـل إلى آرائهم الممقوتة لما تعرضنا لبيان مذهبهم ومشربهم وما هم فيه من الزيغ والضلال والبذاءة والحطة، لأجل أن تظهر لهم حقيقتهم كي يكونوا على بصيرة من غوايتهم وليفروا منهم فـرار السليم من المجذوم ومن ذوي العـاهة، لأن المرض الذي أصاب عقولهم، وأفهامهم، وأخلاقهم، هو المرض العضال الذي لا يرجى شفاؤه ولا يبرأ منه إنسان أصيب به كمثل (السّل) إذا أصاب الرئة فلا يزال يسري منها على البدن ولا يفارقه حتى يورده حتفـه، والله الهادي إلى صراطه المستقيم.



أحواله صلى الله عليه وسلم الشخصية
شـرابـه
صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ أحوال شخصية في مأكله ومشربه وملبسه وغير ذلك، وهي تدل على عفافه وبعده عن زخارف الدنيا، فقد أتينا على شيء منها لإتمام الفائدة.

أما شرابه ﷺ فكان يستعذب له الماء وكان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان أحب الشراب إليه ﷺ الحلو البارد. وكان ﷺ يشرب اللبن خالصاً تارة، وتارة مشوباً بالماء البارد، وكان يتنفس في شرابه ثلاثاً ثلاثاً ويقول: إنه أروى وأمرى وأبرد. وكان تنفسه خارج الإناء، فإذا تنفس عاد إلى الشرب.

لبـاسـه
صلى الله عليه وسلم

قال القاضي عياض رحمه الله: كان ﷺ قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه، فكـان يلبس ما وجـده، فيلبس في غالب أحواله الشملة والكساء الخشن والأردية والأزر، ويقسِّم على من حضـره أقبية الديباج المخوصة بالـذهب ويرفـع لمن لم يحضر. وقـال ﷺ: «إن كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاوة ثوبه ورضاه باليسير» ورأى ﷺ رجلاً

وسخة ثيابه فقال: «أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه» فقد كانت سيرته ﷺ في ملبسه أتم وأنفع للبدن وأخفه عليه، فإنه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي حملها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر، والبرد، بل وسطاً بين ذلك وكان يدخل منها تحت حنكه. وكان ﷺ لم يطول أكمامه ويوسعها، بل كان كم قميصه إلى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل ولا يقصره عن هذا، وكان ذيل قميصه وردائه إلى أنصاف الساقين ولم يتجاوز الكعبين ولم يقصر عن عضلة ساقيه.

قال ابن القيم رحمه الله: وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، وعمائم كالأبراج، فلم يلبسها ﷺ هو ولا أحد من أصحابه، وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر، فإنها من جنس الخيلاء، انتهى. وكان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص والحبرة ـ والحبرة ضرب من البرود فيه حمرة ـ قال أبو رمثة: رأيت رسول الله ﷺ وعليه بردان أخضران. ولبس ﷺ جبة رومية ضيقة الكمين، ولبس ثوباً أبيض، وكان ﷺ يلبس الصوف، وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد» ورأى رسول الله ﷺ رجلاً عليه ثوب دون فقال له: «هل لك من مال»؟ قال: نعم. قال: «من أي المال»؟ قال: من كل ما أتى الله من الإبل، والشاء، قال: «فإذا أتاك الله مالاً فلير أثر نعمته عليك وكرامته» وقال ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» وفي هذا ما يدل على جواز لبس كل فاخر ونظيف من الثياب والأردية بل وعلى استحبابه لكل من يستطيع لبس الفاخر من أصحاب المال لقوله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

وأما النظافة فهي من الإيمان، وهي واجبة على كل مسلم أن ينظف بدنه وثيابه كيفما كانت حالته لأن النظافة لا تكلفه شيئاً من المال بل عليه غسل ثيابه وبدنه بالماء، وليس المراد بالتقشف هو الوساخة، فالوساخة

شيء والتقشف شيء آخر، حيث أن التقشف هو الزهد في ملاذ الدنيا وزخرفها، والتقشف بالأغنياء أولى من الفقراء، ولكن بشرط أن لا يكنزوا المال ويضنوا به على الفقراء، فشرط التقشف هو أن يزهد في ملاذ الدنيا ويجود بما في يديه من المال، على الفقراء وذوي الحاجة وعلى المدارس والملاجىء الخيرية وفي عموم وجوه البر والإحسان.

وإننا نرى كثيراً من الناس يضن بالمال ويبخل به على نفسه وأهله وأولاده، ويزعم أنه يريد بذلك التقشف مع أنه لا يريدإلا الشح المريع ويقضي حياته في حرمان ويموت غير مأسوف عليه من أهله وولده إذ يرون إن السعادة أتتهم بفقده. اللهم ألهمنا الرشد.

وكان ﷺ يلبس حلة حمراء. قال البراء بن عازب رضي الله عنه: ما رأيت أحداً من الناس أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ. قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمانية.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة. وقال عروة: إن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفود رداء أخضر في طول أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالدِّيباج وقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها. (رواه مسلم).

ولبس ﷺ خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم كان في يد

عثمان حتى وقع في بئر (أريس) رواه الشيخان. وأما السراويل ففي كون النبي ﷺ لبسها خلاف، وأما الخف فروى الترمذي عن بريدة أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما. وأهدى دحية النبي ﷺ خفين فلبسهما.

وأما النعل فقد لبسه النبي ﷺ. ففي البخاري أن نعل النبي ﷺ كان له قبالان ـ والقبالان هو السير الذي يكون بين الأصبعين ـ وقال ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها. وعن عمرو بن حريث قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مخصوفتين. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحب التيمن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره. قال ﷺ: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمني فإذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع».

فحاصل ما تقدم أن النبي ﷺ كان يلبس كل ما هو نظيف وموجود في عصره إلا ما كان من ذهب أو حرير فيما نهى عن لبسه للرجال. ولم يتقيد بنوع من أنواع اللباس أو شكل من الأشكال، فقد لبس كل ما جاءه من بلاد الروم، والقبط، والحبشة، وهذا لا يدل على التشبه بأهل الكفر، إذ أن الجواز شيء، والتّشبه بالفكرشيءآخر، وقد أدى الغرور ببعض المسلمين إلى التّزيي ببعض الإفرنج حتى إذا رأيته لا تظنه إلا انه من الإفرنج شكلاً، ومن المجاذيب عقلاً، وهو أشد سخرية عند الإفرنج أنفسهم إذ أنه زهد في أردية قومه وزيهم، وتزيّا بزيّ من هو منبوذ عندهم، وقد أصبح مُذَبْذَباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فــراشـــه
صلى الله عليه السلام

كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً حشوه الليف، قالت عائشة رضي الله عنها: دَخَلَتْ عَليَّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة متينة، فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوغ فدخل عليًّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا عائشة»؟ قالت: يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إليًّ بهذا، فقـال: «ردّيه يـا عائشـة فوالله لـو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة» قال عبد الله بن مسعـود رضي الله عنه: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه. قال عمر بن الخـطاب رضي الله عنه: دخلتُ على رسـول الله ﷺ وهـو على حصيـر فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنـا بقبضة من الشعيـر نحو الصـاع وإذا إهاب معلق فـابتـدرت عينـاي، فقال ﷺ: «ما يبكيك يا ابن الخطاب»؟ فقلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى، وقيصر، في الثمار، والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزائنك، قـال: «يا ابن الخـطاب أما تـرضى أن تكون لنـا الآخرة ولهم الدنيا».

قالت عائشة رضي الله عنها: كان لرسول الله ﷺ سرير مرمل بالبرد عليه كساء أسود وقد حشوناه بالبردى، وقالت رضي الله عنها: إنها كانت تفرض لرسول الله ﷺ عباءة مثنية طاقين، ففي بعض الليالي ربعتها فنام ﷺ عليها ثم قال ﷺ: «يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس كما يكون»؟ قلت: يا رسول الله ربعتها. قال: «فأعيديه كما كان» وكان يصلي ﷺ على الحصير وعلى الفروة المدبوغة.

وحاصل ذلك أن النبي ﷺ ما كـان يكترث بـالفراش ولا بملذات

الدنيا التي يحتفل بها الناس حتى في عصره، ولو أراد لافترش أفخر الرياش وأبهاها، وهذا شأن كبار النفوس، فإنك تجد من هو أقل رتبة من درجة الأنبياء لا يحفل بملاذ الدنيا ونعيمها مع القدرة على إيجاد كل ما يشتهي لأن تلك النفوس تطمح إلى ما هو أعلا من ذلك وأجل شأناً، تتطلع إلى ما ادخره الله لهم في الآخرة لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، وأين المتقون؟؟

معجزاته
صلى الله عليه وسلم

تقدم في سياق حياته ﷺ كثير مما وقع من المعجزات بحسب المقتضيات في مواضع شتى، وقد دوّن كثير من العلماء في المعجزات الأجزاء الضخمة، وإنما أردت أن آتي بشيء منها وفي مقدمتها (القرآن المجيد) المنزّل على رسول الله ﷺ من العزيز الحميد، فهو المعجزة الكبرى الذي مضى على إعجازه أربعة عشر قرناً، وهو الآن بين أيدينا، وإعجازه يتحدى كل ملحد، وناعق، ومكابر، وجاحد، وأرعن معاند.

فقد كتب كثير من العلماء قديماً وحديثاً في بيان أوجه إعجازه! وإليك بعض ما قاله القاضي عياض ملخصاً، قال القاضي رحمه الله: اعلم أن كتاب الله العزيز مُنطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

أولها: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يُخص به غيرهم من الأمم، وأُوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يفيد الألباب، جعل الله ذلك طبعاً وخلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة

بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، فيخطبون بديها في المقامات، وشديد الخطْبِ، ويرتَجزون به بين الطعن والضرب، يمدحون، ويقدحون، ويتوسلون، ويتوصلون، ويرفعون، ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل، فيحيرون الألباب، ويذللون الصعاب، ويذهبون الإحن، ويهيجون الدمن، ويجرؤون الجبان، ويبسطون في يد الجعد البنان، ويصيّرون الناقص كاملاً، ويتركون النبيه خاملاً، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجوهري، والمنزع القوي، ومنهم الحضري ذو البرغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القول القليل الكلفة، الكثير الرونق، الرقيق الحاشية، وكلا البابين له في البلاغة الحجة البالغة، والقوة الدامغة، والقدح الفالج، والمهيع الناهج، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم، إلى أن قال: فما راعهم إلا رسول كريم، بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أُحكمت آياته، وفصِّلت كلماته، بَهَرَت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل معقول، وتضافر إيجازه، وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه، ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مجالاً، وأشهر في الخطابة رجالاً، وأكثر في السجع والشعر ارتجالاً، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي يها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخاً بهم في كل حين، ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين، ﴿أَمْ يقولون افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلوا﴾ وقوله: ﴿قُلْ لئِن اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالجنُّ علىَ أنْ يَأْتُوا بِمثل هَذَا القُرآنِ لا يأتون بِمِثْلِهِ﴾ الآية ﴿قُلْ فَأتُوا بِعَشرِ سُوَرٍ مِثْلِه

مُفْتريات﴾ ولم يزل ﷺ يقرعهم أشد التقريع، ويوبخهم أشد التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، مخادعون أنفسهم بالتشغيب، والتكذيب، والاجتراء بالافتراء وقولهم: ﴿إن هذا إلاَّ سحرٌ يؤثر﴾، و﴿سحر مستمر﴾ و﴿إفك افتراه﴾، و﴿أساطير الأولين﴾، والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم: ﴿قلوبنا غلف﴾، و﴿في أكنة مما تدعونا إليه﴾، و﴿في إذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب﴾، ﴿ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾، والإدعاء مع العجز بقولهم: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾، وقد قال لهم الله ﴿وَلَنْ تَفْعَلوا﴾ فما فعلوا ولا قدروا.

ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فَلَمْ يَخْفَ على أهل الميزِ منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم بل ولّوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين، من بين مهتد وبين مفتون، هذا وقد أسلم كثير منهم عند بديهة سماعه، وسجد آخرّون، دهشة لقوته، وبكى أناس منهم فرقاً، واعترتهم روعة لمفاجأته، وكلهم ممن لم يفهم معناه ولا تفسيره، روي أن نصرانياً سمع قارئاً فوقف يبكي فقال: بكيت للشجا والنظم، وأن اعرابياً سمع قارئاً يتلو: ﴿فاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرَ﴾ فخر ساجداً وقال سجدت لفصاحته.

وأتى هنا بما تقدم في السيرة من سماع عتبة بن ربيعة وغيره للقرآن وإقرارهم بعجزهم ـ إلى أن قال: وأنت إذا تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصاصِ حَيَاةٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوتَ وَأُخذوا مِنَ مَكان قَريب﴾ وقوله: ﴿إِدْفَعْ بِالتي هِيَ أَحْسَن فَإِذَا الّذِي بَينَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَة كأَنَّهُ وَليٌّ حَميم﴾ وقوله: ﴿يا أَرْضُ ابلَعِي مَاءك ويَا سَماء أقلْعي﴾ الآية. وقوله: ﴿فَكُلًا أخذْنَا بِذنْبِهِ فَمِنْهُمْ منْ أَرْسَلْنا عَلَيهِ حَاصِباً﴾ الآية. وأشباهها من

الآي بل أكثر القرآن تحققت من إعجاز ألفاظها، وكثرة معانيها، وديباجة عبارتها، وحسن تأليف حروفها، وتلائم كلمها، وإنّ تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة، وفصولاً جمة، وعلوماً زواخر، وملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها، وكثرت المقالات في المستنبطات عنها، ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السالفة التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام، ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض، والتئآم سرده وتناصف وجهه كقصة يوسف على طولها، ثم إذا ترددت قصة اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها، وتناصف في الحسن وجه مقابلتها، ولا نفور للنفس من ترديدها، ولا معادات لمعادها.

الوجه الثاني: من إعجازه، صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب؛ المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفة مقاطع آيه، وانتهاء فواصل كلماته إليه، ولا يوجد قبله ولا بعده ولا نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر، أو نظم، أو سجع، أو رجز، أو شعر، ولهذا ما روي عن الوليد بن المغيرة وقد سئل عنه فقال: والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله لا يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. وقال عتبة بن ربيعة: يا قوم قد علمتم أني لا أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته وقلته، والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. ونحوه ما روي في إسلام أبي ذر رضي الله عنه ـ وقد تقدمت قصة إسلامه في الجزء الأول.

ثم قال (أي القاضي عياض): ومع ذلك فقد كانوا أحرص شيء على معارضته وإخفاء ظهوره، وإطفاء نوره، لقيام التحدي، فما جلوْا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم، ولا أتوا بنطفة من معين مياههم، مع طول الأمد، وكثرة العدد، وتظاهر الوالد وما ولد، بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا.

هذا وقد كانوا أعظم قرون الدنيا في الفصاحة، والبلاغة، وتوابعهما، وكان ذلك همتهم وقصاراهم ـ غاية أمرهم ـ فكانوا يجتمعون في مواسمهم ومجامعهم للتفاخر بالخطابة والشعر.

وهذا كما قالوا، إن الله سبحانه وتعالى لم يبعث رسولاً إلا جعل معجزاته بحسب الفن الذي يعظمه أهل زمانه، وبعث الله محمداً ﷺ وجملة معارف العرب وعلومها وهي أربعة: الخطب، والشعر، والخبر، والكهانة، فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فلم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه، وأخبر على الكوائن والأحداث ومخبآت الضمائر بما ظهر فيه صدقه، واعترف المخبر عنه بصحة ذلك وإن كان أعدى الأعادي. وأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً، ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم، وجاء من الأخبار عن القرون السالفة، وأنباء الأنبياء، والأمم البائدة والحوادث ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على ما سيأتي في الوجهين الآخرين.

الوجه الثالث: من إعجازه: على يد النبي ﷺ ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن يقع، فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر كإخباره عن الفتح وعن غلبة الروم، واستخلاف الله المؤمنين في الأرض وقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ويولُّون الدُّبُرَ. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ الله بِأَيْدِيكُمْ﴾ وغير ذلك من كشف أسرار المنافقين واليهود وهتك أستارهم، إلى غير ذلك مما أخبر به من الكوائن والأحداث في العصور الآتية.

ومن آيات ذلك أنه لم يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر، فيتجدد الإيمان، ويتظاهر البرهان، وليس الخبر كالعيان، والمشاهدة زيادة في اليقين، والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين، منها إلى علم اليقين، وإن كان كل واحد عندها حقاً، وسائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم

ذواتها، ومعجزة نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع، وآياته تجدد ولا تضمحل.

الوجه الرابع: من إعجازه: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة؛ مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، وقد علم أنه ﷺ أُمّي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثاقفة ـ أي مجالسة ـ وقد كان علماء الكتاب يقترحون عليه السؤآلات فينزل الوحي بأخبازهم كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان وابنه، وأشباه ذلك مما صدَّقه فيه علماء الكتاب وأذعنوا له، ولم يُحكَ عن أحد منهم مع شدة عداوتهم وحسدهم أنه كذبه في شيء من ذلك، ولا أظهر خلاف قوله من كتبه، ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه، قال تعالى: **﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ ويَعْفُوا عَنْ كَثِير﴾** إلى آخر ما ذكره القاضي عياض رحمه الله تعالى في (الشفاء).

ومن أراد الازدياد من ذلك فليراجع (الشفاء)، وقد اقتصرت على ما أخذته منه لضيق المقام ولأن القرآن موجود بين أيدينا بسوره، وآياته، وكلماته، وحروفه؛ لم يبدل فيه حرف واحد؛ ولا يحتاج إلى من يترجم عنه؛ فهو يثبت نفسه بنفسه، ولا يحتاج أيضاً إلى بيان وتوضيح، فهو من يوم أُنزل على نبينا محمد ﷺ إلى اليوم وإلى يوم القيامة معجزة ظاهرة محسوسة ملموسة.

وأما قول طاغية الإلحاد لتلاميذته: ضعوا القرآن أمامكم موضع الكتب العادية وانتقدوه بشجاعة: إلى آخر ما قال فقد تقدم الرد عليه وتبين فيه غاية ما وصل إليه ذلك الوغد الغبي من التعمق في هاوية الجهل إلى حد بعيد لم يصل إليه أحد غيره، وقد امتاز على أمثاله من الأغبياء بشدة التعمق من الجهل فليراجع في آخر الجزء الثالث. وقد اكتفيت بمعجزة

القرآن الذي هو بين أيدينا وإلى يوم القيامة معجزة ظاهرة.

ولكل باحث فهمه بقدر علمه، ولكل غبي جهله بقدر حماقته.

ومما يؤلم كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، أن بعض من يزعم أنه من حماة الإسلام أو سماه من على شاكلته، يحاول إنكار بعض ما جاء صريحاً في القرآن المجيد، وصحيحي البخاري ومسلم لإرضاء الماديين، والماديون لا يرضيهم إلا زوال الإسلام والكتاب المنزل على نبي الإسلام، وما صح عن نبي الإسلام من تعاليم وشرائع وحكم وإصلاح، وتراهم في مذهبهم المادي أثبت من أولئك الذين سموا أنفسهم زعماء للإسلام فلو كانوا زعماء للإسلام كما يزعمون لوجدوا في القرآن ما يدحض حجج الماديين وغيرهم ولقنعوا من حالة الماديين بكونهم كلما أسسوا نظرية هدموها بأنفسهم بنظرية أخرى وهم من يوم خلقت الدنيا إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة على هذا الحال.

وإني أذكِّر القارىء بنظريتهم التي أسسوها في العصر الحالي في أصل الإنسان وكونه تناسل من القردة ثم ما لبثوا أن هدموا ما أسسوه في ذلك بأنفسهم وقالوا إن العلم أبان لهم فسادها، وذلك بعد أن سمموا بنظريتهم الفاسدة أفكار قسم عظيم من العصريين وبالأخص ممن تربع في بعض المدن الإسلامية على كراسي التدريس.

وليس الذنب ذنب الماديين، بل هو ذنب المخدوعين من المسلمين بكل ما جاءهم عن الغرب من غث وسمين، وتقليدهم في ذلك تقليداً أعمى، حيث لم يكن عن تبصر وتدبر، وذلك لأجل أن لا يرميهم الماديون بالجمود والتعصب لدين الإسلام، فأصبحوا بذلك أغبياء حمقى من حيث لا يشعرون، فلو أنهم كانوا على هدى من ربهم ورحمة، لأجهدوا أنفسهم في فهم القرآن المجيد، وما جاء فيه من حكم وتعاليم وتمدن وعمران وتحليل المادة، ثم أرشدوا تلامذتهم أو من يعتقد فيهم الفهم وقوة الإدراك

وسلكوا بهم سبيل الهدى والرشاد ولكن ﴿من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له﴾ والله ولي التوفيق.

أولاده
صلى الله عليه وسلم

فقد تقدم ذكر أولاده من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في الجزء الأول من هذا الكتاب وكلهم ولدوا بمكة، وأما إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقد ولد بالمدينة من مارية القبطية، وكانت ولادته في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية في المحل الذي يقال له اليوم مشربة إبراهيم بالقف، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبي ﷺ امرأة أبي رافع، فبشر به أبو رافع النبي ﷺ فوهب له عبداً، فلما كان سابعه عقّ عنه بكبش[1]، وحلق رأسه، حلقه أبو هند، وسماه يومئذ، وتصدق بوزن شعره وَرِقاً أي فضة على المساكين، وأخذوا شعره فدفنوه في الأرض، وتنافس الأنصار فيمن يرضعه وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي ﷺ لما يعلمون من هواه فيها، وكانت لرسول الله ﷺ قطعة من ضأن ترعى بالقف، ولقاح بذي الجدر تروح عليها فكانت تؤتى بلبنها كل ليلة فتشرب منه وتسقي ابنها، فجاءت أم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري زوجة البراء بن أوس فكلمت رسول الله ﷺ في أن ترضعه، فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار وترجع به إلى أمه، وأعطى رسول الله ﷺ أم بردة قطعة من نخل فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زمعة، وتوفي إبراهيم في بني مازن عند أم بردة وحمل من بيتها على سرير صغير بعد أن غسلته أم بردة وصلى عليه رسول الله ﷺ بالبقيع

---

(١) بكبش، وفي المواهب بكبشين، وعليه يحتمل تعدد الذبح، فمن حضر أخبر بالتعدد ومن لا فأخبر بخلافه.

وقال: «ندفنه عند فرطنا[1] عثمان بن مظعون».

قال أنس بن مالك رضي الله عنه في موت إبراهيم: فدمعت عينا النبي ﷺ فقال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون» وتوفي إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً. ووافق موته كسوف الشمس، فقال قوم: إن الشمس انكسفت لموته، فخطبهم رسول الله ﷺ فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة».

هذا ملخص من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر.

أزواجه الطاهرات صلى الله عليه وسلم

تزوج رسول الله ﷺ إحدى عشرة امرأة، ست من قريش وهن: خديجة بنت خوَيلد، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، وأربع عربيات وهن: زينب بنت جحش بن رهيَاب، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت خزاعة الهلالية أم المساكين، وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية. وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من يهود بني النضير. ومات منهن عند رسول الله ﷺ وفي عصمته اثنتان: خديجة، وزينب أم المساكين.

---

(١) فرطنا: متقدمنا وفي مختصر سيرة الرسول ﷺ للعلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ الإمام العلامة محمد عبد الوهاب، قال: إن أول قبر رش وعلم بعلامة هو قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

ومات ﷺ عن التسع الباقيات، وقد ذكر أسماءهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسي نظماً فقال:

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة، ميمونة، وصفية، ... وحفصة، تتلوهن هند، وزينب
جويرية، مع رملة، ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

فأول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ منهن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت كما تقدم تفصيل ذلك في الجزء الأول.

ثم سودة بنت زمعة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأمها الشموس بنت قيس، وقد تقدم في الجزء الأول ذكر زواجه بها ﷺ. ولما كبرت سودة أراد ﷺ طلاقها فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها إلى أن توفي ﷺ عنها وكانت تضحكه أحياناً. فقالت سودة مرة لرسول الله ﷺ: صليت خلفك الليلة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم: فضحك ـ تريد بذلك أنه أطال الركوع بها حتى ظنت من إطالته سيخرج الدم من أنفها ـ وتوفيت في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرج ابن سعد أن عمر بعث إلى سودة بغرارة من دراهم فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم قالت: في غرارة مثل التمر؟ ففرقتها رضي الله عنها.

ثم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقد تقدم ذكر زواجها برسول الله ﷺ وأنه لم يتزوج بكراً غيرها في الجزء الأول، وكانت مدة مقامها معه ﷺ تسع سنين. ومات عنها ولها من العمر ثماني عشرة سنة. وكانت فقهية عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ، عارفة بأيام العرب وأشعارها.

وروى عنها جماعة كثيرة من الصحابة(١) والتابعين وكان ﷺ يقدم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة لما وهبت ليلتها لعائشة، وكانت تكنى أم عبد الله ولم تلد قط وإنما كنيت بعبد الله بن الزبير لأن النبي ﷺ تفل في فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله، قالت: فما زلت أكنى بها. ماتت بالمدينة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة. وأوصت(٢) أن تدفن بالبقيع ليلاً، وصلى عليها أبو هريرة: وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي سفيان.

ثم حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمها زينب بن مظعون فأسلمت وهاجرت، وكانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند خنيس بن حذافة، وكان ممن شهد بدراً ومات بالمدينة، فانقضت عدتها فعرضها عمر على أبي بكر الصديق فسكت فعرضها على عثمان بن عفان حين ماتت رقية بنت النبي ﷺ فقال: ما أريد أن أتزوج اليوم فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة» فلقي أبو بكر عمر فقال: لا تجد علي فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة فلم أكن أفشي رسول الله ﷺ ولو تركها لتزوجتها. وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بعد عائشة سنة ثلاث، وكانت ولادتها قبل المبعث بخمس سنين فيكون سنها حين تزوجها رسول الله ﷺ إحدى وعشرين سنة، وقد طلقها رسول الله ﷺ تطليقة ثم أمر أن يراجعها فراجعها.

---

(١) من الصحابة: كعمر وابنه وأبي هريرة وأبي موسى وزيد بن خالد، ومن التابعين ابن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمة بن قيس.

(٢) وأوصت: ابن أختها عروة فقالت له: إذا أنا مت فادفني مع صواحبي بالبقيع.

أوصى عمر إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بما أوصى به إليها عمر؛ وبصدقة تصدقت بها بالغابة. وماتت هي سنة خمس وأربعين ولها من العمر ثلاث وستون سنة، وحمل جنازتها أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما ومروان بن الحكم وكان أمير المدينة من قبل معاوية رضي الله عنه ورضي عنها.

ثم أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي؛ واسم أبيها حذيفة ويلقب بزاد الراكب لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد بل يكفي رفقته من الزاد، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكناني من بني فراس، وكانت قبل أن تتزوج برسول الله ﷺ زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة، فمات عنها فتزوجها النبي ﷺ في جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة، وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر، ودرة، وزينب.

قالت أُم سلمى رضي الله عنها: لما انقضت عدة أم سلمة خطبها أبو بكر فلم تتزوجه فبعث النبي ﷺ يخطبها عليه فقالت: أخبر رسول الله ﷺ أني إمرأة غيرى وأني امرأة مصبية[1] وليس أحد من أوليائي شاهداً. فقال ﷺ: «قل لها أما قولك غيرى فسأدعو الله فتذهب غيرتك وأما قولك إني امرأة مصبية فستكفين صبيانك، وأما قولك ليس من أوليائي شاهد فليس أحد من أوليائك شاهد أو غائب يكره ذلك» فقالت لابنها عمر[2] قم

---

(١) مصبية: بضم الميم وسكون المهملة وكسر الموحدة وخفة التحتية أي ذات صبية ذكور وإناث.

(٢) فقالت لابنها عمر: فيه دلالة لمن يقول بتزويج الابن أمه بالبنوة وأجيب عنه من =

فزوج رسول الله ﷺ، فزوّجه. وكانت أُم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب، وإشارتها على رسول الله ﷺ يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها[1]، ماتت رضي الله عنها سنة ثلاث[2] وستين من الهجرة وكانت آخر أمهات المؤمنين موتاً وصلى عليها أبو هريرة، أو سعيد بن زيد، رضي الله عنهما ودفنت بالبقيع، وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة، رضي الله عنها، وكان سنها حين تزوجها رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة.

ثم أُم حبيبة[3] أم المؤمنين رسول الله ﷺ عنها بنت أبي سفيان، وأمها صفية بنت أبي العاص، وقد تقدم ذكر زواجها على رسول الله ﷺ. وكان خطبها بواسطة النجاشي بالحبشة، قالت عائشة رضي الله عنها: دعتني أُم حبيبة عند موتها: فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فتحللينني من ذلك؟ فحللتها واستغفرت لها، فقالت: سررتني سرَّك الله.

= طرف المانع بأنه زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها وهذا على القول ببلوغه وإلا فهو صغير يومئذ لأنه ولد بأرض الحبشة للسنة الثانية من الهجرة وزواج النبي ﷺ بأمه كان في الرابعة. قال في المواهب: والحق أنه ﷺ تزوجها من نفسه بلا ولي كما هو من خصوصياته، وقبله من ابنها صورة تطييباً لخاطرهما وبذلك جزم السيوطي في خصائصه فقال: وقال لأم سلمة مري ابنك أن يزوجك فزوجها وهو يومئذ صغير لم يبلغ اهـ وفي زاد المعاد قال ابن عقيل: ظاهر كلام أحمد أن النبي ﷺ لا يشترط في نكاحه الولي وأن ذلك من خصائصه.

(١) صواب رأيها: قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة.

(٢) ثلاث وستين: قال في التقريب والأصح أنها ماتت سنة اثنتين وستين وقال الواقدي سنة تسع وخمسين وقيل سنة إحدى وستين وقوله (أو سعيد بن زيد) فيه أن سعيداً مات سنة خمس أو إحدى أو إثنين وخمسين فيلزم منه أنها ماتت قبله وليس كذلك بالإتفاق.

(٣) أم حبيبة: واسمها رملة بفتح الراء وكنيت بابنتها من عبيد الله ابن جحش.

وأرسلت إلى أم سلمة بمثل ذلك، وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين رضي الله عنها، فهؤلاء أمهات المؤمنين الست القرشيات رضي الله عنهن أجمعين.

ثم من العربيات أم المؤمنين زينب بنت جحش وهي ابنة عمة النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول الله ﷺ زوَّجها من زيد بن حارثة مولاه فمكثت عنده مدة ثم طلقها فلما انقضت عدتها منه قال ﷺ لزيد بن حارثة: «اذهب فاذكرني لها» قال زيد: فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب بعث رسول الله ﷺ يذكرك. فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى يأمر ربي عز وجل. فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن وقال المنافقون: حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية. وكانت زينب تفتخر[1] على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات. وكان اسمها (برة)[2] فسماها رسول الله ﷺ زينب.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكم لحاقاً بي أطولكن يداً» قالت فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ، نمد أيدينا في الجدار نتظاول؛ فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صناع اليدين فكانت تدبغ

---

(١) تفتخر: وليس هذا الفخر من المنهي عنه بل هو من التحدث بنعمة الله تعالى.

(٢) برة: سماها زينب لأنه كان يحب الفأل الحسن، كراهة أن يقال خرج من عند برة أو ما هنا برة.

وتخرز وتتصدق به في سبيل الله. وقالت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقسم مما أفاء الله عليه في رهط من المهاجرين فتكلمت زينب فانتهرها عمر فقال رسول الله ﷺ: «خل عنها يا عمر فإنها أواهة»[1]. تزوجها النبي سنة ثلاث من الهجرة ونزلت بسببها آية الحجاب وقد وصفت عائشة رضي الله عنها زينب بالوصف الجميل في قصة الإفك وأن الله عصمها بالورع، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، ولم تكن امرأة خيراً منها في الدين، وأتقى لله تعالى وأصدق حديثاً وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد تبذلاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به، وتتقرب به إلى الله عز وجل.

قالت زينب حين حضرتها الوفاة: إني أعددت كفني وإن عمر سيبعث إليّ بكفن فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي فافعلوا. قالت عمرة: بعث عمر بخمسة أثواب بخرها ثوباً ثوباً من الحراني فكفنت منها، وتصدَّقت عنها أختها حمنة بكفنها الذي كانت أعدته. وكان عطاء زينب اثني عشر ألفاً لم تأخذه إلا عاماً واحداً، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر فقال: هذه امرأة بر أو بها خير فوقف عليها وأرسل بالسلام وقال: بلغني ما فرقت، فأرسلَ بألف درهم تستبقيها، فسلكت به ذلك المسلك. تزوجها النبي ﷺ وهي بنت خمس وثلاثين سنة، وماتت سنة عشرين بالمدينة وهي بنت ثلاث وخمسين سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وهي أول[2] من جعل على جنازتها نعش، وأول من مات بعد رسول الله ﷺ من أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنها.

---

(١) أواهة: الأواه الخاشع المتضرع.

(٢) وهي أول: هذه الأولوية بالنسبة للأزواج وأما الحقيقة فالسيدة فاطمة رضي الله عنها.

ثم أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم وتتصدق عليهم[1]، وكانت تحت عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد، وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، فتزوجها النبي ﷺ، وكان دخوله عليها بعد دخوله على حفصة بنت عمر في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، فأقامت عنده ثمانية أشهر وماتت[2] في ربيع الآخر سنة أربع من الهجرة، ولها من العمر ثلاثون سنة رضي الله عنها.

ثم أم المؤمنين ميمونة[3] رضي الله عنها بنت الحارث الهلالية، وأمها هند بنت عوف بن زهير، وقد تقدم ذكر زواجها برسول الله ﷺ في عمرة القضاء.

ثم أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب الخزاعية المصطلقية، لما غزا النبي ﷺ بني المصطلق غزوة المويسيع سنة خمس وسباهم وقعت جويرية. وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبته[4] على نفسها. قالت عائشة رضي الله: وكانت إمرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فما هي إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت، فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من

---

(١) تتصدق عليهم: وأولى في الإسلام.

(٢) وماتت: أي ولم يمت عنده ﷺ إلا هي وخديجة على القول بأن ريحانة كانت سرية لا زوجة.

(٣) ميمونة رضي الله عنها: توفيت سنة إحدى وخمسين وقبرها معروف بين التنعيم ووادي فاطمة يمر به الناس لأنه يسار الذاهب إلى الوادي.

(٤) فكاتبته: أي على تسع أواق من ذهب.

البلايا ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي؟ فقال ﷺ: «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك»؟ فقالت: نعم، ففعل ذلك، فبلغ الناس أنه قد تزوجها فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها. فجاءها أبوها فقال للنبي ﷺ إن بنتي لا يسبى مثلها فخل سبيلها؟ فقال له ﷺ: أرأيت إن خيَّرتها أليس قد أحسنت»؟ قال: بلى، فأتاها أبوها فذكر لها فقالت: اخترت الله ورسوله، وكان اسمها (برة) فسماها رسول الله ﷺ جويرية، فلما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها وقسم لها، وكانت ابنة عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين من الهجرة وعمرها خمس وستون سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم[1].

ثم أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب النضيري رضي الله عنها، ويمتُّ نسبها إلى لاوي بن يعقوب عليه السلام، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام. وقد تقدم ذكر زواجها على النبي ﷺ في فتح خيبر في الجزء الثالث من هذا الكتاب، ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أنزل صفية في بيت الحارث بن النعمان، فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها وجاءت عائشة رضي الله عنها متنقبة، فلما خرجت خرج النبي ﷺ على أثرها فقال: «كيف رأيت يا عائشة»؟ قالت: «رأيت يهودية. فقال ﷺ: «لا تقولي ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها» وكان في أذن صفية خوصة من ذهب فوهبت منه لفاطمة رضي الله عنها والنساء معها.

قالت صفية رضي الله عنها: دخل عليَّ النبي ﷺ وقد بلغني عن عائشة، وحفصة، كلاماً فذكرت له ذلك فقال: «ألا قلتِ: وكيف تكونان

---

(١) مروانءالحكم: وهو أمير المدينة.

خيراً مني؟ وزوجي محمد وأبي هارون وعمى موسى» والذي بلغها أنهما قالتا نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها نحن أزواجه وبنات عمه. وكانت صفية عاقلة حليمة فاضلة. كانت لها جارية أتت عمر رضي الله عنه فقالت إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعث إليها عمر فسألها عن ذلك، فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان، قالت: اذهبي فأنت حرة. قال زيد بن أسلم: اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه واجتمع إليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي فغمزن أزواجه ببصرهن، فقال ﷺ: «مضمضن» فقلن: من أي شيء: فقال: «من تغامزكن بها والله إنها لصادقة» توفيت سنة خمسين من الهجرة رضي الله عنها ودفنت بالبقيع.

فهؤلاء أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر. وقد ذكر أنه ﷺ تزوج نسوة غير هؤلاء وهن اثنتا عشرة امرأة.

الأولى: (أم شريك) واسمها غَزَيّة. وهبت نفسها للنبي ﷺ وهل دخل بها أم لا، فيه خلاف بين أهل الأثر من المحدثين.

الثانية: (خولة) بنت الهذيل بن هبيرة، تزوجها ﷺ قبل أن تصل إليه.

الثالثة: (عمرة بنت يزيد بن عبيد بن أوس الكلابية) تزوجها ﷺ فتعوذت منه حين أُدخلت عليه فقال لها: «لقد عذت بمعاذ» فطلقها وأمر أُسامة بن زيد فمتَّعها بثلاثة أثواب.

الرابعة: (أسماء) بنت النعمان بن الجون الكِندية الجونية، تزوجها

رسول الله ﷺ وطلَّقها قبل أن يدخل بها، وسبب طلاقها فيه خلاف[1].

الخامسة: (مليكة) بنت كعب الليثية، تزوجها ﷺ، ودخوله بها وسبب طلاقها فيه خلاف[2].

السادسة: (فاطمة) بنت الضحاك بن سفيان الكلابية تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة ابنته زينب وخيَّرها حين نزلت آية التخيير[3] فاختارت الدنيا ففارقها.

السابعة: (عالية) بنت ظِبْيَان بن عمرو بن عوف، تزوجها ﷺ وكانت عنده ما شاء ثم طلقها.

الثامنة: (قُتَيْلة) بنت قيس أخت الأشعث بن قيس الكندي، زوّج النبي ﷺ إياها أخوها في سنة عشر ثم انصرف إلى حضرموت فحملها فقبض ﷺ قبل قدومها، فأوصى بأن تخيَّر فإن شاءت، ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر فقال: هممت أن أحرق عليها بيتها، فقال عمر رضي الله عنهما ما هي من أمهات المؤمنين ما دخل بها رسول الله ﷺ ولا ضرب عليها الحجاب.

التاسعة: (سنا) بنت أسماء بن الصلت السلمية، تزوجها رسول الله ﷺ فماتت قبل أن يدخل بها، وسبب موتها أنه لما بلغها بأن النبي ﷺ تزوجها سرت بذلك حتى ماتت من الفرح.

---

(١) فيه خلاف: قال قتادة وأبو عبيدة إنه ﷺ لما دعاها قالت: تعال أنت، ولم تجيء. وقال بعضهم: قالت أعوذ بالله منك فقال: عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني، وقيل أن نساءه علمنها ذلك ـ ينظر المواهب.

(٢) فيه خلاف: قال في المواهب قال بعضهم هي التي استعاذت منه ﷺ وقيل دخل بها وماتت عنده والأول أصح ومنهم من ينكر تزويجه بها أصلاً.

(٣) آلة التخيير: هي (يا أيها النبي قل لأزواجك) إلى تمام الآيتين.

العاشرة: (سنا) بنت سفيان الكلابية، تزوجها النبي ولم يدخل بها.

الحادية عشرة: (شرف) بنت خليفة الكلبية أخت دحية بن خليفة الكلبي، تزوجها ﷺ فماتت قبل دخوله عليها.

الثانية عشرة: (ليلى) بنت الخِطَيم أُخت قيس الظفرية الأنصارية، أقبلت على النبي ﷺ فقالت: أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك أعرض عليك فتزوجني؟ قال: «قد فعلت» ورجعت إلى قومها فقالوا: بئس ما صنعت أنت امرأة غيرى وهو صاحب نساء فارجعي فاستقيليه فرجعت فقالت: أقلني، قال: «قد فعلت».

فهؤلاء (الإثنتا عشرة) امرأة اللواتي تزوجهن رسول الله ﷺ ولم يدخل على أغلبهن. وقد ورد أنه ﷺ خطب عدة نسوة ولم يعقد عليهن:

الأولى: منهن امرأة[1] من بني مرة بن عوف بن سعد، خطبها ﷺ إلى أبيها فقال: إن بها برصاً وهو كاذب، فأُصيبت بالبرص.

الثانية: امرأة يقال لها (سودة) خطبها ﷺ وكانت مصبية[2] فقالت: أخاف أن تضغوا صبيتي - أي يصيحوا ويبكوا - عند رأسك فدعا لها وتركها.

الثالثة: (صفية) بنت نشامة، كان أصابها فخيّرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها.

الرابعة: (أُم هاني) واسمها فاختة[3] بنت أبي طالب أُخت علي رضي الله عنهما خطبها ﷺ فقالت: إني إمرأة مصبية واعتذرت إليه فعذرها.

---

(١) امرأة: اختلف في اسمها جمرة وقيل قرصافة. ويقال أمامة.

(٢) مصبية: لها خمسة أو ستة من البنين وقوله (تضغوا) بضاد وغين معجمتين.

(٣) فاختة: على الأشهر، وقيل فاطمة.

الخامسة: (ضباعة) بنت عامر بن قرط، خطبها ﷺ إلى ابنها سلمة بن هشام فقال: حتى استأمرها فقيل للنبي ﷺ إنها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد أذنت له سكت له ﷺ ولم ينكحها.

السادسة: (أُمامة) بنت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عرضت عليه ﷺ فقال: «هي ابنة أخي من الرضاعة».

السابعة: (عزة) بنت أبي سفيان بن حرب عرضتها أُختها أم حبيبة عليه ﷺ فقال لها: «إنها لا تحل لي» لمكان أُختها أُم حبيبة.

فهؤلاء سبعة نساء خطبهن أو عرضن عليه ﷺ، ولم يعقد عليهن ولم تدخل في عصمته منهن واحدة.

سراريه[1]
صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ من السراري أربع، ولم يكن له شغف على التسري بالإماء.

الأولى منهن: مارية القبطية[2] بنت شمعون، أهداها له المقوقس كما

(١) سرارية: بخفة الياء وشدها، جمع سرية بضم السين وكسر الراء المشددة ثم تحتية مشددة وأصله من السر وهو من أسماء الجماع سميت بذلك لأنها يكتم أمرها عن الزوجة غالباً.

(٢) القبطية: نسبة إلى القبط نصارى مصر وكانت بيضاء جميلة، وقوله المقوقس هو صاحب مصر والإسكندرية وأهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له مابور وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوباً ليناً من قباطي مصر وبغلة شهباء وحماراً أشهب وعسلاً من عسل بنها أما أختها سيرين فوهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان.

تقدم فتسرى بها ﷺ فولدت له إبراهيم بن النبي ﷺ وماتت مارية في خلافة عمر رضي الله عنها سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع.

الثانية: ريحانة بنت شمعون من بني قريظة، وماتت قبل وفاته ﷺ حين مرجعه من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، وكان وطئها ﷺ بملك اليمين[1].

الثالثة: ذكرها القسطلاني في المواهب قال: وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله عنها. ولم يذكر اسمها[2] ولم أعثر في غيره على اسمها.

الرابعة: أيضاً لم يذكر اسمها القسطلاني في المواهب بل قال الرابعة أصابها في بعض السبي وسماها الحلبي في سيرته (زليخة) القرظية ولم أقف على هذا الاسم في الإصابة وغيرها من كتب التراجم، وكأن الذي عرف منهن اثنتان مارية، وريحانة.

خدمه
صلى الله عليه وسلم

خَدَمَ رسول الله ﷺ كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وكانت حاجاته موزعة عليهم كما سيأتي بيانه، وقد أحصاهم أصحاب السير وهم:

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه ﷺ صح عنه أنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وأن أمه أم سليم

---

(١) بملك اليمين: وقيل أعتقها وتزوجها، قال ابن القيم: والمعروف أنها من سراريه وإمائه.

(٢) لم يذكر اسمها: عثرت على اسمها في الزرقاني نقلاً عن الإصابة وهو نفيسة.

الأنصارية أتت به النبي ﷺ لما قدم فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك، فقبله، وأن النبي ﷺ كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها، ومازحه النبي ﷺ فقال له ياذا الأذنين، وشهد بدراً ولم يذكر اسمه في البدريين لأنه لم يكن في سن من يقاتل. خدم النبي ﷺ عشر[1] سنين ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين، وكانت إقامته بعد النبي ﷺ بالمدينة، ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة، وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة سنة تسعين وله من العمر مائة سنة.

قال أنس رضي الله عنه: لقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين. وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ بقوله: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة» قال أنس رضي الله عنه: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة. يعني رأى كثرة المال، والولد، ويرجو الثالثة وهي دخول الجنة.

(٢) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي، صاحب وُضُوءِ رسول الله ﷺ، قال: كنت أبيت على باب النبي ﷺ وأعطيه الوضوء، وكان من أصحاب الصفَّة ولم يزل مع رسول الله ﷺ إلى أن قبض، فخرج من المدينة فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة، وبقي إلى أيام الحرة ومات بالحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة، رضي الله عنه.

(٣) أيمن بن أم أيمن، وهو أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو الخزرجي رضي الله عنه صاحب مِطْهر رسول الله ﷺ، استشهد يوم حنين.

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أحد السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب الوسادة، والسواك، والنعلين، والطهور، وكان يلي ذلك من

---

(١) عشر سنين: بحساب الكسر فإنه خدمه ﷺ تسع سنين وأشهر، روي عنه أنه قال: خدمته تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته يا أنس لم فعلته.

النبي ﷺ، وكان إذا قام النبي ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلها في ذراعيه[1] حتى يقوم، وقد تقدم من ترجمته في السيرة الشيء الكثير. مات بالمدينة[2] سنة اثنتين وثلاثين. رضي الله عنه.

(٥) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني رسول الله ﷺ عنه، وكان صاحب بغلته يقود به ﷺ في الأسفار، قال عقبة: بينما أقود برسول الله ﷺ في نَقْب[3] من تلك النقاب، إذ قال لي رسول الله ﷺ: «اركب يا عقبة» قال: فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه، ثم أشفقت أن يكون معصية قال: فركبت هنيهة ثم نزلت، ثم ركب النبي ﷺ وقدمت به فقال لي: «يا عقبة ألا أعلمك خير ثلاث سور أُنزلت في التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن العظيم»؟ قلت: بلى، فأقرأني: «قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس». قال عقبة: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا في غنم لي أرعاها فتركتها ثم ذهبت إليه فقلت: بايعني، فبايعني على الهجرة.

كان عقبة قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن، قال أبو سعيد بن يونس: رأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره كتبه عقبة بن عامر بيده، مات[4] سنة ثمان وخمسين من الهجرة رضي الله عنه.

(٦) أسلع بن شريك بن عوف الأعرجي رضي الله عنه، كان صاحب

---

(١) في ذراعيه: لتخلية يديه لخدمة المصطفى ﷺ ءن احتاج.

(٢) بالمدينة: كما قاله أبو نعيم وهذا أثبت كما في الإصابة وقيل بالكوفة.

(٣) في نقب: أي طريق.

(٤) مات: بمصر وولي بها لمعاوية سنة أربع وأربعين ثم جعل مكانه مسلمة ابن مخلد.

راحلته ﷺ، قال أسلع: كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له فقال لي ذات يوم: «يا أسلع قم فارحل» فقلت: أصابتني جنابة فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل بآية الصعيد فقال رسول الله ﷺ: «قم يا أسلع فتيمم» قال: فقمت فتيممت ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، ثم رحلت له فسار حتى مر بماء فقال لي: «يا أسلع مسّ أو أمس هذا جلدك» أي اغتسل.

(٧) سعد مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، كان يخدم النبي ﷺ.

(٨) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه، قد تقدم خبر إسلامه في الجزء الأول في أول من أسلم، كان يخدم رسول الله ﷺ، توفي بالربذة سنة اثنتين وثلاثين، وصلى عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كان أبو ذر طويلاً أسمر اللون نحيفاً، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أبو ذر وعاء مليء علماً أوكيء عليه. ولوفاته قصة عجيبة ذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب وهي عن أم ذر زوجة أبي ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال لي: ما يبكيك، فقلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس عندي ثوب يسعك كفناً لي ولا لك ولا بدّ من القيام بجهازك، قال: فأبشري ولا تبكي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة، فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً» وقد مات لنا ثلاثة من الولد، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين».

وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية وجماعة، فأنا ذلك والله ما كذبت ولا كذبت؛ فابصري الطريق: قلت: أنى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطريق، قال: اذهبي فتبصري، قالت: فكنت أشتد إلى

الكثيب فأنظر، ثم أرجع إليه فأمره فبينما هو وأنا كذلك، إذ أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم، تحث بهم رواحلهم فأسرعوا إليّ حتى وقفوا عليّ فقالوا: يا أمة الله مالك؟ قلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه؟ قالوا: ومن هو، قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ قلت: نعم قالت ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فقال لهم: أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية أو جماعة، والله ما كذبت ولا كذبت، ولو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي ولإمرأتي لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم الله أن لا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قاله إلا فتى من الأنصار، فقال: أنا أكفنك يا عم في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي، قال: أنت تكفنني، قالت: فكفنه الأنصاري وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه.

وكان ابن مسعود يومئذ مقبلاً من المدينة إلى الكوفة، فدعي إلى الصلاة عليه، فقال ابن معسود: من هذا؟ قيل: أبو ذر، فبكى طويلاً فقال أخي وخليلي عاش وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طوبى له، وله قصة مع عثمان بن عفان رضي الله عنه ستأتي إن شاء الله في الجزء السابع من هذا الكتاب، في تاريخ خلافة عثمان، وبسبب هذه القصة نسب[1]

---

(١) نسب بعض الناس: وهذه النسبة باطلة يظهرك على بطلانها ما أشرنا إليه في القاعدة الثالثة زد على ذلك غزارة علم أبي ذر، ذلك العلم الذي لا يصرفه في غير محله حتى يقال أن مذهب الاشتراكية نشأ منه إنما هو مذهب الزهد في هذه الدنيا ولا نسبة بين زاهد نارك اللذات للدنيا وزخرفها وبين مذهب داع للاشتراكية فأين الخراب من العمار. اللهم نور قلوبنا واشرح صدورنا للحق وارزقنا اتباعه ولا =

بعض الناس أن مذهب الاشتراكية نشأ من أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وقد أوضحت القضية هناك وبينت أن مذهب أبي ذر الغفاري هو مـذهب الزهد، ولم يكن ذلك على قاعدة الاشتراكيين أصلاً.

(٩) مهـاجر مـولى أم سلمى رضي الله عنهما، يكنى أبـا حذيفـة، صحب النبي ﷺ وخدمه، وشهد فتح مصر واختط بها، ثم تحول إلى طحا فسكنها، إلى أن مات، قال المهاجر رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ سنين، فلم يقل لي لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته. وهذا يدل على عظم مكارم أخلاق النبي ﷺ.

(١٠) حنين والد عبد الله مولى العباس بن عبد المطلب، كان حنين غلاماً للنبي ﷺ فوهبه للعباس رضي الله عنه فأعتقه، وكان يخدم النبي ﷺ وكان إذا توضـأ خرج بـوضوئـه إلى أصحابـه، فحبسه حنين فشكـوه إلى النبي ﷺ فقال حنين: حبسته لأشربه.

(١١) نعيم بن ربيعة الأسلمي، ذكره القسطلاني في المواهب فيمن خدم النبي ﷺ ولم أقف على اسمه في الإصابة، والاستيعاب.

(١٢) أبو الحمراء مولى النبي ﷺ وخادمه، واسمه هلال بن الحارث نزل حمص وتوفي فيها.

(١٣) أبو السمح واسمه إياد مولى رسول الله ﷺ وخادمه، قال أبو السمح كنت أخدم النبي ﷺ فكان إذا أراد أن يغتسل قال: «ولني قفاك». قال أبو عمر بن عبد البر: يقال إنه قتل فلا يدرى أين مات.

فهؤلاء الذين خدموه وهم ثلاثة عشر صحـابياً، وذلـك بعد البحث الطويل في كتب التراجم.

= تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، والحقنا بالصالحين واحشرنا في زمرتهم يا رب العالمين.

خـادمـاتـه
صلى الله عليه وسلم

الأولى: (بركة) أم أيمن بنت ثعلبة بن عمرو، وكانت لأم رسول الله ﷺ ورثها منها، فأعتقها رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة رضي الله عنها، وكانت قد تزوجت عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخـزرج فولـدت له أيمن، فصحب النبي.

ولما وهبت خديجة رضي الله عنها زيد بن حارثة لرسول الله ﷺ أعتقه وزوَّجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة. وكانت تخدم رسول الله ﷺ. وكان يقول ﷺ: «أم أيمن أمي بعد أمي» كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ، وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر.

وكان رسول الله ﷺ يدخل على أم أيمن فقربت إليه لبناً، فإما كان صائماً وإما قال لا أُريد، فأقبلت تضاحكه، فلما كان بعد وفاة النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما دخلا عليها بكت فقالا: ما يبكيكِ؟ فما عند الله خير لرسوله، قالت: أبكي أن وحي السماء انقطع، فهيجتهما على البكاء فجعلت تبكي ويبكيان معها.

حضرت أم أيمن غزوة أُحد وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر، ولما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكـت فقيل لها: ما يبكيك فقالت: وَهى الإسلام. وماتت بعده بعشـرين يومـاً، رضي الله عنها.

الثانية: (خولة) خـادمة رسـول الله ﷺ قالت إن جـرواً دخل البيت فدخل تحت السرير ومكث النبي ﷺ ثلاثاً لا ينزل عليه الوحي فقال: «يا

خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ، جبريل لا يأتيني» فقلت والله ما علمت فأخذ برده فلبسه وخرج. فقلت لو هيأت البيت فكنسته فإذا بجرو ميت فأخذته فألقيته فجاء رسول الله ﷺ ترعد لحيته وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة، فقال: «يا خولة دثريني» فأنزل[1] الله تعالى: **﴿والضحى، والليل إذا سجى﴾** السورة.

الثالثة: (سلمى) أم رافع امرأة أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، كانت تخدم النبي ﷺ وهي المرأة التي قالت لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، لما رجع من الصيد في بدء الإسلام: لو رأيت ما فعل أبو جهل بابن أخيك. تعني النبي ﷺ حتى غضب حمزة رضي الله عنه، ومضى إلى أبي جهل فضرب رأسه بالقوس وانجر ذلك إلى إسلام حمزة كما تقدم في قصة إسلام حمزة رضي الله عنه في الجزء الأول من هذا الكتاب. وهي مولاة صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها.

وجاءت سلمى إلى النبي ﷺ تستعديه لعى أبي رافع وقالت إنه يضربني، فقال ﷺ: «مالك ولها»؟ قال: إنها تؤذيني يا رسول الله. قال: «بما آذيته يا سلمى»؟ قالت: ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي فقلت: يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ، فقام يضربني، فجعل ﷺ يضحك ويقول: «يا أبا رافع لم تأمرك إلا بخير».

الرابعة: (ميمونة) بنت سعد، كانت تخدم النبي ﷺ وهي مولاته.

---

(١) فأنزل الله تعالى والضحى: كون هذا سبب إبطاء الوحي يرده في الصحيحين أنه ﷺ اشتكى وسلم واشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا وقد تركك فأنزل الله تعالى والضحى ـ السورة.

الخامسة: (مارية) خادمة النبي ﷺ تكنى أم الرباب، وهي التي طأطأت للنبي ﷺ حين صعد حائطاً، ليلة فر من المشركين بمكة ليلة هجرته إلى المدينة.

السادسة: (أم عياش) مولاة رقية بنت النبي ﷺ كانت تخدم النبي ﷺ، ولما تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية بنت رسول الله ﷺ بعثها مع ابنته رقية لعثمان.

مواليه صلى الله عليه وسلم

كان موالي رسول الله ﷺ كثيرين وقد أتيت هنا بأسماء من أعتقهم ﷺ من المشاهير وهم:

١ ـ زيد بن حارثة رضي الله عنه.

٢ ـ ابنه أسامة بن زيد رضي الله عنه.

٣ ـ أيمن بن أم أيمن رضي الله عنهما، وهو أخو أسامة لأمه.

٤ ـ أبو رافع القبطي رضي الله عنه.

٥ ـ شقران الحبشي رضي الله عنه، كان لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فوهبه للنبي ﷺ شهد بدراً وهو مملوك ثم عتق.

٦ ـ ثوبان رضي الله عنه من العرب من حكمى بن سعد بن حمير، اشتراه رسول الله ﷺ ثم أعتقه.

٧ ـ أنجشة رضي الله عنه اشتراه ﷺ منصرفه من الحديبية وأعتقه وكان حادياً حسن الصوت بالحداء وكان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال، فإذا اعتقت الإبل ـ أي أسرعت قال له النبي ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير» يعني النساء لأن الحداء إذا سمعته الإبل

أسرعت المشي فتزعج الراكبات عليها من النساء.

٨ ـ رباح الأسود رضي الله عنه.

٩ ـ يسار النوبي رضي الله عنه، وكان على لقاح رسول الله ﷺ وهو الذي قتله العرنيون.

١٠ ـ سفينة وكان أسود وكان لأم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فأعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ ما عاش.

١١ ـ سلمان الفارسي رضي الله عنه عدَّه أصحاب السير في الموالي لأن النبي ﷺ هو الذي أدَّى عنه نجوم كتابته.

١٢ ـ مابور الخصمي الذي أهداه المقوقس ملك مصر للنبي ﷺ مع مارية رضي الله عنها.

١٣ ـ أبو كبشة رضي الله عنه من مولدي مكة وقد شهد بدراً.

١٤ ـ زيد بن مولى أبو يسار. وكان نوبياً أصابه رسول الله ﷺ في غزوة بني ثعلبة فأعتقه.

١٥ ـ مِدْعم عبد أسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبي فأهداه إلى رسول الله ﷺ.

١٦ ـ واقد يكنى بأبي واقد.

١٧ ـ أبو بكرة نفيع بن مسروح.

١٨ ـ بادام مولى رسول الله ﷺ، ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة.

١٩ ـ أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ، وكان من مولدي مزينة، شهد غزوة المريسيع وكان يقود لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها جملها.

ومن الإماء هم:

١ ـ أم أيمن الحبشية.

٢ ـ سلمى أم رافع زوج أبي رافع.

٣ ـ مارية القبطية أم ولده ابراهيم عليه السلام.

٤ ـ ريحانة بنت شمعون بن زيد من بني النضير، سباها رسول الله ﷺ وأسلمت وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها.

٥ ـ قيسر أخت مارية.

هذا ما وقفت عليه ممن عرِفَتْ أسماؤهم من الموالي، وقد روى القسطلاني في المواهب عن ابن الجوزي أنه قال: مواليه يعني رسول الله ﷺ ثلاثة وأربعون، وإماؤه إحدى عشرة.



التراتيب الإدارية[1] ومنشئوها في الإسلام

الوزارة، الإمارة، الولاية، القيادة، القضاء، الكتاب، كتّاب السر. ديوان المحاسبة، الرسل، البعوث، الحرس، الشرطة، الطب، الحسبة، المعارف، الترجمان، الآلات الحربية، الهندسة.

---

(١) التراتيب الإدارية: لشيخنا وشيخ مشائخنا العلامة الكبير المحدث النحرير أبي الأسعاد وأبي الإقبال فضيلة الشيخ محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير صاحب فهرس الفهارس والإثبات المتوفي سنة ١٣٨٢ هـ ـ مؤلف جميل مطبوع سماه التراتيب الإدارية، في جزئين رأيتهما بمكتبة الحرم المكي الشريف ـ عرفت فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد الحي الكتاني حين قدم إلى بلد الله الأمين، وحرمه المحترم عام ١٣٥١ هـ. وقرأ بعد صلاة المغرب الأوائل السنبلية بحصوة باب العمرة وأمامه الكعبة المشرفة وحوله الجم الغفير من أهل العلم وطلابه. وكان مقريه العلامة المحدث الجليل فضيلة شيخنا الشيخ عمر حمدان المحرسي المتوفى عام ١٣٦٨ بالمدينة هـ وأنا العبد الحقير قد نلت شرف الحضور بين يدي فضيلته بالحرم الشريف، وكان والدي الشيخ عبد الله بيلا يواظب على صلاة المغرب والعشاء بهذه الجهة رحمه الله تعالى ورحمنا. وحظيت أيضاً بالإجازة باتصال السند إليه عن طريق الشيخ عمر حمدان المحرسي وعنه بالإصالة بوكالته بإعطاء إجازته التحريرية عن شيوخه المشتمل عليها رسالته المطبوعة المسماة بالمنح والمنة، كما أخذها فضيلة والدي المذكور رحمه الله تعالى بهذه الوكالة عنه.

وهنا سبب أرغمني لم أستطع التغلب عليه جعلني أوثر الوكالة، وذلك أنني لما رأيت كبار العلماء المحققين وأعيان المدرسين بالحرم الشريف يتصلون بفضيلته ويأخذون عنه الإجازة التحريرية هممت أن ألتمس منه ذلك ولكنني كلما أردت الإقدام استصغرت نفسي وما أوتيته من العلم بجانب فطاحل العلماء ومشائخنا =

كان رسول الله ﷺ هو المشرع الوحيد في الإسلام سواء في الأحكام القضائية أو في الأمور السياسية، إو الإدارية، فهو الواضع الأول للأسس الإدارية، ثم أخذت بعده تتوسع بحسب المقتضيات حتى وصلت إلى ما وصلت إليه فكانت الإدارة في زمن الخلفاء أوسع من العصر النبوي، وفي عصر الأمويين أوسع من عصر الخلفاء، وفي العصر العباسي بلغت الدرجة القصوى.

ثم أخذت الإدارة أشكالاً في ملوك الطوائف على حسب المقتضيات كما هو مدون ومعلوم لدى كل مطلع، وإليك حالة الإدارة في العصر النبوي مأخوذة عن كتب الحديث والسير والتاريخ والتراجم.

الــوزارة

كـان أبو بكـر الصديق، وعمـر بن الخطاب، رضي الله عنهمـا من وزرائه ﷺ وقد صرح القاضي أبوبكر بن العربي بتحسين حديث فيـه إن أبا بكر وعمر وزراء النبي ﷺ من أهل الأرض. وأخـرج الحاكم عن ابن المسيب قال: كان أبو بكر من النبي ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره. وقد تقدم أن النبي ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره. وقد تقدم أن النبي ﷺ كان يستشير أبا بكر وعمر وغيرهما، من كبار الصحابة رضي الله عنهم في كثير من الحوادث، وقد جاءت لفظة الوزير

= الفضلاء. وأحدث نفسي هل بلغت في العلم شيئاً حتى تكوني في مصاف هؤلاء الذين نالوا حظاً وافراً من العلم وهم أجدر بالإجازة ومحل لها. وشروطها متوفرة فيهم بلا نزاع ولا زلت بين الإقدام والإحجام حتى سافر فضيلته بسلامة الله وأنا آسف جداً. ورحم الله شيخي عمر حمدان فإنه خفف عني بما أفـادنيه بتـوكيل فضيلة الشيخ محمد عبد الحي له بإعطائه الإجازة لمن هو أهل لها فتلقيتها منه بفرح عظيم لعلو اسناده والحمد لله أولاً وآخراً.

بهـذا المعنى من رواية النسـائي عن عائشـة رضي الله عنها قـالت: قال النبي ﷺ: «من وُلِّيَ منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً، فإن نسي ذكره وإن ذكر أعانه».

وجاء في النهاية لابن الأثير في معنى لفظة وزير، فقال: هو الذي يؤازره فيحمل عنه ما حمله من الأثقال، والذي يلتجىء الأمير إلى رأيـه وتدبيره فهو ملجأ له ومفزع.

وهكذا كان شكل الوزارة في العصر النبوي وهو أن يستشير صاحب الولاية أصحاب الرأي، والثقافة، والعلم، والاطلاع، والعقل، والدراية في كل ما تدعو الحاجة إليـه. وهذا هـو الغرض من الـوزير والـوزارة، لغةً واصطلاحاً.

وأما شكل الوزارة في الحالـة العصريـة فهو تـوزيع الأعمـال على الوزراء، وكل وزير مسؤول عما وكل إليه من العمل، وهو في الحقيقة غير الشكل الذي سبق في العصر النبوي بل والعصور المتقـدمة على عصـر النبوة، وحتى العصور المتأخرة إلى قبل بضعة قرون فهو يتفق معهـا في الاسم، ويختلف في الشكل، وهذا معلوم.

الإمارة والولاية

كانت الإمارة والولاية على البلدان والأقاليم في العصور المتقدمة مثل ما هو جار في العصر الحاضر، غير أن الأوضاع والأشكال فيها بعض تغاير، وذلـك واقع حتى في تشكيـلات الدول الحـاضـرة، فعنـد بعض الـدول المعـاصرة إطـلاق الحريـة للولاة، يعملون كل مـا يرونـه صالحـاً تحت مسؤوليتهم، وبعضهـم يقيدون الولاة بالأنظمة ومراجعـة الوزارة فيمـا يطرأ عليهم، وأما شكل صلاحية الولاة والأمراء في العصر النبوي وصدر الخلافة الإسلامية فكان الوالي أو الأمير المنصوب هو القاضي، وإمام المسجد،

والخطيب وهو مسؤول عن كل ذلك، وأحياناً يضم إليه من يساعده في القضاء، وجمع الزكاة، وتعليم الدين، وغير ذلك. أما امراؤه ﷺ على الأقاليم والبلدان فكان:

١ - باذان بن ساسان من ولد بهرام من الأبناء، الذين بعثهم كسرى ولاة على اليمن، وكان كسرى ملك فارس قد تغلب على اليمن، قبيل العصر النبوي بعشرات السنين حتى العصر النبوي، وقد تقدم في الجزء الثالث، أنه لما كتب رسول الله إلى سائر الملوك، يدعوهم إلى الإسلام كان كتب إلى كسرى فمزق كسرى كتاب النبي ﷺ، وأمر واليه على اليمن أن يبعث إلى النبي ﷺ من يقوده إليه حياً أو ميتاً، ثُم لما هلك كسرى أسلم باذان وأسلمت اليمن وبعث بإسلامه إلى النبي ﷺ فاستعمله على اليمن وأمره على جميع مخاليفها ولم يشرك معه فيها أحداً. وهو أول من أسلم من ملوك العجم، وأول من أمِّر في الإسلام على اليمن، فلما مات قسم عمله على جماعة من أصحابه، فولى ابنه شهر بن باذان على صنعاء كما سيأتي تفصيل ذلك في الأجزاء الآتية من هذا الكتاب.

٢ - خالد بن سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه، أمره رسول الله ﷺ على ما بين نجران، وزمع، وزبيد، واستعمله على صدقات مذحج، وثبت في ديوان عمرو بن معدي كرب أنه مدح خالد بن سعيد بن العاص لما بعثه النبي ﷺ مصدِّقاً عليهم بقصيدة منها:

فقلت لباغي الخير إن تأت خالداً تُسَرُّ وترجع ناعم البال حامداً

وأمرّه أبو بكر الصديق رضي الله عنه على مشارف الشام في الردَّة.

٣ - زياد بن لبيد الأنصاري البياضي رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ على حضرموت، ثم ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قتال أهل الردّة من كندة، وهو الذي ظفر بالأشعث بن قيس فسيره إلى أبي بكر.

٤ ـ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ على مأرب وعدن.

٥ ـ معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، أمّره رسول الله ﷺ على اليمن.

٦ ـ يعلى بن أمية التميمي الحنظلي رضي الله عنه، قال ابن خلدون في تاريخه: ولاه رسول الله ﷺ على الجند، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: استعمله أبو بكر الصديق رضي الله عنه على بلاد حلوان في الردة، ثم عمل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض اليمن، واستعمله عثمان رضي الله عنه على صنعاء، ولما بلغه قتل عثمان خرج يطلب بدمه فأعان الزبير بن العوام رضي الله عنه بأربعمائة ألف درهم وحمل سبعين رجلاً من قريش، وحمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، على جمل يقال له عسكر، وكان اشتراه بمائتي دينا، وشهد وقعة الجمل مع عائشة رضي الله عنها، وصفين مع علي رضي الله عنه وقتل بها سنة ثمان وثلاثين وكان شهماً سخياً.

٧ ـ عامر بن شهر الهمداني رضي الله عنه، استعمله رسول الله ﷺ على همدان، وهو أول من اعترض على الأسود العنسي وكابره في ناحيته.

٨ ـ الطاهر بن أبي هالة التميمي الأسدي وأمه خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، استعمله رسول الله ﷺ على عك، والأشعريين، فلما كان ارتداد العرب ارتدت (عك) وكانت أول من ارتد من أزد تهامة فسار إليهم الطاهر فغلبهم وأمّن الطرق.

٩ ـ عمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه، استعمله رسول الله ﷺ على نجران، وهم بنو الحارث بن كعب، وهو ابن سبع عشرة سنة، ليفقههم على الدين ويعلمهم القرآن، يأخذ صدقاتهم وذلك سنة عشر من

الهجرة، بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فأسلموا، وكتب له كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديَّات، ومات بالمدينة سنة إحدى وخمسين.

١٠ - أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه، ولَّاه رسول الله ﷺ على نجران.

١١ - عكاشة بن ثور بن أصغر الغولي رضي الله عنه، استعمله رسول الله ﷺ على السكاسك، والسكون، وبني معاوية من كندة بحضرموت.

١٢ - العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ على البحرين وتوفي رسول الله ﷺ وهو عليها، فأقرَّه أبو بكر الصديق رضي الله عنه مدة خلافته، ثم أقره عمر رضي الله عنه وتوفي في خلافته.

١٣ - يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على تيماء.

١٤ - عتّاب بن أسيد الأموي رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ على مكة، وأقام الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمانٍ من الهجرة.

١٥ - عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ على عمان وأعمالها.

١٦ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولاه النبي ﷺ إقامة الحج سنة تسع.

١٧ - وائل بن حجر الحضرمي رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ على حضرموت حينما وفد عليه مسلماً من حضرموت.

قيادة الجيش

كان أمراء الجيش وقواده كثيرين، وقد تقدم أسماؤهم في أجزاء الكتاب المتقدمة منهم عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وغيرهم كما تقدم تفصيل ذلك في السرايا والبعوث.

القضاء والقضاة

كان القضاء في العصر النبوي هو المعوَّل عليه في الأحكام، وكان رسول الله ﷺ يقضي بين الناس بنفسه، وقد أمرَّ كثيراً من أصحابه أن يقضوا بين الناس، وكان ينصح المترافعين بالإنصاف وقول الحق، وعدم التغالب على بعض بقوة المنطق والفصاحة؛ كما جاء في الموطأ عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي فلعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما سمعت، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً فإنما اقطع له قطعاً من النار».

وكان ممن ولاه القضاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد ولاه رسول الله ﷺ القضاء باليمن، وكان من قضاته عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنهم وغيرهم من فقهاء الصحابة.

الكتـــاب

أما كُتّابه ﷺ فكثيرون، ذكـرهم أصحاب السيـر والحفاظ وجمعهم بعض المحدثين في تأليف منفرد استوعب فيه جملاً من سيرهم وأخبارهم وآثارهم منهم:

١ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٢ ـ عمر بن الخاطب رضي الله عنه.

٣ ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٤ ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٥ ـ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

٦ ـ الزبير بن العوّام رضي الله عنه.

٧ ـ سعيد بن العاص المخزومي رضي الله عنه.

٨ ـ أبـان بن سعيـد بن العـاص بن أميـة بن عبـد شمس الأمـوي رضي الله عنه.

٩ ـ سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه.

١٠ ـ عامر بن فهيرة التميمي رضي الله عنه مولى أبي بكر الصـديق رضي الله عنه.

١١ ـ عبد الله بن بالأرقم رضي الله عنه القرشي الزهري كان يكتب الرسائل عن رسول الله ﷺ إلى الملوك وغيرهم.

١٢ ـ أبي بن كعب الأنصـاري رضي الله عنه، كـان يكتب الـوحي لرسول الله ﷺ، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده ﷺ.

١٣ - ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه خطيب الأنصار.

١٤ - حنظلة بن الربيع بن صيفي الأسيدي أبو ربعي رضي الله عنه.

١٥ - أبو سفيان بن حرب القرشي الأموي رضي الله عنه.

١٦ - معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان من كتبة الوحي.

١٧ - يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، أسلم يوم الفتح وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير، وأربعين أوقية وزنها له بلال رضي الله عنه، واستعمله ﷺ على صدقات بني فراس، وكان أحد أمراء الأجناد لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأمّره عمر رضي الله عنه على فلسطين ثم على دمشق، وكان هو المقدم على أخيه معاوية في إمارة الشام، وأمه أم حكيم زينب بنت نوفل بن خلف من بني كنانة.

١٨ - زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري رضي الله عنه، مشهور بكتابة الوحي لرسول الله ﷺ، وكان أحد فقهاء الصحابة، وهو أحد من جمع القرآن في خلافة أبي بكر، ونقله إلى المصحف في خلافة عثمان رضي الله عنه، قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية وقال: «اني لا آمن يهود على كتابي» فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه، فكنت أكتب له ﷺ إليهم وأقرأ له كتبهم.

١٩ - شرحبيل بن حسنة الكندي الحضرمي رضي الله عنه مشهور بسابقيته في الإسلام، وهو أول كاتب للنبي ﷺ، وكان أحد أمراء الأجناد لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم لعمر رضي الله عنه.

٢٠ - العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه وكان اسمه عبد الله بن عباد بن أكبر الحضرمي وكان عبد الله الحضرمي أبو العلاء قد سكن مكة وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان، استعمل النبي ﷺ العلاء على

البحرين، وأقره أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما.

٢١ - خالد بن الوليد سيف الله رضي الله عنه.

٢٢ - عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٢٣ - المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

٢٤ - عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه.

٢٥ - معيقيب بن أبي طالب فاطمة الدوسي رضي الله عنه من السابقين الأولين.

٢٦ - حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه من السابقين هو وأبوه ومات أبوه بأحد.

٢٧ - حويطب بن عبد العزي العامري رضي الله عنه، أسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة أربع وخمسين من الهجرة.

٢٨ - خالد بن سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه.

٢٩ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه وهو أول من كتب له بمكة من قريش ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح.

٣٠ - عبد الله رضي الله عنه بن عبد الله بن أبي سلول الأنصاري.

هذا ما وقفت عليه من أسماء من كَتَب لرسول الله ﷺ، وأكثر من كتب على الإطلاق الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وأبان، وخالد ابنا سعيد بن العاص بن أمية الأموي رضي الله عنهما.

كاتب السر والترجمات

الذي عرف من كتاب السر والمترجمين لرسول الله ﷺ هو زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، فعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية»؟ فقلت: نعم فتعلمته في سبع عشرة ليلة، رواه أبو داود السجستاني وابن أبي شيبة.

وكذلك كان زيد بن ثابت ترجماه بالفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية، وقد تعلم ذلك بالمدينة، من الموالي الذين كانوا بالمدينة من تلك الأجنسا، وليس ذلك بغريب أو بعيد عن التصور على رجل ذكي مثل زيد بن ثابت أن يتعلم جملة لغات، بل إنه يوجد في هذا العصر من هو أقل ذكاء من زيد يعرف جملة لغات، تلقاها من أفواه الناس، مثل السماسرة، وسائقي السيارات وغيرهم.

قلنا إن مصدر كل شيء في الإسلام هو من رسول الله ﷺ، فكان ﷺ يتولى أحياناً محاسبة عماله بنفسه.

قال الحافظ ابن القيم في كتابه (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية): كان النبي ﷺ يستوفي الحساب على عماله يحاسبهم على المستخرج والمصروف، كما في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى: ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: «فهلا جلست في بيت أبيك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً» الحديث انتهى.

فكانت هذه القصة وأمثالها السبب الذي جعل الخلفاء حينما اتسع الإيراد في الإسلام أن يؤسسوا ديوان المحاسبة.

الرسل والبعوث

أما رسله وبعوثه ﷺ إلى الملوك والأمراء المعبر عنهم في العصر الحاضر بالسفراء، أو المنتدبين، فهم كثيرون منهم:

١ - عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه. وهو أول رسول بعثه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة.

٢ - دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى قيصر ملك الروم (هرقل).

٣ - عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس.

٤ - حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى المقوقس ملك مصر.

٥ - شجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى ملك البلقاء الحارث بن أبي شمر الغساني.

٦ - سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه بعثه ﷺ إلى هوذة، وإلى ثمامة بن أثال الحنفي باليمامة، فأسلم ثمامة.

٧ - عمرو بن العاص رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان، فأسلما وصدقا.

٨ - العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحري، قبل منصرفه من الجعرانة، فأسلم وصدق.

٩ - المهاجر بن أمية المخزومي رضي الله عنه، أرسله ﷺ إلى الحارث بن كُلال الحميري باليمن فقال: سأنظر في أمري.

١٠ - أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

١١ - معاذ بن جبل رضي الله عنه، بعثهما رسول الله ﷺ إلى اليمن، فأسلم غالب أهلها من غير قتال.

١٢ - علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بعثه ﷺ بعد ذلك إلى أهل اليمن، ووافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع.

١٣ - جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى ذي الكلاع الحميري وذي عمرة، يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما وتوفي رسول الله ﷺ وجرير عندهم.

١٤ - عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، بعثه ﷺ أيضاً إلى مسيلمة الكذاب باليمامة بكتاب. وبعثه ﷺ أيضاً إلى فروة بن عروة الجذامي، وكان عاملاً لقيصر على عمان بالبلقاء، يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه، وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد الجذامي من قومه رضي الله عنه، وهي بغلة شهباء يقال لها فضة، وفرس يقال له الظرب، وحمار يقال له يعفور، وكذلك بعث إليه أثواباً، وقباء سندسياً مذهباً، فقبل هديته، ووهب لمسعود بن سعد خمسمائة درهم.

١٥ - عيينة بن حصن الفزاري رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى بني تميم، فسبى بعض بن العنبر.

١٦ - بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى أسلم وغفار.

١٧ - عباد بن بشر الأنصاري رضي الله عنه، بعثه ﷺ إلى سُلسم، ومُزينة.

١٨ - رافع بن مكيث الجهني، وكان أحد يحمل ألوية جهينة يوم الفتح، استعمله ﷺ على صدقات قومه جهينة.

١٩ - عمرو بن العاص رضي الله عنه، بعثه ﷺ أيضاً إلى فزارة.

٢٠ - الضحاك بن سفيان بن عوف الكلابي رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وعقد له لواء، وكان على الصدقات في قومه، وكان من الشجعان يعد بمائة فارس، وبعثه ﷺ على سرية.

٢١ - بسر بن سفيان الكعبي، بعثه ﷺ على بني كعب، وكان شريفاً في قومه، وكتب إليه النبي ﷺ حينما كتب إلى الملوك والرؤساء والأمراء.

٢٢ - عبد الله بن اللتبية بن ثعلبة الأزدي رضي الله عنه، بعثه ﷺ على الصدقات إلى ذبيان، وغيرهم كثيرون.

الحرس

كان من تولى حراسة رسول الله ﷺ كثير من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم، في مواضع مختلفة كما تقدم في سياق السيرة؛ منهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس الأنصاري، سيد الأوس رضي الله عنه. كان قد قام على حراسته ﷺ ليلة وقعة بدر حين نام ﷺ في العريش.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قام على حراسته يوم بدر في العريش، شاهراً سيفه على رأسه ﷺ.

ومحمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه قام على حراسته يوم أُحد. والزبير بن العوام رضي الله عنه قام على حراسته يوم الخندق.

والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه قام على حراسته ﷺ يوم الحديبية شاهراً سيفه وهو واقف على رأسه ﷺ.

وسعد بن أبي وقاس رضي الله عنه، وذكوان بن قيس رضي الله عنه.

وبلال المؤذن رضي الله عنه، قاموا على حراسته بوادي القرى.

وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قام على حراسته ليلة بنى بصفية

بنت حيي رضي الله عنها، عند عودته من خيبر في أثناء الطريق.

ومرثد بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه، قام على حراسته ﷺ ليلة وقعة حنين، حين قال رسول الله ﷺ ألا رجل يحرسنا الليلة؟ فقال: أنا، فدعا له ﷺ.

ثم بعد أن نزلت الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ترك الحراسة.

الشرطة

كان صاحب الشرطة في العهد النبوي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه، وكان يقوم بين يدي رسول الله ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة، وقد خدم النبي ﷺ عشر سنين وكان قيس ضخماً، حسناً، طويلاً، سخياً، كريماً، داهية، ذا رأي، فاضلاً، شجاعاً، ذا مكيدة في الحرب مع النجدة.

وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه كلها مدة خلافته، وبعد موته مع الحسن بن علي إلى أن اصطلح مع معاوية وتنازل عن حقه في الخلافة، ولقيس بن سعد تاريخ حافل بالمكرمات قد تقدم قسط منه في الأجزاء المتقدمة. وسيأتي الباقي في أجزاء الخلفاء إن شاء الله.

الطبابة

كانت الطبابة عند العرب قديمة ولها قيمتها في ذلك العصر، وكان من الأطباء في العصر النبوي من العرب؛ الحارث بن كلدة الثقفي رضي الله عنه، وهو معروف بطبيب العرب. كان قد تعلم الطب بفارس واليمن، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مرضت فأتاني النبي ﷺ فقال: «إنك مفؤود إئت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه يتطبب فمره فليأخذ

سبع تمرات فليلدك بهن» ثم قال النبي ﷺ للحارث بن كلدة «عالج سعداً مما به»، وبقي الحارث إلى أيام معاوية بن أبي سفيان.

وكان من أطباء العرب ابن أبي رمثة التميمي: وهو الذي قال، رأيت بين كتفي النبي ﷺ خاتم النبوة فقلت له: إني طبيب به دعني أعالجه فقال ﷺ: «أنت رفيق، والطبيب الله».

وكانت صناعة الطب موجودة عند أفراد من العرب قبل الإسلام، ثم بعد الإسلام شاع هذا العلم وكثر في الدولة العباسية، حتى فاق الأمم كما كثر بالأندلس وكان أطباء الإفرنج يتلقون عنهم.

ولا زالت الطبابة باقية عند العرب على شكلها الأول حتى العصر الحاضر.

الحسبة

كما كانت ولاية السوق في العصر النبوي تسمى (الحسبة) ومتوليها (بالمحتسب) وهو ما يقال له في هذا العصر (رئيس البلدية) وقد استعمل النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سوق المدينة، واستعمل سعد بن سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة. ووظيفة المحتسب في ذلك العصر هي مراقبة السوق ومنع بيع الفاسد، والغش، والغرر.

المعارف

كان شكل المعارف في ذلك العصر هو تعليم القراءة والكتابة، ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أن النبي ﷺ سماه عبد الله، وأمره أن يعلم الكتابة بالمدينة وكان كاتباً.

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال: علَّمت ناساً من أهل الصفَّة الكتابة والقرآن. وقد تقدم في أسارى بدر أنه كان فداء بعض أسارى

قريش؛ من الذين لا مال لهم أن يعلِّم عشرة من الصبيان الكتابة ويكون ذلك فداء له. وقال السهيلي في (الروض الآنف): كان من الأسارى يوم بدر من يكتب، ولم يكن من الأنصار يومئذ أحد يحسن الكتابة، فكان منهم من لا مال له فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة فيخلي سبيله، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت الأنصاري مع جماعة من غلمان الأنصار. وهذا دليل على جواز تعلم المسلم من الكافر ما يحتاجه من المعارف كالطب، والهندسة والكيمياء وغير ذلك من الفنون، التي يحتاجها المسلم لقوام أموره الدنيوية، غير أن مدارس التبشير الغربية أصبحت مضرة ـ بأبناء المسلمين[1] في عقائدهم الدينية ضرراً فادحاً، لأن المبشرين لم يفتحوا تلك المدارس إلا لأجل تضليل المسلمين، وقد تسرب ذلك الضرر إلى أدمغة كثير من الناشئة الإسلامية، التي قد زجهم فيها آباؤهم بقصد التعليم الراقي على زعمهم، ولو فقد أبناؤهم الدين الإسلامي، لأن أولئك الآباء لا يفهمون من الدين الإسلامي غير اسمه، لأنهم تربوا على أحط درجات الجهل والغباوة، فنشأ من ذلك ضرر عظيم، حتى أنك لتجد الشاب المسلم المتخرج من تلك المدارس يهزأ بالدين الإسلامي ورجاله أكثر من أساتذة التبشير أنفسهم، وأخذ هذا الحال يتفاقم شره في البلاد الإسلامية

---

(١) مضرة بأبناء المسلمين: أهداني فضيلة شيخنا الزاهد الورع العالم العلامة الشيخ حسن بن محمدالمشاط المدرس بالمسجد الحرام رسالته القيمة التي يحذر فيها المسلمين من مغبة دخول أبنائهم المدارس الأجنبية وعنونها بهذا العنوان (حكم الشريعة المحمدية في تعليم أولاد المسلمين بالمدارس الأجنبية) وهذه الرسالة لنفاستها لا بد من مطالعتها ومراجعتها خصوصاً أولياء أمور الطلاب والطالبات، فإنها نافعة لما حوته من إرشادات ونصائح غالية صادرة من قلب مفعم بالإيمان غيور على أبناء المسلمين يقول الحق والحق أحق بالاتباع. هدانا الله تعالى لما فيه صلاح ديننا ودنيانا وغفر ذنوبنا وستر عيوبنا. وجزى الله مؤلفها الجزاء الحسن وأطال في حياته لنفع المسلمين بما ينشره من العلم آمين.

من أبناء المسلمين، إلى أن وصل إلى الدرجة التي لم يستطع رجال التبشير الغربي العروج إليها بكل ما أوتوا من ملاجىء، ومدارس، ومستشفيات، وملايين الجنيهات، فأثلج أولئك الأبناء صدور أساتذتهم بما وصلوا إليه من الغواية والتضليل، حتى إنك لو ذكرت اسم الدين أو الإسلام على مسامع هؤلاء لسخروا منك وشتموك، ورموك بالجمود والرجعية والتوحش وغير ذلك، مما تلقّوه من تلك المدارس من السخرية والاستهزاء بالدين الإسلامي ورجاله، فمن المسؤول عن ذلك؟

هل الحكومات الإسلامية هي المسؤولية عن ذلك، أم زعماء الإسلام، أم الآباء الأغبياء؟

ففي نظري أن كل هؤلاء مسؤولون أمام الله تعالى والإسلام والإنسانية عن ضلال الناشئة الإسلامية، لأنهم قد رموا الحبل على غارب الآباء الجهلاء، ولم يقوموا بواجبهم الإسلامي من فتح مدارس تضاهي تلك المدارس، ولم يرشدوا أولئك الآباء الأغبياء إلى حماية أبنائهم من زجهم بتلك المدارس التي لم تفتح إلا للشر.

وإلى متى هذا الحال ورجال الإصلاح غافلون؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

الهندسة

كان لعلم الهندسة أصل في العصر النبوي، فكان الأقيسة بالذراع، والميل، والفرسخ، وكانت التخظيطات للشوارع والدور معروفة، وقد ذكر ابن سعد في الطبقات: إنه لما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة خط لعثمان بن عفان رضي الله عنه داره اليوم، وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ بعث أن ينادي في معسكره: أن من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له ولك لمّا طبق الناس وقطعوا الطرق. فيستفاد من ذلك أن رسول الله ﷺ

كان يعتني بالنظام حتى في الأسفار ونصب الخيام.

وقد جاء في صحيح مسلم: إذا اختلفتم في الطريق فاجعلوه سبعة أذرع.

ثم اتسع نظام الهندسة في زمن الخلفاء، وازداد اتساعاً واتقاناً في عصر العباسيين في الشرق، والأمويين في الغرب حتى كانت مدينتا بغداد، وقرطبة، مركزاً لعلم الهندسة، والفنون الجميلة.

وقد جاء في سيرة عمر رضي الله عنه أنه لما أذن ببناء البصرة والكوفة، خطوا الشوارع على عرض عشرين ذراعاً وطول أربعين ذراعاً والأزقة تسعة أذرع والقطائع ستين ذراعاً. ولكل زمان[1] وعصر وضعية خاصة في الهندسة.

---

(١) لكل زمان وضعية خاصة في الهندسة، وعندنا اليوم بمكة المكرمة نهضة عمرانية واسعة جداً ممتدة الأطراف والجوانب، تبنتها الحكومة العربية السعودية فأزيلت تلك الدور المطلة على الشوارع العامة التي تتعارض مع التخطيط الحديث. وذلك مثل شارع الشبيكة، والشامية، والغلق وأجياد. والمسفلة، والهجلة. وعوض أهلها بما يستحقونه ثمناً لبيوتهم ليتمكنوا من بناء بيوت لهم على الطراز الجديد أحسن وأعلا مما قد أزيل، ولتتوسع الشوارع وتتحسن مداخلها وواجهاتها وفقاً لتطورات العصر في غير ما محل من بلدان العالم. وتولى كل ذلك مهندسون وخبراء. وفعلاً يشاهد المتردد على هذه البلاد تطورها العظيم ويلمس الفارق الكبير بين الماضي والحاضر، حتى أن البيوت أصبحت تتكون اليوم من عدة طبقات مؤلفة من عدة غرف وصالات وحمامات وبلكونات ومن تحتها يمر المشاة، وبعض تلك الدور اتخذ لها مصاعد كهربائية للرقي عليها والوصول إلى المحلات بتمام الراحة لكثرة الطبقات وعلوها، والتحدث أيها المشاهد الكريم عن الشوارع وسعتها وسفلتتها، شيء يسر الناظرين من مشاة وراكبين، وعن شق الطرق كجبل بخش أو شارع بخش بأجياد فكان لا يأتيه آت ولا يمر منه عابر. والآن ترقاه السيارات ليلاً ونهاراً وها هو جبل الصفا تعمل فيه الآلات الحديثة لشقه وتسويته ليصلح للمرور، وصدق المؤلف في قوله لكل زمان وضعية في الهندسة كل ذلك كان وصاحب

الآلات الحربية

كانت آلات الحرب التي استعملها رسول الله ﷺ في الغزوات والتي كانت في حوزته تسعة أسياف وهي:

١ - **مأثور**: هو أول سيف ملكه رسول الله ﷺ قبل الهجـرة، وقد ورثه من أبيه، وكان معه يوم هاجر إلى المدينة.

٢ - **العضب**: أرسله إليه سعد بن عبادة الأنصارسي رضي الله عنه حين سار إلى غزوة بدر.

٣ - **ذو الفقار**: سمي بذلك لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، صار هذا السيف إلى رسول الله ﷺ يوم بدر من الغنائم وكان للعاص بن منبه، أو ابن وائل، فكان ﷺ يحمل هذا السيف في كل حرب يشهدها ولا يفارقه، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من الفضة.

٤ - **القلعي**: سمي هذا السيف بهذا الاسم لأنه أصابه رسول الله ﷺ في موضع بالبادية يقال له قلع.

= الجلالة الملـك فيصل المعظم يتفقده بعنايتـه الخاصـة ليتم في شكله الملائم المساير للنهضة الشاملة وفقه الله تعالى لما فيه خير البلاد والمسلمين.

ولا يفوتني أيضاً أن همة العريف رئيس بلدية مكة المكرمة أو عصاه السحرية كما قالوا قد امتدت إلى الشـوارع العامـة والمنعطفـات من السهل إلى علو الجبـال وقممها بتشجيعات الحكومة للمشاريع واختصاصات البلديـة، بما لا يسـع هذا المجال تفصيلاً وشرحاً وافياً. . فإن الأستاذ الجليل (عبد الله عريف) عرف بنشاطه وحذقه، ولا زالت البلد في حاجة أيضاً إلى مزيد همته لسعـة رقعتها. والنـظام والانتظام لا يقفان عند حد النهاية ما دامت الغاية الوحيدة التقدم بالبلاد بكل ما في معنى التقدم. أخذ الله بيد العاملين ووفق حكومتنا العربية السعودية للمـزيد من الأعمال النافعة وسدد أعمالها.

٥ ـ **الصمصامة**: كان هذا الشيف مشهوراً عند العرب وهو سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي، أهداه ﷺ لخالد بن سعيد بن العاص حين استعمله ﷺ على اليمن.

٦ ـ **الحيف**: ومعناه الموت وهو من سلاح بني قينقاع.

٧ ـ **الرسول**: ومعناه إذا ضرب به يتعمق في الضربة حتى يرسب أي يستقر في النهاية، ويقال أن هذا السيف هو أحد السيوف التسعة التي أهدتها بلقيس لسليمان عليه السلام وهو من غنائم اليهود.

٨ ـ **المخذم**: ومعناه القاطع، وكان هذا السيف معلقاً على صنم طيء الذي يقال له الغلس.

٩ ـ **القضيب**: ومعناه أيضاً القاطع. هذا ما كان من الأسياف.

وكان في حوزته ﷺ من الدروع سبعة:

١ ـ **ذات الفضول**: سميت بذلك لطولها، أرسلها إليه سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه حين سار إلى بدر، وكانت من حديد وهي التي رهنها ﷺ عند أبي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعاً من شعير، وكان الدَّين إلى سنة.

٢ ـ درع يقال لها ذات الوشاح.

٣ ـ درع يقال لها الحواشي.

٤ ـ درع يقال لها السعدية، وهي درع عكبر القينقاعي، ويقال إنها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت.

٥ ـ درع يقال لها فضة، وكان قد أصابها رسول الله ﷺ من بني قينقاع.

٦ ـ درع يقال لها التبراء لقصرها.

٧ - درع يقال لها الخرنق باسم ولد الأرنب لنعومتها، وكان ﷺ يوم أحد عليه درعان ذات الفضول؛ وفضة، وكان عليه ﷺ يوم حنين درعان ذات الفضول والسغدية.

وكان في حوزته ﷺ من الأقواس ستة:

١ - قوس يقال لها الكتوم لانخفاض صوتها إذا رمي عنها، وهي التي اندقت سيتها يوم أحد فأخذها قتادة.

٢ - قوس تدعى الروحاء.

٣ - قوس تدعى الصفراء، وقد صنعتا من شجر يسمى نبع يتخذ منه القسي ويتخذ من أغصانه السهام، وهذه الأخيرة كسرت يوم أحد.

٤ - قوس تدعى البيضاء من شوحط وهو من شجر الجبال يتخذ منه القسي، وهؤلاء الأقواس الثلاثة الروحاء، والصفراء والبيضاء، من سلاح بني قنيقاع.

٥ - قوس تدعى السداد وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة، والإبزيم من فضة، والطرف من فضة، وكانت له جعبة تدعى الكافور.

٦ - قوس تدعى الزوراء.

وكان في حوزته ﷺ من الأتراس ثلاثة:

١ - ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح.

٢ - ترس يقال له الفُتَقُ.

٣ - ترس يقال له عقاب أهدي إليه وفيه تمثال صورة عقاب فطمسه ﷺ بيده الشريفة.

وكان في حوزته من الرماح رمحان:

أحدهما: يقال له المثوى، قال ابن الأثير: سمي به لأنه يثبت المطعون به من الثوى وهو الإقامة.

والثاني: يقال له المثنى. ورمحان آخران أصابهما من سلاح بني قنيقاع.

وكان في حوزته ﷺ من الحراب حربتان كبيرتان إحداهما تسمى البيضاء، والأخرى تسمى النبعة.

وكانت له حربة أخرى صغيرة تسمى العنزة، تشبه العكاز، وكانت تركز أمامه في الصلاة ويصلي إليها، وهذه العنزة جاء بها الزبير بن العوام رضي الله عنه من الحبشة، وكان أعطاها له ملك الحبشة النجاشي رحمه الله، وشهد بها الزبير رضي الله عنه بدراً، وأُحداً، وخيبر، ثم أخذها منه رسول الله ﷺ منصرَفه من خيبر، فكانت تحمل بين يديه ﷺ يوم العيد، يحملها بلال رضي الله عنه، وكان يحملها ﷺ في يده حين تمشيه. وكذلك له حربة يقال لها المهر، وأخرى يقال لها النمر.

وكان له ﷺ (محجن) طوله قدر ذراع أو أزيد، يمشي به ويعلق بين يديه على بعيره ويركب به يسمى (الذقن) له رأس معققة كالصولجان.

وكان له ﷺ (مغفر) من حديد ـ والمغفر هو ما يلبس على الرأس معمول من زرد الحديد وغيره ويكون ساتراً لعموم الرأس ـ يسمى هذا المغفر السبوغ. وآخر ويسمى الموشح.

وكان له ﷺ (فسطاط) يسمى الكن، وكانت له مخصرة تسمى العرجون وهي ما يمسكه بيده من عصى أو مقرعة، تسمى العرجون ويقال لها العسيب. وكان له قضيب من الشوحط يسمى الممشوق.

وكان له ﷺ (قدح) يسمى الريان، وآخر يسمى مغيثاً، وآخر مضبب بسلسلة من فضة بثلاثة مواضع، وآخر من عيدان، وآخر من زجاج، وتور من حجارة يسمى المخضب، والتور هو إناء يصنع من نحاس وحجارة. وركوة تسمى الصادرة، والركوة هي الإناء الصغير المعمول من الجلد يوضع فيه الماء، ومخضب من نحاس وهو من نوع الإناء، ومغتسل من صفر، ومدهن.

هذا ما كان خاصاً برسول الله ﷺ من آلات الحرب، وأما ما كان عاماً للجيش فقد تقدم في سياق الغزوات ما استعمله الصحابة من آلات الحرب مثل السيف والرمح والقوس. وقد استعمل رسول الله ﷺ في غزوة الطائف المنجنيق، والدبابات، والضبور، وتقدم بيان ذلك في غزوة الطائف.

وكانت هذه الآلات هي أعظم آلات الحرب في ذلك العصر النبوي، ولم يحدثنا التاريخ أنه كان موجوداً عند عموم الدول التي كانت موجودة في ذلك العصر من مواد الحرب ما هو أقوى وأعظم مما كان موجوداً عند رسول الله ﷺ. غير أن العرب لم تعتمد في حروبها على غير السيف، والخيل، وبها اكتسحت أعظم دول العالم في ذلك العصر وهم: فارس، والروم، والقبط، والأرمن، والتركمان، والبربر، والإفرنج، وغيرهم.

إدارته الخاصة
صلى الله عليه وسلم

أمين خاتمة، أمين نفقته، أمين سواكه ونعله، أمين ثقله، أمين المشربة، آلة الزينة، من يأخذ الإذن عليه، أمين نسائه، مؤذنوه، شعراؤه، حداته، من كان يضحكه، أدوات المنزل، خيله، بغاله، حميره، لقاحه.

* * *

كان لرسول الله ﷺ إدارة خاصة منظمة، قلَّ أن يوجد لها نظير على بساطتها من الوجهة الذوقية، فكانت أموره مرتبة منظمة، وإليك بيان ذلك مختصراً، حيث أن تنظيم الإدارة شيء، والشنشنة في تغالي الأشياء شيء آخر.

أمين خاتمه

كان لرسول الله ﷺ موظف خاص لأجل (الختم) ويسمى أمين خاتمه وهو معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي رضي الله عنه، فكان هو أمين رسول الله ﷺ على خاتمه. والخاتم هو ما يختم به الرسائل، وقد تقدم سبب وضعه في الجزء الثالث لما أراد ﷺ أن يكتب إلى الملوك.

أمين نفقته

كان بلال بن رباح رضي الله عنه أمينه على نفقاته وعطاياه ﷺ، وهو الذي كان يقدم للوفود عطاياهم وهو بمثابة ما يسمى في العصر الحاضر بمدير المالية، أو أمين بيت المال.

أمين سواكه ونعله

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أمين رسول الله ﷺ على سواكه ونعله خصوصاً في الأسفار. أي أنه يتولى خدمته فيهما.

أمين ثقله

الثقل هو متاع المسافر، كان أسلم أبو رافع القبطي خادم رسول الله ﷺ أمينه على أدوات السفر.

وكان أبو رافع مولى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ فوهبه للنبي ﷺ ثم إن النبي ﷺ أعتقه لما بشره بإسلام عمه العباس، وكان إسلام أبي رافع قبل بدر ولم يشهدها، وشهد أحداً وما بعدها. مات في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أمين المشربة

المشربة هي الغرفة الأمامية من الدار، وعادة تكون هي غرفة الاستقبال، فكان رباح الأسود مولى رسول الله ﷺ هو أمين المشربة، وكان يستأذن للصحابة على رسول الله ﷺ.

أدوات الزينة

كان لرسول الله ﷺ (ربعة) اسكندرانية، وهي أشبه بالصندوق الصغير المزركش الذي يجعل عادة لأدوات الزينة، وكانت هذه الربعة تحتوي على المرآة، والمشط من العاج وهو (سن الفيل) أو من الذبل (وهو عظم ظهر السلحفاء) والمكحلة، (المقص) والسواك، وهذه الرابعة أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية مع ألهدايا التي أهداها لرسول الله ﷺ مع مارية القبطية رضي الله عنها ولم يُعلم أين ذهبت تلك الربعة بعد وفاته.

أدوات المنزل

كان لرسول الله ﷺ من جملة الأدوات المنزلية قصعة تسمى الفراء بأربع حلق، وصاع، ومد، وقطيفة، وسرير قوائمه من ساج، وفراش من أدم حشوه ليف، وخاتم من حديد ملوي بفضة، وخاتم فضة فصه منه يجعله في يمينه، وفي رواية: كان أولاً في يمينه ثم حوَّله إلى يساره، منقوش عليه (محمد رسول الله). وأهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما.

وكان له ﷺ ثلاث جِبَابٍ يلبسهن في الحرب؛ جبة من سندس أخضر، وجبة طيالسة، وعمامة يقال لها السحاب وأُخرى سوداء. وكان له كرسي قوائمه من حديد، يجلس عليه ﷺ أحياناً حتى في المسجد والناس ينظرون.

السراج في المسجد

جاء في الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة سراج مولى تميم الداري، أنه أسرج للنبي ﷺ بقنديل الزيت، وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا سعف النخل فقال رسول الله ﷺ: «من أسرج مسجدنا»؟ فقال تميم: غلامي هذا، فقال: «ما اسمه»؟ قال: فتح، قال النبي ﷺ: «بل اسمه سراج».

من يأخذ الإذن عليه

كان أنس بن مالك رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ، وكذلك رباح الأسود مولاه، وقد تقدم أنهما وغيرهما كانا يجلسان على باب رسول الله ﷺ، ويأخذان الإذن للناس، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال: جاء أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً في بابه ولم يؤذن لهم، قال فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن له، ولذلكَ صار الاستئذان واجباً على كل رجل يريد مقابلة أي رجل في داره، لأن دخول الدار على صاحبها بغير إذن لا يتفق مع الآداب والشرع.

أمين نسائه

كان عبد الرحمن بن عوف، وأبو أسد بن أسيد الساعدي رضي الله عنهما أمناء رسول الله ﷺ على نسائه. وذلك يكون عادة عند أصحاب الحيثيات وغالباً يكون في السفر.

مـؤذنـــوه

كان لرسول الله ﷺ مؤذنون أربعة:

الأول: بلال بن رباح رضي الله عنه وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ من الخلفاء، غير مرة واحدة وذلك لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتحها، أذَّن بلال فتذكر الناس النبي ﷺ، قال أسلم مولى عمر: فلم أرَ باكياً أكثر من يومئذ.

الثاني: عمرو بن أم مكتوم القرشي الأعمى رضي الله عنه، فكان يؤذن ويخلف النبي ﷺ بعض الأحيان في الصلاة.

الثالث: سعد بن عائذ مولى عمار بن ياسر رضي الله عنهما، ويقال له سعد القرظ كان يؤذن في حياة النبي ﷺ بمسجد قباء، ثم نقله أبو بكر الصديق رضي الله عنه من قباء إلى المسجد النبوي، فأذن فيه بعد بلال، وتوارث عنه بنوه الأذان، وعاش إلى أيام الحجاج.

والرابع: أبو محذورة أوس بن معير الجمحي رضي الله عنه، كان يؤذن لرسول الله ﷺ بمكة، بعد أن علَّمه الأذان، ولم يهاجر إلى المدينة بل أقام بمكة إلى أن مات.

فهؤلاء الأربعة الذين داوموا على الأذان في عهد رسول الله ﷺ. وأما الذين أذَّنوا مرة على سبيل النادرة فمنهم زياد بن الحارث الصدائي أذن بين يديه ﷺ. وكذلك عبد العزيز بن الأصم فإنه أذَّن أيضاً بين يديه مرة واحدة.

شعــراؤه

كان لرسول الله ﷺ شعراء يذبون عنه وعن الإسلام وهم:

١ - كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أبو عبد الله الأنصاري رضي الله عنه الشاعر المشهور، شهد العقبة وبايع بها، تخلف عن بدر وشهد أحداً وما بعدها وتخلف في تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، قال كعب بيتين كانا سبب إسلام دوس وهما:

قضينا من تهامة كل وتر[1] وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
تُخيِّرُنا ولو نطقت لقالت قواطعهن دوساً أو ثقيفا

فلما بلغ ذلك دوساً قالوا: خذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.

٢ - عبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه، الشاعر المشهور من السابقين الأولين، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة، قال أنس رضي الله عنه: دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر؟ فقال النبي ﷺ: «خلِّ عنه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل».

---

(١) كل وتر، وفي سيرة ابن هشام (غزوة الطائف) كل ريب وكذلك في تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ـ

٣ ـ حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الشاعر المشهور في الجاهلية والإسلام، وكان يناظر الشعراء المشركين، ويرد عليهم، وقد سبق مناظرته لبني تميم وشاعرعم الأقرع بن حابس، حينما نادوا رسول الله ﷺ يا محمد: أخرج إلينا نفاخرك، فأمر ﷺ حساناً فقام فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم[1] علينا تفخرون وأنتمُ لنا خول ما بين ظئر وخادم

وله مواقف كبيرة وقفها في وجوه الكفار، رضي الله عنه، عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام.

حداته[2]
صلى الله عليه وسلم

كان حداته ﷺ الذين يحدون الجيش هم:

١ ـ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

٢ ـ عامر بن الأكوع الأسلمي رضي الله عنه، كان يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ في غزوة خيبر.

٣ ـ مالك بن نمط بن قبيس الهمداني، كان وفد همدان لقي رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات، والعمائم العدنية، على الرواحل المهرية، ومالك بن نمط يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ يقول:

إليك جاوَزنَ سَوَادَ الرِيفِ في هَبّوات الصيفِ والخرِيف
مخطمات بخطام الليف

(١) هبلتم: أي تعاظمتم.
(٢) حداته: الحداء بضم المهملة: الغناء للإبل.

٤ ـ أنجشة العبد الأسود، كان حسن الحداء.

٥ ـ البراء[1] بن مالك بن النضر الأنصاري رضي الله عنه أخو أنس بن مالك، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان البراء بن مالك حسن الصوت، وكان يرجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره.

المضحك

كان نعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاري الأنصاري رضي الله عنه مزّاحاً، وكان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى نعيمان لا يتمالك نفسه أن يضحك. ومن نكاته رضي الله عنه، أنه كان لا تدخل المدينة طِرفة (وهو الشيء النفيس) إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى النبي ﷺ فيقول أهديته لك، فإذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمنها أحضره إلى النبي ﷺ وقال أعط هذا ثمن متاعه، فيقول ﷺ: «أولم تهده لي»؟ فيقول: إنه والله لم يكن عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله فيضحك ويأمر لصاحبها بثمنه.

ومنها أنه دخل أعرابي على النبي ﷺ وأناخ ناقته بفنائه فقال بعض الصحابة لنعيمان الأنصاري: لو عقرتها فأكلناها فإنا قد قرمنا إلى اللحم، ففعل نعيمان وعقر الناقة فخرج الأعرابي وصاح: واعقراه يا محمد، فخرج النبي ﷺ فقال: «من فعل هذا»؟ فقالوا: نعيمان، فأتبعه ﷺ يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد: فأشار رجل إلى النبي ﷺ حيث هو أي دله على مكانه فأخرجه وقد تعفر وجهه بالتراب، فقال له: «ما حملك على ما صنعت»؟ قال: الذين دلوك عليّ يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك،

---

(١) البراء بن مالك: كان يحدو بالرجال. وأنجشه بالنساء، وهو الذي قال له النبي ﷺ (رفقاً بالقوارير) أي النساء لئلا يتعبن بسرعة الإبل.

فجعل ﷺ يمسح التراب عن وجهه ويضحك، ثم غرمها للأعرابي.

ومنها أنه خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى بصرى ومعه نعيمان، وسويبط بن حرملة، وكان سويبط على زاد أبي بكر، فجاءه نعيمان وقال له أطعمني؟ فقال: لا حتى يأتي أبو بكر، فقال لسويبط: لأغيظنك، فذهب إلى ناس فقال لهم نعيمان: تشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم، قال إنه عبد له كلام وهو قائل لكم لست بعبده أنا رجل حر، فإن كان إذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا عليّ عبدي، قالوا: لا بل نشتريه ولا ننظر في قوله، فاشتروه منه بعشرة قلائص، فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا، فجاء القوم لسويبط وقالوا له قد اشتريناك، فقال لهم: هو كاذب، وأنا رجل حر إنه يتهزأ ولست بعبده، فقالوا له قد أخبرنا بخبرك، وطرحوا الحبل في عنقه وذهبوا به، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبره نعيمان خبره، فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم وأخبروهم أنه يمزح وردوا عليهم القلائص فردوا سويبطاً، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فضحك.

ومنها أنه مر نعيمان بمخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري رضي الله عنه، وكان مخرمة من أعاظم قريش وله سن عالية وعلم بالنسب، فكان يؤخذ عنه وكان عالماً بأنصاب الحرم، فبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسعيد بن يربوع، وأزهر بن عبد عوف، وحويطب بن عبد العزي، فجددوا أنصاب الحرم بإرشاده، وكان مخرمة رضي الله عنه قد كبر سنه فبلغ مائة وخمس عشرة سنة وكفَّ بصره فقال مخرمة: ألا رجل يقودني حتى أبول، فأخذه نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال له: ههنا، فبال، فصاح الناس به فقال: من قادني؟ قيل نعيمان، فقال: لله عليّ أن أضربه بعصاي هذه. فبلغ نعيمان فأتاه فقال له: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم، قال: فقم، فقام معه فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو إذ ذاك أمير المؤمنين

وهو يصلي وكان إذا صلى لا يلتفت، فقال دونك الرجل، فجمع يديه في العصا ثم ضربه، فقال الناس: أمير المؤمنين، فقال: من قادني؟ فقيل نعيمان، فقال: لا أعود إلى نعيمان. ومنها أنه لقي نعيمان أبا سفيان بن الحارث فقال له: يا عدو الله أنت الذي تهجو سيد الأنصار نعيمان بن عمرو؟ فاعتذر إليه، فلما ولى قيل لأبي سفيان إن نعيمان هو الذي قال لك ذلك فعجب منه.

وكان نعيمان رضي الله عنه شهد العقبة الأخيرة وشهد بدراً وأُحد والخندق والمشاهد كلها. توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه، وقد رويت ما تقدم عن الحافظ ابن حجر في الإصابة، وابن الأثير في أسد الغابة، والحلبي في سيرته.

خيله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ من الخيل الجياد عشرون فرساً، وهي:

١ ـ **السكب**: ومعنى السكب كثير الجري كأنما يصب جريه صباً، وهو أول فرس ملكه ﷺ اشتراه بعشر أواق، وكان أغر محجلاً طلق اليمين كميتاً.

٢ ـ **المرتجز**: مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر، وسمي بذلك لحسن صهيله، وكان أبيض، ابتاعه رسول الله ﷺ من أعرابي ثم أنكر الأعرابي بيعه فشهد له فيه خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي.

٣ ـ **الظرب**: في اللغة هو الجبل الصغير، سمي بذلك لكبره وسمنه، وقوته، وصلابة حافره، أهداه لرسول الله ﷺ فروة بن عمرو الجذامي من أرض البلقاء ـ الأردن.

٤ ـ **اللحيف**: ومعنى اللحيف، هـو ما يتغـطى بـه من التلحيف، سمي بذلك لسمنه، وكبره، وطول ذنبه، كأنما يغطي الأرض بجسمه وطول ذنبه أهداه لرسول الله ﷺ ربيعة بن أبي البراء.

٥ ـ **اللزاز**: معناه الإلتزاق، سمي بذلك لشدة سرعته، كأنه إذا أراد الالتحاق بشيء أدركه والتزق به. أهداه له ﷺ المقوقس.

٦ ـ **الورد**: وسمي بذلك لكون لونه بين الكميت والأشقر. أهداه لرسول الله ﷺ تميم الداري رضي الله عنه وأهداه ﷺ لعمر بن الخـطاب رضي الله عنه فحمل عليه في سبيل الله ثم وجده يباع برُخص فقال له لا تشتره.

٧ ـ **السبحة**: وهذا الإسم هو من صفات الخيل من قولهم فـرس سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجري.

٨ ـ **البحر**: كان اشتراه رسول الله ﷺ من تجار قدمـوا من اليمن فسبق عليه مرات فجثا ﷺ على ركبته ومسح وجهه وقال: «من أنت إلا بحر» فسمي بحراً، قال ابن الأثير: وكان كميتاً وكان سرجه دفتين من ليف.

٩ ـ **السجل**: مأخوذ هذا الاسم من قولك سجلت الماء فانسجل، أي صببته فانصب، وهو دليل على سرعة جريه يشبه الماء في انصبابه.

١٠ ـ **ذو اللمة**.

١١ ـ **السرحان**.

١٣ ـ **الطرف**.

١٤ ـ **المرتجل**.

١٥ ـ **المـراوح**: مشتق من الـريـح لسـرعتـه في الجـري، أهـداه لرسول الله ﷺ قوم من مذحج.

١٦ ـ ملاوح.
١٧ ـ المندوب.
١٨ ـ النجيب.
١٩ ـ اليعسوب.
٢٠ ـ اليعبوب.

فهذه خيل رسول الله ﷺ التي ذكرها أصحاب السير، ولم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من الدواب مثل الخيل، ومسح مرة وجه فرسه ومنخره وعينيه بكم قميصه وقال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة».

وفي غزوة تبوك قام رسول الله ﷺ إلى فرسه (الطرف) فعلق عليه شعيره وجعل يمسح ظهره بردائه. وجاء في بعض السير أنه ﷺ كان يضمر الخيل للسباق فيأمر بإضمارها بالحشيش اليابس شيئاً بعد شيء، ويأمر بسبقها غدوة وعشياً، ويأمر أن يقودها كل يوم مرتين ويؤخذ منها من الجري الشوط والشوطان.

بغاله
صلى الله عليه وسلم

كانت بغال رسول الله ﷺ خمسة:

١ ـ **الدلدل**: والدلدل في الأصل القنفذ. وكانت بغلة شهباء أهداها له المقوقس كما تقدم، وهي أول بغلة ركبت في الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يركبها في المدينة وفي الأسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان يدق لها الشعير ثم عميت. وكان قاتل عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج، وكان ركبها قبله عثمان بن عفان رضي الله عنه، وركبها بعد علي رضي الله عنه ابنه الحسن، ثم الحسين، ثم محمد بن الحنفية، رضي الله

عنهم. ورماها رجل بسهم فقتلها.

٢ ـ فضة: أهداها لرسول الله ﷺ فروة بن عمرو الجذامي، ووهبها رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٣ ـ بغلة أخرى أهداها له ﷺ ابن العَلْماء صاحب أيلة ـ الأردن.

٤ ـ بغلة أخرى من دومة الجندل.

٥ ـ بغلة أهداها له النجاشي. وكان عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه صاحب بغلة رسول الله ﷺ يقودها به في الأسفار.

حمـــيره
صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ من الحمير ثلاثة:

١ ـ عفير[1]: أهداه المقوقس كما تقدم.

---

(١) عفير: روى البخاري عن معاذ: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، ومن هذا تعلم جواز ركوب اثنين على الحمار إذ تحملهما وركوبه ليس بالشين، بالنسبة لركوب أفخر السيارات فقد ركبه سيد الخلق قاطبة ﷺ، وأردف معه غيره. وركبته من مكة إلى الطائف عن طريق جبل الهدى قبل تمهيده وسير السيارات فيه ومعي سيدي الوالد رحمه الله هو أيضاً ركبه في هذه الرحلة وأخي من الأم خليل باودود رحمهما الله ولا يعزب عن بالك أيها المسلم الكريم بأن الرفق بالحيوان مطلوب لذلك لا ينبغي تحميله أكثر من طاقته والنـزول عليه ضـرباً فيتلوى إلى اليمين وإلى الشمال من ألم الضرب الشديد. كما لا ينبغي التقصير في إعطاء الحيوان ما يأكله وما يشربه. والرحمة لا بد منها حتى مع البهائم وفي الحديث (الراحمون يرحمهم الرحمن) تبارك وتعالى ـ وفي حديث آخر: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت) فلو أطلقت المرأة هذه الهرة لما نالها العذاب عذاب النار وبئس العذاب، فحذار من تعذيب البهائم فإن فيه الجزاء والجزاء من جنس العمل.

٢ ـ **يعفور**: أهداه له فروة بن عمرو الجذامي.

٣ ـ حمار آخر أعطاه لرسول الله ﷺ سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه.

لقاحه[١] ودوابه

أما لقاحه ﷺ فكثير منها:

١ ـ **القصواء**: وهي التي هاجر عليها رسول الله ﷺ إلى المدينة.

٢ ـ **العضباء**: سميت بذلك لأنه كان بأذنها عضب[٢].

٣ ـ **الجدعاء**: ولم يكن جدع[٣]. فهذه اللقاح الثلاث التي كان يركبها رسول الله ﷺ.

وكان يجري في عهد رسول الله ﷺ سباق الإبل، وكانت العضباء لا تُسابَق لشدة سبقها، حتى جاء إعرابي على قعود له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: «إن حقاً على الله أن لا يرفع من الدنيا شيئاً إلا وضعه».

كان غَنِمَ رسول الله ﷺ يوم بدر جملاً لأبي جهل، في أنفه برة من فضة فنحره رسول الله ﷺ يوم الحديبية من ضمن الهَدْي ليغيظ بذلك المشركين وكانت له ﷺ خمسة وأربعون لقحة أرسل بها إليه سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه.

---

(١) لقاحه: اللقاح هي الناقة القريبة العهد بالولادة إلى ثلاثة أشهر ثم يقال لها لبون.
(٢) عضب: أي انقطاع.
(٣) ولم يكن جدع: والجدع قطع الأنف. وإنما سميت بذلك.

وكانت لرسول الله ﷺ مائة شاة. وكانت له ستة أعنز منائح ترعاها أم أيمن.

وأما البقر فلم ينقل أنه ﷺ اقتناها لنفسه ضمن دوابه.

هذا ما كان من ممتلكات رسول الله ﷺ من أثاث، ورياش، وأنعام، ومواش، وخدم، وعبيد، وكل ذلك يدل على الزهد والقناعة بالشيء اليسير، كما دلت على ذلك سيرته منذ ولاته إلى مماته.



ابتداء مرضه
صلى الله عليه وسلم

ابتدأ المرض برسول الله ﷺ في أواخر شهر صفر من سنة إحدى عشرة للهجرة، وأغلب الروايات تدل على أنه كان ليلة الأربعاء[1].

وذلك أن رسول الله ﷺ قال لمولاه أبي مويهبة في جوف الليل: إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي، فانطلق معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، لو تعلمون ما نجاكم الله منه. أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الأخيرة شر من الأولى» ثم أقبل على أبي مويهبة فقال: «يا أبا مويهبة: هل علمت أني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة. وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي والجنة»؟ فقال له أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة. قال: «لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة».

ثم ذهب بعد ذلك إلى قتلى أحد فصلى عليهم فرجع معصوب الرأس إلى بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قالت عائشة: لما رجع من البقيع، وجدني وأنا أقول: وارأساه!! فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان

(١) ليلة الأربعاء: وقيل يوم الإثنين وقيل يوم السبت والمشهور في مدة مرضه، إنها ثلاثة عشر يوماً.

وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك» فقلت واثكلتاه والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائل أو يتمنى المتمنون».

ثم قلب يأبى الله ويدفع المؤمنون إلا أبا بكر.

وفي رواية أخرى رواها الإمام أحمد في مسنده عن أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدىء فيه فقلت وارأساه، فقال: «وددت أن ذلك كان وأنا حي فهيأتك ودفنتك» قالت: فقلت غِيرَى: كأني بك في ذلك اليوم عروساً ببعض نسائك، قال: «وأنا وارأساه ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً فأنا أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن أنا أولى ويأبى الله عز وجل والمؤمنون إلا أبا بكر» وهذا الحديث أصله في صحيح مسلم.

وروى الإمام أحمد وغيره من طرق عن أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي فيه مات «ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد بعدي» ثم قال: «دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر» وفي هذه الرواية صراحة من رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر بعده، وقد وقع ذلك فعلاً كما سيأتي تفصيله في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان ابتداء المرض برسول الله ﷺ الصداع، ثم بعد الصداع اعترته الحمى.

وقال بعض الرواة: أصابه عرق في الكلْية، والذي صرح به ﷺ كما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر

فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم». فمن ذلك التسمم تداعت أسباب تلك الأوجاع كلها، وكان وجعه ﷺ شديداً كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فمسسته فقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً؟ قال: «أجل كما يوعك رجلان منكم» قلت: ذلك بأن لك أجرين، قال: «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكه فما فوقها، إلا كفرَّ الله بها سيآته كما تحط الشجرة أوراقها».

وكان ﷺ في مرضه يدور على أزواجه، وهن يومئذ تسع حتى اشتد به المرض في بيت ميمونة، قالت عائشة رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتني، فأذنَّ له فخرج وهو بين رجلين، تخط رجله في الأرض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر. قال عبد الله بن العباس رضي الله عنه: الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان دخوله ﷺ بيت عائشة رضي الله عنها يوم الاثنين، بعد ستة أيام من ابتداء مرضه، وكان موته يوم الاثنين الذين يليه كما في رواية ابن أبي مليكة.

وهذا يوافق ما رواه القسطلاني في المواهب عن الحافظ بن رجب قال: كان إبتداء مرضه ﷺ في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً من المشهور. قالت عائشة رضي الله عنها: بعدما دخل بيتي النبي ﷺ واشتد وجعه قال: «أهريقوا عليَّ من سبع قِرب، لم تحل أوكيتهن لعليَّ أعهد إلى الناس» فأجلسناه في مخضب - هو إناء يشبه الطست - لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا نصبُّ عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم، وكان خروجه يوم الخميس بعد أن مكث في بيت عائشة رضي الله عنها ثلاثة أيام، وقد شدَّ رأسه بعصابة دسماء، فرقي المنبر فجلس عليه مصفر الوجه،

وأمر بلالاً فنادى في الناس أن اجتمعوا لوصية رسول الله ﷺ فاجتمعوا كبيرهم وصغيرهم وتركوا أبواب بيوتهم مفتحة وغص المسجد بمن فيه، ثم قام فخطبهم خطبة بليغة فكان أول ما تكلم به ﷺ على قتلى (أحد) واستغفر لهم ثم قال: «إني بين يديكم فرط، وأنا شهيد عليكم، وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها» ثم قال: «إن عبداً خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر وبكى فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر».

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: فعجبنا له. وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، .وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخبر وكان أبو بكر أعلمنا به، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن أمنّ الناس علي بماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر» ثم أوصى بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، وأوصى بالأنصار فقال: «يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عيبتي التي أويت إليها، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».

ثم إن الأنصار لما رأوا رسول الله ﷺ يزداد وجعاً طافوا بالمسجد فدخل العباس فأعلم رسول الله ﷺ بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه علي بن أبي طالب كذلك، فخرج ﷺ متوكئاً على علي، والفضل، والعباس أمامه والنبي ﷺ معصوب

الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثار الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم؟ ألا إني لاحق ربي، وإنكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً، وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿والْعَصْرِ إنَّ ٱلإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بالْحَقِ وَتَواصَوْا بِالصبْرِ﴾ وإن الأمور تجري بإذن الله تعالى، ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه، ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾، وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار، ألم يوسعوا لكم الدار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم، وأنتم لاحقون بي، ألا وإن موعدكم الحوض، ألا من أحب أن يرده علي غداً فليكف يده ولسانه إلا فيما ينبغي.

يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس برَّ بهم أئمتهم - رفعهم - وإذا فجر الناس عقولهم - أزالهم -» ثم نزل رسول الله ﷺ وتتام به وجعه ولم يخطب على المنبر بعد ذلك فكانت هذه آخر خطبة له.

اشتداد المرض

اشتد بعد ذلك المرض على رسول الله ﷺ وتخلف عن الصلاة بالناس، فاجتمع الناس في المسجد حسب عادتهم للصلاة، وآذنوا رسول الله ﷺ بها، فَهَمَّ ﷺ بالخروج فعجز فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت له عائشة: يا أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس. فقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت عائشة لحفصة بنت عمر بن الخطاب: قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس. ففعلت حفصة فقال رسول الله ﷺ: «إنكن لأنتن كصواحبات[1] يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً.

قالت عائشة رضي الله عنها: لقد راجعت رسول الله ﷺ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، وإني كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر.

قالت عائشة رضي الله عنها: ثم ثقل رسول الله ﷺ فقال أصليَّ الناس»؟ قلنا: لا هُم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماء في المخضب»[2] قالت: ففعلنا فاغتسل به ثم ذهب ينوء[3] فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلى الناس»؟ قلنا: لا هُم ينتظرونك يا رسول الله، قالت

---

(١) كصواحبات يوسف: في التظاهر على ما ترون والإلحاح في طلبه وقيل في اظهاركن خلاف ما ابطنتن فإن صواحب يوسف أظهرن أنهن قعدن ليأكلن وهن إنما يردن النظر إليه.

(٢) المخضب: إناء يغتسل فيه

(٣) ينوء: يقوم وينهض.

والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الأخيرة. قالت فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس. فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر وكان رقيقاً: يا عمر صلِ بالناس. فقال عمر: أنت أحق بذلك. فصلى بهم أبو بكر[1] تلك الأيام.

وقد ورد في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الصلاة جملة أحاديث عن كثير من الصحابة منهم عائشة وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن زمعة، وابن سعيد، وعلي بن أبي طالب، وحفصة أم المؤمنين، وقد قال السيوطي في تاريخ الخلفاء، إن هذا الحديث متواتر.

ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس رضي الله عنه، والثاني علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب يستأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر، وقال لهما: «اجلساني إلى جنبه» فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد.

قال عبد الله بن زمعة بن الأسود: لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين قال: دعاه بلال إلى الصلاة فقال: «مروا من يصلي بالناس» قال: فخرجت فإذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائباً فقلت: قم يا عمر فصلِ بالناس قال فقام، فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلاً مجهراً قال فقال رسول الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون» مرتين، قال: فبعث إلى أبي بكر

(١) فصلى بهم أبو بكر: قال في الأنوار المحمدية: ونقل الدمياطي أن الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة. ومثله في السيرة الحلبية.

فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس قال عبد الله بن زمعة: قال عمر: ويحك ماذا صنعت بي يا ابن زمعة والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس. قال: قلت والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ولكني حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس (رواه هشام عن ابن إسحاق).

وكان رسول الله ﷺ من شدة وجعه يغمى عليه ثم يفيق، وأغمي عليه مرة فاجتمع عليه نساء من نسائه أُم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين منهن: أسماء بنت عُمَيْس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يَلُدُّوه فأذابوا قُسْطاً[1] بزيت ولدُّوه به ـ واللدود هو ما يجعل في جانب الفم من الدواء ـ فلما أفاق رسول الله ﷺ قال: «من صنع هذا بي»؟ قالوا: يا رسول الله عمك، قال: «هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض» وأشار نحو أرض الحبشة قال: «ولم فعلتم ذلك»؟ فقال عمه العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب. فقال: «إن ذلك لداء ما كان الله ليقذفني به لا يبقى في البيت أحد إلا لدّ إلا عمي» فلقد لـدَّت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعوا به. رواه ابن إسحاق وأصله في البخاري.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال: «حياكم الله بالسلام رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله، واستخلفه عليكم وأحذِّركم الله إني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده؛ فإنه قال لي ولكم: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً

---

(١) القسط: هو العود الهندي.

والعاقبة للمتقين﴾ وقال: **﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبـرين﴾** قلنا: يـا رسول الله متى أجلك؟ قال: «دنا الفراق والمنقلب إلى الله، وإلى الجنة المأوى» قلنا: يا رسول الله من يغسلك؟ قـال: «رجال أهـل بيتي الأدنى فالأدنى» قلنا يا رسول الله فيم نكفنك؟ قال: «في ثيابي هذه وإن شئتم في بياض ثياب مصر أو حلة يمنية» قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك: «إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فـإن أول من يصلي عليّ جبريـل، ثم ميكائيـل، ثم إسرافيل، ثم ملك المـوت، ومعه جنـود من الملائكـة، ثم ادخلوا علي فوجاً، فوجاً، فصلوا عليّ وسلموا تسليما، وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم ثم أنتم، واقرؤوا السلام على من غاب من أصحابي، ومن تبعني على ديني، من يومي هذا إلى يوم القيامة» قلنا: يا رسول الله ومن يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي والملائكة» روى كل ذلك القسطلاني في المواهب.

قالت عائشة رضي الله عنها: كن أزواج النبي ﷺ عنده لم تغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي، ما تخطىء مشيتها عن مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحَّب بها وقال: «مرحباً بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارّها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت» فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بيننا بالسر ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قـال لك رسـول الله ﷺ؟ قـالت: ما كنت لأفشي على رسـول الله ﷺ سـره، قـالت: فلمـا تـوفي رسول الله ﷺ قلت عزمت عليك بمال لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ قال: أمـا الآن فنعم، أما حين سـارني في المرة الأولى فأخبرني: «أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضه الآن مرتين وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنالك» قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما

رأى جزعي سارني الثانية فقال: «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، أو سيدة نساء هذه الأمة»؟ فأخبرني أني أول أهله يتبعه، قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت. (رواه مسلم).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما حضر رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: «هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوه بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «قوموا»، ثم قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه» وأوصاهم بثلاث قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت الراوي وهو سعيد بن جبير عن الثالثة أو قال نسيتها. وقال رسول الله ﷺ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، قالت عائشة رضي الله عنها لولا ذلك لأبرز قبره خشي أن يتخذ مسجداً. (رواه البخاري).

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: خرج علي بن أبي طالب من عند رسول الله ﷺ، في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصي بنا. فقال عليّ: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن المسلمين بيننا هم في صلاة

الفجر من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فلما وضح لنا وجه رسول الله ﷺ ما نظرنا منظراً قط كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضح لنا، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر. رواه البخاري. وكانت صلاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس في مرضه ﷺ سبع عشرة صلاة.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان إذا اشتكى تعني رسول الله ﷺ نفث على نفسه بالمعوذات[1]، ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه، طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري، ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناوله فاشتد عليه، وقلت ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمَره، وبين يديه ركوة[2] أو عُلْبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه الماء فيمسح بها وجهه يقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم نصب يديه فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى».

---

(١) المعوذات: المراد سورة الإخلاص. والمعوذتين.

(٢) ركوة: إناء يصنع من الجلود. والعلبة: القدح الضخم يتخذ من جلود الإبل تحلب فيه.

وقالت عائشة رضي الله عنها ولما احتضر النبي ﷺ واشتد به الأمر قالت: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبي ﷺ، قالت: وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: «اللهم أعني على سكرات الموت» ولما تغشاه ﷺ الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه. فقال لها: «لا كرب على أبيك بعد اليوم» روى كل ذلك البخاري.

وروى البيهقي أنه كان عند رسول الله ﷺ في مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها، ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه، فدعا بها فوضعها في كفه فقال: «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه» ثم تصدق بها كلها.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير بين الدنيا والآخرة» فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق، فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» فقلت: إذا لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

قالت فكان آخر كلمة تكلم بها: «اللهم الرفيق الأعلى، اللهم أغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى» قالت عائشة رضي الله عنها: توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين يعني صاعاً من شعير، رواه البخاري.

وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

توفي رسول الله ﷺ وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن جوار المخلوق إلى جوار الخالق، ومن الحطام الزائل إلى النعيم الأبدي، وفاضت روحه الشريفة إلى لقاء ربها يوم الاثنين[1] حين زاغت الشمس

(١) يوم الأثنين لليوم الثامن: اختلفوا في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ بعد اتفاقهم على أنه يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، والجمهور على أنه في الثاني عشر من ربيع الأول وجزم به ابن اسحاق وابن سعد وابن حبان وابن عبد البر وابن الصلاح والنووي، وقيل في أوله أو الثاني، والثامن أو الثالث عشر. قال أبو الربيع بن سالم لا يصح في قول الجمهور وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه، وسبقه السهيلي في الروض إلى ذلك فقال لا يصح أن يكون توفي ﷺ إلا في الثاني من الشهر والثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة وهو يوم التاسع من ذي الحجة فدخل ذو الحجة يوم الخميس فكان المحرم إما الجمعة، وإما السبت، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد فإن كان السبت فقد كان ربيع الأحد أو الأثنين، وكيف ما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثاني عشر من ربيع الاثنين بوجه، ولهذا الإشكال قال الخضري في كتابه (نور اليقين) بأن وفاته ﷺ كانت يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول وهو يوافق اليوم الثامن من شهر يونيو سنة اثنين وثلاثين وستمائة ميلادية، وهكذا ذهب الدكتور حسن ابراهيم في كتابه تاريخ الإسلام السياسي. ويمكن دفع هذا الإشكال وتقرير قول الأكثرين، وذلك بأن أهل مكة والمدينة يحتمل أنهم اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة بسبب مانع من السحاب أو اختلاف المطالع، فغرة ذي الحجة عند =

الموافق لليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجـرة. ويـوافق من الأشهر الشمسيـة ٣ يونيـه سنة ٦٣٣ من ميـلاد عيسى عليـه السـلام. ويوافق من البـروج فصـل الجـوزاء. وقـد بلغ ﷺ من العمـر ثلاثاً وستين سنة كاملة، على أصح الروايات وأشهرها.

ولما قبض رسول الله ﷺ وارتفعت الرنّة[1] عليـه، ودهش أصحابـه دهشة عظيمة وركت عقولهم، وطـاشت أحلامهم، وأُفحمـوا، واختلطوا، وصاروا فرقاً، وكان ممن اختلط عمر بن الخطاب فجعل يصيح ويحلف: ما مات رسول الله ﷺ، وتهدَّد بسيفه من قال إنه مات، وأقعد علي بن أبي طالب فلم يستطع حراكاً، وأخرس عثمان بن عفان فكان يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاماً، واضطرب الأمر، وجل الخطب، وفدحهم هول مصيبته، وحق لهم، ولم يكن فيهم أثبت من العباس بن عبد المـطلب، وأبي بكر الصديق، وكان أبو بكر غائباً (بالسنح)[2] وهي العـالية عنـد زوجته[3] بنت خارجة، وكان رسول الله ﷺ قد أذن له في الذهاب إليها، فأقبل أبو بكر على فرس له من مسكنه حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فبصر برسول الله ﷺ وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبَّله ثم بكى وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً

= أهل مكة يوم الخميس وعند أهل المدينة يوم الجمعة وكان وقوف عرفة واقعاً برؤية أهل مكة لما رجع إلى المدينة اعتبروا التاريخ برؤية أهل المدينة وكان الشهور الثلاثة كوامل، فيكون أول ربيع الأول يوم الخميس، ويوم الأثنين الثاني عشر منه، هكذا ذكروه ونقلناه عنهم رحمهم الله تعالى ورحمنا.

(١) الـرنـة: بفتـح الـراء والنـون المشـددة هي الصحيحـة (وركت) بمعنى ضعفت (وطاشت)، خفت (وأحلامهم)، عقولهم. (وأفحموا): غلبهم الجزع.

(٢) السنح: بضم السين وسكون النون بعدها حاء مهملة: موضع بعوالي المدينة وهي منازل بني الحارث بن الخزرج.

(٣) عند زوجته: هي حبيبة بنت خارجة بن زايد الخرجية.

وميتاً، والذي نفسي بيده لا يجمع الله عليك موتتين[1]، أما الموتـة التي كتبت عليك فقد متها.

ثم خرج أبو بكر فوجد عمر بن الخطاب سالاً سيفه متوعداً من يقول: مات رسول الله ﷺ وهو يقول: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا، إنما أُرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، والله إني لأرجـو أن يقطع أيـدي رجال وأرجلهم. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أيها الحالف على رسلك، فلمـا تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله تعالى أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: **﴿إنك ميِّت وإنهم ميتون﴾** وقال: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقل على عَقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾** فنشج[2] الناس يبكون، قال عمر: فوالله لكأني لم أتل هذه الآيات قط، والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلنِي رجـلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات. وقال عمر: والله إن كان للذي حملني على مقالتي إلا أني كنت أقرأ هذه الآية: **﴿كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكـون الرسـول عليكم شهيداً﴾**؛ فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على الذي قلت ما قلت.

---

(١) لا يجمع الله عليك موتتين: اختلف في معنى هذا، قال في المواهب: هو على حقيقته وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى، وهذا أوضح وأسلم الأجوبة.

(٢) فنشج: بفتح الشين المعجمة وبالجيم يقـال نشج البـاكي أي غص بالبكـاء في حلقه.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم، فما سمع بشر من الناس إلا يتلوها. فكان أبو بكر يخطب الناس ويهدئهم وعيناه تهملان، وزفراته[1] تتردد في صدره، وغصصه تتصاعد، فلما فرغ من خطبته التفت إلى عمر وقال له: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال يوم كذا، كذا وكذا، يذكره بما قاله عن موته ﷺ فقال عمر: أشهد أن الكتاب كما نزل وإن الحديث كما حدث وإن الله تبارك وتعالى حي لا يموت إنا لله وإنا إليه راجعون، وقال فيما كان منه:

لعمري لقد أيقنت أنك ميت ... ولكن ما ابدى الذي قلته الجزعُ
وقلت يغيب الوحي عنا لفقده ... كما غاب موسى ثم ترجعْ كما رجع
وكان هواي أن تطول حياته ... وليس لحي في بقا ميت طمع

قال أبو هرية رضي الله عنه: لولا أبو بكر لهلكت أمة محمد ﷺ بعد نبينا، ولقد كان من قدم المدينة عقيب موّت النبي ﷺ سمع لأهلها ضجيجاً، وللبكاء في جميع أرجائها عجيجاً، حتى صحلت[2] الحلوق، ونزفت الدموع، وحق لهم ذلك ولمن يأتي بعدهم إلى يوم الدين. وقال أبو ذؤيب[3] الهذلي: علمت أن النبي ﷺ قبض أو هو ميت فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام.

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موت رسول الله ﷺ بقول أبي بكر قال وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا اتخذت منبراً لتسمعهم، فحن الجذع

---

(١) وزفراته: جمع زفرة، وهي ما يسمع من جوف الباكي من الأزيز، والغصص: جمع غصة وهي ما يعرض للباكي في حلقه من الشجا.

(٢) صحلت: أي بحت، ونزفت فرغت.

(٣) أبو ذؤيب: اسمه خويلد بن خالد.

بفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال: ﴿مَن يُطع الرسول فقد أطاع الله﴾ بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ الآية، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم في أطباقها يعذبون، يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد أتبعك في قصر عمرك[1] ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنه وطول عمره، فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل.

هذه مرثية عمر رواها القسطلاني في المواهب.

غسله
صلى الله عليه وسلم

روى ابن ماجه بسند جيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غَرْس»[2].

---

(١) قصر عمرك: مدة النبوة ثلاث وعشرون سنة. ونوح لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٢) بئر غرس: هي لسعد بن خيثمة وأضافها ﷺ إليه لأنه يشرب منها وأوصى بغسله، ونظم بعضهم آبار المدينة السبع بقوله:

إذا رمت آبار النبي بطيبة ... فعدتها سبع مقالا بلا وهن
اريس وغرس رومة وبضاعة ... كذا بصة قل بير حاء مع العهن

وفي تحقيق النصرة للمراغي قال: وبين هذه البئر ومسجد قباء نحو نصف ميل شرقي مسجد قبا إلى جهة الشمال وهي بين النخيل وتعرف ناحيتها بهاوكانت خربة =

وقد تولى غسل رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب، وعمه العباس، والفضل بن عباس يعينانه، وقثم بن العباس وأسامة بن زيد، وشُقْران مولاه ﷺ يصبون الماء، وأعينهم معصوبة من وراء الستر.

فغسل ﷺ ثلاث غسلات، **الأولى**: بالماء القراح، **والثانية**: بالماء والسدر، **والثالثة**: بالماء والكافور، وكان علي رضي الله عنه يقول وهو يغسل رسول الله ﷺ: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً. وجعل عليّ في يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه وحنطوا مساجده، ومفاصله، ووضؤوا منه ذراعيه، ووجهه، وكفيه، وقدميه وجمروه عوداً ونداً.

كفنه
صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة رضي الله عنها: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية[1] من كرفس ليس فيها قميص ولا عمامة، ثم بعد تكفينه نزع القميص الذي غسل فيه. (رواه ابن ماجه وغيره).

= فجددت بعد السبعمائة وهي كثيرة الماء، وذكر تعليقاً عما كتب بهامش الأصل ما نصه: لعله زيادة عن أربعة أميال، وجاء على وصفها: حاضر الشيخ علي حافظ المدني حفظه الله تعالى في كتابه (فصول من تاريخ المدينة) ومما قاله: إن ماءها عذب حلو غير أنه قليل في قاعها يلمع بين الصخور، والطريق إليها، اتجه لوادي بطحان أبي جيدة من جهة قبا أو العوالي عبر طريق البصة ثم اتجه جنوباً إلى أن تصل البلاد البدرية وقف الأشراف والغِرس في شمال البلاد البدرية يفصل بينهما زقاق.

(١) من عمل سحولة: قرية من قرى اليمن، والكرفس القطن، وقد ورد في كونه أبيض حديث صحيح وهو (البسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم).

الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم

روى ابن ماجه[1] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء، وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً[2] يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد.

فأول من صلى عليه حسب وصايته ﷺ أهل بيته، ولما أراد الناس يصلون عليه لم يدر ما يقولون فسألوا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فأمرهم أن يسألوا علياً رضي الله عنه فقال لهم: قولوا إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية، لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم، والملائكة المقربين، والنبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وما سبح لك من شيء يا رب العالمين، على محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وسيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين الشاهد البشير، الداعي إليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام. روى ذلك القسطلاني[3] في المواهب.

---

(١) روى ابن ماجه: بإسناد جيد ومالك بلاغا، وهل الصلاة عليه ﷺ المعتادة أم لا، ذهب جماعة إلى أنها غير المعتادة ولكن القاضي عياضا قال: الصحيح الذي عليه الجمهور أن الصلاة كانت حقيقية لا مجرد الدعاء، وفي شمائل الترمذي أن الناس قالوا لأبي بكر: أتصلي على رسول الله ﷺ؟ قال نعم قالوا وكيف نصلي؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يدخل قوم فيصلون فيكبرون ويدعون فرادى.

(٢) ارسالا: جماعات.

(٣) روى ذلك القسطلاني: نقلا عن كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، للملا زين الدين بن الحسين المراغي وهذا الكتاب مطبوع سنة ١٣٧٤ هـ بنفقة =

دفنـــه
صلى الله عليه وسلم

تفاوض الصحابة رضي الله عنهم في مدفن النبي ﷺ فقال بعضهم: ندفنه بمكة بلده الذي ولد بها، وقال بعضهم: بل ندفنه بمسجده؛ وقال بعضهم: بل بالبقيع، وقال آخرون: بل في بيت المقدس مدفن الأنبياء.

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه» فاعتمد الصحابة على خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه المرفوع إلى النبي ﷺ، وكانت وفاته في بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقاموا بذلك.

فحفر قبره ﷺ أبو طلحة[1] زيد بن سهل في موضع فراشه حيث قبض في بيت عائشة رضي الله عنها، وبنى في قبره تسع لبنات، وفرش مولاه شقُرْان في قبره قطيفة[2] نجرانية كان يتغطى بها، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك. ونزل قبره ﷺ عمه العباس، وعلي بن أبي طالب، وقثم بن

= الشيخ محمد النمنكاني بالمدينة المنورة وهو صاحب المكتبة العلمية وفقه الله للمزيد من قيامه بطبع الكتب ونشرها

(١) فحفر قبره ﷺ أبو طلحة: لأنه سبق في المجيء أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لأنهما حافران ولما اختلفوا في اللحد والشق اتفقوا على أن من جاء منهما قبل الآخر عمل عمله فجاء أبو طلحة وهو يلحد والثاني يشق. واللحد: يحفر حائط القبر من أسفل مائلاً عن استوائه قدر ما يوضع فيه الميت في جهة القبلة كمقبرة البقيع فإن أرضها صلبة لا تنهار بهذه العملية، والشق يحفر وسط القبر كالنهر ويبنى حافتاه ويوضع الميت بينهما ويسقف عليه. كمقبرة المعلا ـ بمكة المكرمة.

(٢) قطيفة نجرانية: وقد أخرجت من القبر بعد وضع اللبنات كما قال ابن عبد البر، ولو سلم عدم خروجها فهذا خاص به ﷺ كما نقله الدارقطني عن وكيع. قال النووي: وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر.

العباس، وأنزلوا رسول الله ﷺ في القبر، وواروْه ليلة الأربعاء[1]، ورش قبره الشريف بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه حصباء حمراء وبيضاء ورفع قبره من الأرض قدر شبر.

ولما دفن رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ فقالت: كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب وأخذت من تراب القبر ووضعته على عينيها وأنشأت تقول:

ماذا على مَنْ شَمْ تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا[2]
صُبّتْ علي مصائب لو أنها ... صُبّتْ على الأيام عُدْنَ لياليا

روى ذلك القسطلاني في (المواهب).

رثاؤه
صلى الله عليه وسلم

قد رثى رسول الله ﷺ كثير من أهل بيته وأصحابه، ومن شعراء الإسلام بمرثيات بليغة وجمعت فبلغت عدة أجزاء كبيرة، فأتيت هنا بجزء بسيط منها حيث لا يسعها هذا المؤلَّف، ولأنه ﷺ أعظم وأكبر وأجل مما قيل فيه، ومهما بالغ الراثون لا يمكنهم أن يصلوا إلى أوج مجده، ولا يبلغوا غور فضله.

قالت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ تبكي أباها وقد اجتمع إليها النساء بعد دفنه ﷺ:

---

(١) ليلة الأربعاء: روى ابن اسحق وغيره مسنداً عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل وداعي تأخير دفنه ﷺ من يوم الإثنين إلى ليلة الأربعاء هو عدم اتفاقهم على موته. وقيل لاختلافهم في موضع قبره أو النظر في تنصيب خليفة المسلمين.

(٢) غواليا: جمع غالية، أخلاط من الطيب.

أغبرَّ آفاق السماء وكوِّرت شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبةٌ أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فلتبكه شرق البلاد وغربها ولتبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطود المعظم جوُّه والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك وصفه صلى عليك منزل الفرقان

وقالت صفية رضي الله عنها بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ ترثيه:

ألا يا رسول الله كنتَ رجاءنا وكنتَ بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ليبك عليك اليوم مَنْ كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ولكن لما أخشى من الهرج[1] آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد وما خفت من بعد النبي المقاليا
أفاطمُ صلى الله ربُّ محمد على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فأفدي رسولَ الله أمي وخالتي وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقتَ وبلغت الرسالة صادقاً ومت صليبَ العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وأُدخلت جنات من الله راضيا
أرى حسناً أيمته[1] وتركته يبكّي ويدعو جده اليوم نائيا

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ يبكيه:

أرقت فبات ليليْ لا يزول وليل أخيَ المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما أُصيب المسلمون به قليل
لقد عظمتْ مصيبتنا وجلّت عشية قيل: قد قبضَ الرسول

---

(١) من الهزج: في السيرة النبوية (من الهجر) والهرج: الفتنة واختلاط الأمر.
(٢) أيمته: في السيرة النبوية (أيتمته).

وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبُها تميل

ففدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرائيل

وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول

ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليل

أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل

فقبر أبيك سيِّدُ كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبكي رسول الله ﷺ:

لما رأيت نبينا متجندلاً ... ضاقت عليّ بعرضهن الدور

فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه ... والعظم مني ما حييت كسير

أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى ... فالصبر عنك لما لقيت يسير

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غيبت في جدث عليَّ صخور

فلتحدثن بدائع من بعده ... يعيى بهن جوارح وصدور

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبكيه أيضاً:

ودعنا الوحي إذ وليتَ عنا ... فودعنا من الله الكلام

سوى ما قد تركت لنا رهيناً ... تضمنه القراطيس الكرام

وقال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه يرثي رسول الله ﷺ:

ما بال عينيك لا تنام كأنها ... كُحِلت أماقيها بكحل الأرمد

جزعاً على المهدي أصبح ثاويا ... يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

وجهي يقيك الترب لهفي ليتني ... غُيبت قبلك في بقيع الغرقد

بأبي وأمي مَنْ شهدت وفاتَه ... في يوم الاثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متبلِّداً ... متلدِّداً يا ليتني لم أُولد

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ... يا لبتني صبحت سُمَّ الأسود

أوحَلَّ أمر الله فينا عاجلاً | في روحه من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتُنا فنلقى طِيِّباً | محضاً ضرائبُه كريم المحتد
يا بِكْرَ آمنةَ المبارك بِكْرها | ولدته مُحْصنةٌ بسعد الأسعد
لو يعلموا أن الوصي من بعده | أوصى ونطفته قسيمة أحمد
نوراً تنقل من خلاصة هاشم | إذ بايعوه هدوا لدين محمد
نوراً أضاء على المدينة كلها | من يهْدِ للنور المبارك يهتدي
يا رب فاجمعنا معاً ونبينا | في جنة تَثْنى عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا | ياذا الجلال وذا العلى والسؤدد
يا ويح أنصارِ النبي ورهْطِه | بعد المغيَّب في سواء الملَحْد
ضاقت بالأنصار البلادُ فأصبحت | سوداً وجوهُهُم كلون الأثمد
واللّهِ اسمع ما حييت بهالك | إلا بكيت على النبي محمد
ولقد ولدناه وفينا قبره | وفضول نعمته بنا لم تجحد
والله أكرمنا به وهدى به | أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يَحُفُّ بعرشه | والطيبون على المبارك أحمدِ

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي رسول الله ﷺ أيضاً:

بطيبة رسمٌ للرسول ومعهد | مبين وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الآياتُ من دار حرمة | بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وأوضح آيات وباقي معالم | وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها | من الله نور يستضاء ويرقد
معارف لم تطمس على العهد آيُها | أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده | وقبراً بها واراه في الترب ملحد
أطالت وقوفاً تذرف العين دمعها | على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركت | بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبُورك لحدٌ منك ضُمِّنَ طيباً | عليه بناء من صفيح منضد

تهيــل عليــه التــرب أيــد وأعين | تبـاكت وقد غـارت بـذلـك أسعـدُ
لقد غيبوا حلمـاً، وعلماً، ورحمـة | عشيــة، علَّوه الثــرى لا يــوســد
فــراحـوا بحــزن ليس فيهم نبيهم | وقـد وهنت منهم ظهـور وأعضــد
يبكـون من تبكي السمـوات مـوتـه | ومن قد بكته الأرض والناس أكمد
وهـل عـدلت يـومـاً رزيـة هـالـك | رزيــة يــوم مــات فيــه محـمــد

وقال أبو ذؤيب الهذلي رضي الله يبكي النبي ﷺ بعد أن شهد الصلاة على رسول الله ﷺ وشهد دفنه:

ولمـا رأيت النـاس في عــلاتهم | مــا بين ملحــود لــه ومضــرح
متبــادرين فشــرجــع[1] بــأكفهـم | نض الــرقــاب لفقــد أبيض أروح
فهناك صرت إلى الهموم ومن يبت | جــار الهمـوم يبيت غيــر مــروح
كسفت لمصـرعه النجـوم وبدرهـا | وتـزعـزعت آطــام بـطن الأبــطح
وتــزعــزت آطــام يثــرب كلهــا | ونخيلهــا لحلول خــطب مفــدح
ولقـد زجـرت الـطيـر قبـل وفـاتـه | بمصـابـه وزجـرت سعـد الأذبــح

هذا ما اخترت نقله من المرائي من شعر أهل بيته ﷺ ومن أصحابه رضي الله عنهم، حيث لا فـائدة من استيعـابها مـا دام إن معـظم قلوب المسلمين منصرفة إلى غير سبيله ﷺ وهم أحق بأن يرثوا حالتهم الحاضرة وما وصلوا إليه من التخاذل، والتفكك الشنيع، والتمزق المريع، لكونهم أصبحوا في معزل عن الطريقة المحمدية، ووجهوا وجهتهم إلى غير سبيل المهتدين، فمنهم الذين قد امتلأت أدمغتهم بآراء الدجالين، ومنهم من رضي بالجهل مع الحطة والمسكنـة، ومنهم من أفسد أخـلاقه الملاحدة والمشككـون فصمّت آذانهم عن سماع استصـراخ المصلحين، وصـاروا

---

(١) الشرجع: النعش. اهـ قاموس. مصححه.

ينظرون إليهم بنظر السخرية والاستهزاء، ولم يكتفوا بذلك بل تناولوهم بألسنة حداد، ورموهم بكل وصمة وجمود، غير أن هناك أفراداً قد استفزهم الله تعالى ونفخ في أرواحهم وجعلهم يجهرون بالحق، ويدعون إخوانهم المسلمين إلى النهوض، ويملون عليهم ما كان عليه سلفهم الصالح من الهدى ودين الحق، وما كانوا فيه من اليقظة والتقدم، وما وصلوا إليه بفضل تعاليم دينهم الحنيف من الحضارة، والمدنية، والعمران، وقد توفقوا بعض التوفيق.

ولنا في الله سبحانه وتعالى الرجاء في إيقاظ عموم المسلمين، وإرشادهم إلى سلوك سبيل الهدى والرشاد، وأن يخرج منهم النسل الطيب ليكونوا رجال الإصلاح في المستقبل. ومن حيث أن الله تعالى قد أوجد في الكون طائفة لا تزال ظاهرة بمحاربة حشرات الإلحاد والمشككين ما استطاعوا. فالأمل موجود، والله من وراء ذلك لهم بالحفظ والصيانة إلى أن يستقيم أمر المسلمين، إذ لا نجاح لهم إلا بالتمسك بطريقة سيد العرب ﷺ.

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه جل وعلا تأليف الجزء الرابع من حياة سيد العرب ﷺ الذي هو خاتمة القسم الأول في يوم السبت الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة الألف والثلاثمائة والإحدى والخمسين من الهجرة النبوية. ويوافق ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٢ ميلادية.

ويليه إن شاء الله تعالى القسم الثاني المختص بتاريخ الخلفاء الأربعة، وهو يكون بحوله تعالى في أربعة أجزاء، والجزء الأول منه يختص بخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فأسأل الله تعالى أن يمدني بعنايته وحسن توفيقه، ويرشدني إلى الصواب إنه بالإجابة جدير ولما يشاء قدير، تحرر بقلم مؤلفه الراجي

من الله تعالى في الدارين السلامة حسين بن عبد الله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندي الحضرمي المكي.

٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٥١
المؤلف
حسين باسلامه

ملحوظة

قد أشرت في جملة مواضع في هذا الجزء إلى ما سأكتبه في خاتمة هذا القسم عن نظريات أعلام الغرب من مستشرقين وخلافهم في النبي محمد ﷺ وفي الوحي، وفي القرآن المجيد، وفي حضارة الإسلام، وتمدن المسلمين، والتشريع الإسلامي، وكونه تشريعاً منظماً عادلاً يصلح لكل زمان وعصر.

ولما شرعت في تأليفه وجدته قد كبر وصار جزءاً خاصاً فعدلت عن جعله خاتمة وأفردته مصنفاً عن حدة وسميته (الإسلام في نظر أعلام الغرب) وقد تم بحمد الله تعالى تأليفه، وهو الآن تحت الطبع، وسيصدر قريباً فألفت إليه الأنظار.

وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حسين باسلامه

خاتمة

بحمد الله الكريم المنان. وبتوفيقه لحسن الختام، قد انتهى ما أردنا جمعه وترتيبه تعليقاً على هذا الجزء الرابع من حياة سيد العرب. وكان ذلك بمكة المكرمة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٨ هـ - وأرجو من كل من يطلع على هذا الكتاب أن يتبرع بدعواته الصالحة لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات، ولكل من يسعى لنشره لأجل أن يستفيد منه الناس، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الراجي عفو ربه
زكريا بن عبد الله بيلا
خادم العلم الشريف، وعضو إدارة المسجد الحرام

مصادر الكتاب

قد راجعت أكثر من مائتي مؤلف من تفاسير، ومتون الحديث وشروحها، والسير، والتراجم، والتاريخ، والمعاجم، واللغة، والفقه، والمناسك مما دبجه يراع علماء الإسلام، وكذلك أطلعت على كثير من مؤلفات أهل العصر الحاضر من المسلمين، والمستشرقين، والملاحدة، والمشككين، وغير ذلك.

وإنما اقتصرت هنا على بيان المصادر التي دونت منها سيرة (حياة سيد العرب) ﷺ وهي:

عدد:

١ ـ القرآن المجيد.

٢ ـ تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.

٣ ـ تفسير القرآن للإمام أبي محمد البغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

٤ ـ تفسير القرآن لعماد الدين الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.

٥ ـ تفسير القرآن لعلاء الدين علي بن محمد الخازن تم تأليفه سنة ٧٢٥ هـ.

٦ ـ تفسير القرآن للإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.

٧ ـ صحيح محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.

٨ - صحيح أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ.

٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ.

١٠ - سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ.

١١ - سنن أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ.

١٢ - سنن ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

١٣ - سنن أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ.

١٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

١٥ - شرح صحيح مسلم للإمام محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ.

١٦ - سيرة ابن إسحاق رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري المتوفى سنة ٢١٨ هـ.

١٧ - الشفاء للقاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ.

١٨ - كتاب زاد المعاد للحافظ أبي عبد الله بن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ.

١٩ - كتاب المواهب اللدنية للحافظ أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ.

٢٠ - سبيل الهدى والرشاد (مخطوط) في أربعة أجزاء ضخام لأبي عبد الله محمد الشامي نزيل برقوقية الصحراء تلميذ السيوطي والقسطلاني.

٢١ - السيرة الحلبية للعلامة علي بن برهان الدين الحلبي.

٢٢ - السيرة بهجة المحافل لعماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري المتوفى سنة ٨٩٣ هـ.

٢٣ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ أبي يوسف بن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

٢٤ - الطبقات للحافظ ابن سعد النيسابوري المتوفى سنة ٣٤٩ هـ.

٢٥ - الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

٢٦ - أسد الغابة لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري ٦٣٠ هـ.

٢٧ - تاريخ الإمام ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.

٢٨ - تاريخ ابن الأثير الشيباني.

٢٩ - تاريخ ابن خلدون مع المقدمة للإمام عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ.

٣٠ - وفاء الوفاء للعلامة نور الدين علي بن جمال الدين السمهود المتوفى سنة ٩١١ هـ.

٣١ - معجم البلدان للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ.

٣٢ - طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي أخذت عنه ما يتعلق بالعرب البائدة.

٣٣ - النهاية في لغة الحديث لابن الأثير الشيباني.

٣٤ - القاموس المحيط للإمام محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ.

٣٥ - نهاية الأرب في أنساب العرب لشهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ.

٣٦ - سبائك الذهب في أنساب العرب لمحمد أمين البغدادي السويدي.



الفهـــرس